



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغلام

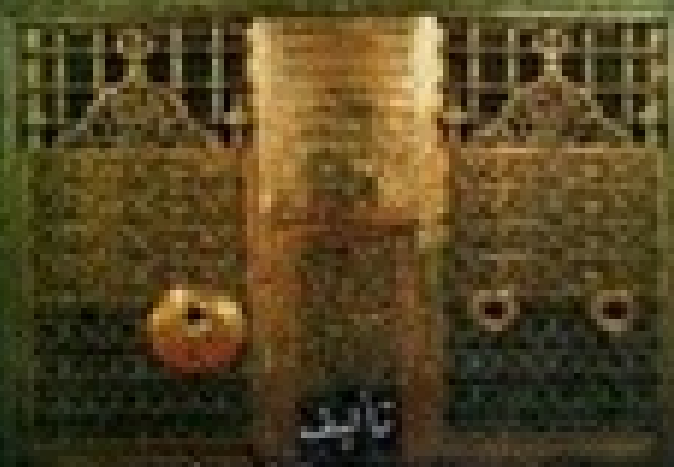


اشرافيية
عليه السلام

www. **Ghaemiyeh** .com
www. **Ghaemiyeh** .org
www. **Ghaemiyeh** .net
www. **Ghaemiyeh** .ir

وَسَائِلُ الْوُصُولِ

إِلَى مَمَارِجِ السُّؤَالِ



تأليف

الشيخ العالم العلامة للحديث

يُوسُفُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ هَبَانٍ

رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى

دار الفقه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وسائل الوصول إلى شمائل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

كاتب:

يوسف بن اسماعيل نبهاني

نشرت في الطباعة:

دار المنهاج

رقمي الناشر:

مركز القائمة باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

5	الفهرس
11	وسائل الوصول إلى شمائل الرسول صَلَّى الله عليه وآله وسلم
11	اشارة
11	اشارة
17	تمهيد
23	ترجمة الشيخ يوسف بن إسماعيل بن النهاني رحمه الله تعالى
29	توطئة
31	صورة عن المخطوط المستعان به في إخراج الكتاب
37	مقدمة المؤلف
47	مقدمة الكتاب
47	اشارة
49	التبيه الأول: في معني لفظ الشمائل
51	التبيه الثاني: في الفوائد المقصودة من جمع شمائله صَلَّى الله عليه وسلم
55	الباب الأول: في نسب رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم وأسمائه الشريفة وفيه فصلان
55	اشارة
57	الفصل الأول: في نسبه الشريف صَلَّى الله عليه وسلم
60	الفصل الثاني: في أسمائه الشريفة صَلَّى الله عليه وسلم
67	الباب الثاني: في صفة خلقه رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم وما يناسبها من أوصافه الشريفة
67	اشارة
69	الفصل الأول: في جمال صورته صَلَّى الله عليه وسلم، وما شاكلها
86	الفصل الثاني: في صفة بصره صَلَّى الله عليه وسلم وكتحاله
89	الفصل الثالث: في صفة شعره صَلَّى الله عليه وسلم
94	الفصل الرابع: في صفة عرقه صَلَّى الله عليه وسلم ورائحته الطبيعية

97	الفصل الخامس: في صفة طيبه صَلَّى اللهُ عليه و سَلَّمَ و تطيِّبه
99	الفصل السادس: في صفة صوته صَلَّى اللهُ عليه و سَلَّمَ
101	الفصل السابع: في صفة غضبه صَلَّى اللهُ عليه و سَلَّمَ و سروره
103	الفصل الثامن: في صفة ضحكته صَلَّى اللهُ عليه و سَلَّمَ و بكائه و عطاسه
103	ضحك رسول الله صلي الله عليه وآله
107	بكاء رسول الله صلي الله عليه وآله
109	عطاس رسول الله صلي الله عليه وآله
110	الفصل التاسع: في صفة كلامه صَلَّى اللهُ عليه و سَلَّمَ و سكوته
112	الفصل العاشر: في صفة قوته صَلَّى اللهُ عليه و سَلَّمَ
115	الباب الثالث: في صفة لباس رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و سَلَّمَ و فراشه و سلاحه
115	إشارة
117	الفصل الأول: في صفة لباسه صَلَّى اللهُ عليه و سَلَّمَ
117	إشارة
127	لطيفة:
130	الفصل الثاني: في صفة فراشه صَلَّى اللهُ عليه و سَلَّمَ و ما يناسبه
134	الفصل الثالث: في صفة خاتمه صَلَّى اللهُ عليه و سَلَّمَ
138	الفصل الرابع: في صفة نعله صَلَّى اللهُ عليه و سَلَّمَ و خفّه
142	الفصل الخامس: في صفة سلاحه صَلَّى اللهُ عليه و سَلَّمَ
146	الفصل السادس: كان من خلقه صَلَّى اللهُ عليه و سَلَّمَ
151	الباب الرابع: في صفة أكل رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و سَلَّمَ و شربه، و نومه
151	إشارة
153	الفصل الأول: في صفة عيشه صَلَّى اللهُ عليه و سَلَّمَ و خبزه
153	إشارة
161	و أمّا خبز رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و سَلَّمَ:
168	الفصل الثاني: في صفة أكله صَلَّى اللهُ عليه و سَلَّمَ و إدامه

168 اشارة
170 و أما إدام رسول الله صلي الله عليه و سلم:
186 الفصل الثالث: في ما كان يقوله صلي الله عليه و سلم قبل الطعام و بعده .
189 الفصل الرابع: في صفة فاكهته صلي الله عليه و سلم
189 اشارة
191 فائدة:
193 الفصل الخامس: في صفة شرابه صلي الله عليه و سلم و قدحه
193 اشارة
197 و أما قدح رسول الله صلي الله عليه و سلم:
199 الفصل السادس: في صفة نومه صلي الله عليه و سلم
203 الباب الخامس: في صفة خلق رسول الله صلي الله عليه و سلم و حلمه، و عشرته مع نسانه، و أمانته، و صدقه، و حياته، و مزاحه، و تواضعه، و جلوسه، و كرمه، و شجاعته
203 اشارة
205 الفصل الأول: في صفة خلقه صلي الله عليه و سلم و حلمه .
205 صفة خلق رسول الله صلي الله عليه و آله
226 حلم رسول الله صلي الله عليه و آله
232 الفصل الثاني: في صفة عشرته صلي الله عليه و سلم مع نسانه رضي الله تعالى عنهن
237 الفصل الثالث: في صفة أمانته صلي الله عليه و سلم و صدقه
239 الفصل الرابع: في صفة حياته صلي الله عليه و سلم و مزاحه
239 حياء رسول الله صلي الله عليه و آله
240 مزاح رسول الله صلي الله عليه و آله
244 الفصل الخامس: في صفة تواضعه صلي الله عليه و سلم و جلوسه و اتكائه
244 تواضع رسول الله صلي الله عليه و آله
252 جلوس رسول الله صلي الله عليه و آله
255 اتكاء رسول الله صلي الله عليه و آله
256 الفصل السادس: في صفة كرمه صلي الله عليه و سلم و شجاعته

256	كرم رسول الله صلى الله عليه وآله
259	شجاعة رسول الله صلى الله عليه وآله
263	الباب السادس: في صفة عبادة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلاته، وصومه، وقراءته
263	اشارة
265	الفصل الأول: في صفة عبادته صلى الله عليه وسلم وصلاته
275	الفصل الثاني: في صفة صومه صلى الله عليه وسلم
281	الفصل الثالث: في صفة قراءته صلى الله عليه وسلم
285	الباب السابع: في أخبار شتّى من أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم
285	اشارة
287	الفصل الأول: في أخبار شتّى من أحواله صلى الله عليه وسلم
287	اشارة
288	وأما ريقه الشريف صلى الله عليه وسلم:
297	الفصل الثاني: في بعض أذكار وأدعية كان يقولها صلى الله عليه وسلم في أوقات مخصوصة
306	الفصل الثالث: في ثلاث مائة وثلاثة عشر حديثاً من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم
306	اشارة
307	حرف الهمزة
312	حرف الباء
313	حرف التاء
314	حرف الناء
315	حرف الجيم
315	حرف الحاء
316	حرف الخاء
317	حرف الدال
318	حرف الذال
319	حرف الراء

319	حرف الزَّاي ..
320	حرف السِّين ..
320	حرف الشَّين ..
320	حرف الصَّاد ..
321	حرف الضَّاد ..
321	حرف الطَّاء ..
321	حرف الظَّاء ..
321	حرف العين ..
322	حرف الغين ..
322	حرف الفاء ..
323	حرف القاف ..
323	حرف الكاف ..
325	حرف اللَّام ..
325	حرف الميم ..
330	حرف النَّون ..
331	حرف الهاء ..
331	حرف الواو ..
332	حرف اللَّام ألف ..
334	حرف الياء ..

337 الباب الثَّامن: في طِبِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَفَاتِهِ، وَرُؤْيَيْهِ فِي الْمَنَامِ ..

337 اشارة

339 الفصل الأوَّل: في طِبِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ..

339 اشارة

342 استطراد:

354 الفصل الثَّاني: في سَنَةِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَفَاتِهِ ..

354 سن رسول الله صلي الله عليه وآله

355 وفاة رسول الله صلي الله عليه وآله

378 الفصل الثالث: في رؤيته صلي الله عليه وسلم في المنام

381 الخاتمة

407 محتوى الكتاب

411 تعريف مركز

وسائل الوصول إلى شمائل الرسول صَلَّى الله عليه وآله و سلم

إشارة

وسائل الوصول إلى شمائل الرسول صَلَّى الله عليه وآله و سلم

نويسنده: يوسف بن اسماعيل نبهاني

ناشر: دارالمنهاج - بيروت لبنان

ص: 1

إشارة

بسم الله الرحمن الرحيم

ص: 3

وسائل الوصول إلى شمائل الرسول صَلَّى الله عليه وآله وسلّم

نويسنده: يوسف بن اسماعيل نبهاني

ناشر: دارالمنهاج - بيروت لبنان

ص: 4

وسائل الوصول إلى شمائل الرسول صَلَّى الله عليه وآله وسلّم

ص: 5

بقلم الدكتور محمد عبد الرحمن شميلة الأهدل (1)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

لقد حظي تاريخ العظماء بالاهتمام البالغ علي امتداد تاريخ الأمم الإنسانية، فدونت سيرهم وأخبارهم، ورصدت في جبين التاريخ حياتهم وشمائلهم، وأضاءت في سماء المعالي أخلاقهم، وارتوي التابعون من مناهلهم الروية، ورأوا أنّ ذلك هو المنهج الأقوم، والسبيل الذي لا اعوجاج فيه.

ولا مرأ أنّ أعظم عظماء الإنسانية علي الإطلاق، وأفضل المصطفين.. هو منقذ البشرية من الضلالة والعمي؛ من جعله الله تعالى الرحمة المهداة، وختم به الرسالات السماوية: أبو القاسم محمد بن عبد الله، النبي الأواه صلي الله عليه وسلم.

فهو أولي أن تدون شمائله، وأن تفرع الأسماع صفاته الخلقية والخلقية، وسمته وهديه، وأمره ونهيه.

ص: 7

(2)

لذلك دأب أولو العلم علي تقييد ذلك كله، وعنوا منذ فجر تاريخ الدعوة الإسلامية بكل ما يتصل به صَلَّى الله عليه و سلم من الأمور الشرعية، أو الشئون العادية، وكان ذلك بطريقة استيعابية، وأسلوب استقصائي، بحيث إن هذه المعارف الوفيرة جلت لنا تلك الشخصية الفريدة، بكل خصائصها وسماتها، فكانت هذه العلوم منارا تتراءى في ضيائه الشخصية المحمدية تزهو في حلل الكمال والجمال، وينبعث من تلك الذات أريج الجلال والهيبة والعظمة، وكيف لا تكون كذلك، وقد حلّي التنزيل الحكيم جيده بعقود المدح والتكريم، فقال له: وَ إِنَّكَ لَعَلِي خُلِقَ عَظِيمٌ .

(3)

و لأنّ الرّعيّل الأول من الصّحب الكرام هم الجيل المثالي؛ لأنّهم خرّيجو مدرسة النّبوة، الّذين تلقّفوا الفرقان غصّنا طريّا من في رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم، وإتّهم كانوا أشدّ الخلق هيبة له، وأكثرهم أدبا معه، وأعظمهم إجلالا له و توقيرا.. من أجل ذلك لم يكونوا يرفعون أبصارهم إلي محيّا هيبه و إجلالا، وإعظاما و إكبارا.

و إذا تأملنا معظم أحاديث الشّمائل التي تحكي صفات رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم الخلقية.. نجد أن رواتها من الصّحابة أحد اثنين:

ص: 8

إمّا من الصّحابة صغار الأسنان ممّن لم يكونوا يدركون تماما العظمة النبويّة، وما يجب له من الحقوق، فيدفعهم ذلك إلى الحملقة في الذات المحمّديّة علي وجه يمكنهم من وصفها الوصف الدقيق.

وإمّا أن يكون من أولئك الذين هم قريبو عهد بالإسلام، أو من الأعراب الذين لم يفقهوا بعد آداب الإسلام، وما يجب عليهم تجاه الشخصية النبويّة.

(4)

ولا مرأ أن الصّحابة الكرام ما تركوا شيئا من أخبار المصطفى صلّي الله عليه وسلّم.. إلا وقيدوه، ولا شيئا عن هيئته وسمته ولبسه و طعامه و شرابه وغير ذلك.. إلا ورووه، ولا صفة تكسب المحبة و الاتّباع.. إلا و أذاعوها، ذلك لأنّ محبّته عليه الصّلاة و السّلام.. عبادة، و التّأسّي به.. علامة علي تلك المحبّة. و قديما قيل:

تعصي الحبيب و أنت تزعم حبّه إنّ المحبّ لمن يحبّ مطيع

و لقد حملت المحبة الأكيدة الصّادقة أنس بن مالك اتّباع المحبوب فيما كان شرعا أو عادة، بل و فيما أملتة الطبيعة البشريّة.

ففي «الصّحيح» وغيره قال أنس: رأيت رسول الله صلّي الله عليه وسلّم يتتبع الدّباء في القصعة فما زلت أحبّ الدّباء من يومئذ.

وإذا كان هذا حالهم في شئون العادات، فكيف يكون حالهم في أمور الشّرع و العبادات؟

ص: 9

لا شك أنّهم كانوا أشدّ تمسّكا بالهدي النبويّ، و تطبيقه بحذافيره و كذلك كان الأمر.

و هذا أبو أيّوب الأنصاريّ لما رأى رد رسول الله صلّي الله عليه و سلّم الطّعام الذي فيه الثّوم، كره هذه الشّجرة و عاها حتّي الممات، و ما هذا إلاّ لما أشرب قلبه من حبّ الصّادق المصدوق صلّي الله عليه و سلّم، فتولّد عن ذلك التّأسي به في كلّ صغيرة و كبيرة.

(5)

و بناء علي ذلك: فإنّ من لازم المحبّة.. الاتّباع الكامل، و الاقتفاء الشّامل لمن جاءنا بالشّرع المطهّر، و التّأسي بشخصيّته في شئون الحياة جميعها، هذا هو الاتّباع.

أمّا من يزعم محبّته و يدّعي ذلك، و هو مخالف لسيرته، متراخ عن أمره، واقع في نهيه.. فهذا الصّدّ نبيع علامة علي زيف دعواه، و دليل صريح علي تحبّطه في ظلام العصيان، فالسفينة لا تجري علي أرض يابسة.

ترجو التّجاة و لم تسلك مسالكها إنّ السفينة لا تجري علي اليبس

(6)

و إذا كنّا في عصرنا الحاضر المتموّج بالغرائب و العجائب نشاهد كثيرا من المعنّيين بالتّراث يعرضون شمائل شخصيّات لا خلاق لها، و ليس لها في ميزان الفضائل مثقال حبة من خير، و يعظّمون آثارهم التي تركوها،

ص: 10

و يذيعون ذلك في الرّائي وغيره، ويشيرون الصّجيج الإعلاميّ حول هذه الشّخصيات؛ مع أنها ليس لها وزن، ولا قيمة أخلاقية، وقد تكون شخصيّة ملحدة، لا تؤمن بخالقها، وليس عندها ذرّة من إيمان.. ألا يجدر بنا معشر الأمة الإسلاميّة أن نستعرض شمائل المصطفى صلّي الله عليه و سلّم، ونكرّر ذكرها كلّما عنّت فرصة أو سنع وقت؟ إفإنّ ذلك ادعي إلي حسن الاقتداء، و باعث علي جميل الاقتفاء.

و إذا كان المولي تقدست أسماؤه فد قال لرسوله صلّي الله عليه و سلّم علي إثر ذكر سير المصطفين الأخيار: وَ كَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ، فما أحرانا و نحن الخطّاءون أن نستعرض شمائل رسول الله صلّي الله عليه و سلّم، و سمته، و هديه؛ فإنّ في ذلك تثبيتا لأفئدتنا، و ازديادا لإيماننا، و تقوية لمحبتنا، و إنارة لأفكارنا.

لذلك كلّ. فإنّ فنّ (الشّمائل المحمديّة) الّذي يرسل الصّوء علي صفاته البهيّة، و محاسنه العليّة، و أخلاقه الزكيّة.. من الفنون المباركة العظيمة، و العلوم الشريفة الثمينّة؛ لأنّه وسيلة من وسائل ازدياد الإيمان، و طريق مؤدّ إلي امتلاء القلب بتعظيمه و محبّته، و اقتفاء هديه و سنّته، و تعظيم شعائر ملّته، و في ذلك السعادة في الدارين.

هذا و إنّ من أجمع ما ألف في الشّمائل، و أوسع ما وصلنا في هذا الباب كتاب: (وسائل الوصول إلي شمائل الرّسول صلّي الله عليه و سلّم).. إذ هو سفر عظيم المقدار، كثير النّفع، متّسم بالاستيعاب، مشتمل علي ما يصبو إليه الأحباب.

أشرفت من سطورهِ أنوارِ التَّحقيقِ، و سالت من صفحاتهِ أعذب الصِّفات لسَيِّد السَّادات صَلَّى اللهُ عليه و سلَّم.

كيف لا، و مؤلِّفه صاحب القلم السَّيِّال، و السَّحر الحلال:

أبو المحاسن يوسف بن إسماعيل التَّبهانِي، الَّذِي طارت بمؤلِّفاتهِ الرُّكبان، و وقف نشاطه علي خدمة السَّيرة المحمَّديَّة و السَّنة الغراء، و فاز بالشرف المؤبَّد، و الأجر الَّذِي لا ينفد.

و بعد: فإليكم أحبَّاءنا الأكارم السَّمائل المحمَّديَّة، تتبختر في حللها القشبيَّة، و تشعّ منها الأنوار المحمَّديَّة، و تجلِّي لنا أحاديثه الشَّخصيَّة الَّتِي اختارها اللهُ تعالى لتكون هديَّة إلي الإنسانيَّة جمعاء، إنَّها تكشف لنا عن سمات و هيئة صاحب اللِّواء المحمود، و الحوض المورود، و الشِّفاعة و الجود، صَلَّى اللهُ عليه و سلَّم علي آله و صحبه ما ارتفع إلي السَّماء أذان، و ما لهج بكلمة التَّوحيد مسلم.

و قد دأبت دار المنهاج علي إخراج التَّراث الإسلاميِّ سليما محقِّقا، و حملت علي عاتقها أمانة نشر العلم النَّافع، و رفع لوائه؛ تبصيرا للنَّاس، و مساهمة في نشر الدَّعوة، و تقريبا للعلوم الشَّرعيَّة. و اللهُ تعالى من وراء القصد.

د. محمَّد عبد الرحمن شميلة الأهدل

ص: 12

ترجمة الشيخ يوسف بن إسماعيل بن النبهاني رحمه الله تعالى

هو الأديب الشاعر المفلق، العلامة المتقن الورع، الحجّة التّقي العابد، المحبّ الصّادق، المتفاني في حبّ رسول الله صلي الله عليه وآله و سلم، المكثّر من مدائحه؛ تأليفاً و نقلاً و رواية و إنشاءً و تدويناً.

ناصر الدّين، أبو الفتوح و أبو المحاسن يوسف بن إسماعيل بن يوسف إسماعيل بن محمّد بن ناصر الدّين النّبّهاني؛ نسبة لبني نبهان (1).

و كانت ولادته في قرية (اجزم) يوم الخميس سنة (1265 هـ).

حفظ القرآن علي والده، و كان شيخاً معمّراً بلغ الثمانين، و كان والده مرآة للقدوة الصالحة، فقد كان يختم كل ثلاثة أيام ختمة، مع محافظة علي ضروب الطاعات، و استغراق الأوقات في القربات، مما كان له أبلغ الأثر في تكوين هذا الناشئ الذي تغذي بلبان الهدى و التّقي بين يدي والده الصالح، في تلك البيئة النقية الطاهرة.

ص: 13

1- قوم من عرب البادية، نزلوا بقرية (اجزم) بصيغة فعل الأمر، و هي قرية واقعة في الجانب الشمالي من أرض فلسطين؛ تابعة لقضاء (حيفا) من أعمال (عكا).

ولمّا أتمّ حفظ القرآن الكريم و حفظ بعض المتون.. أرسله والده إلي مصر-و كان عمره إذ ذاك سبع عشرة سنة-فالتحق بالأزهر الشريف في غرة محرم الحرام سنة(1283 هـ)، و جاور في رواق الشوام، و دأب علي الدرس و التحصيل، و تلقى العلم من كبار الأئمة و جهابذة علماء الأمة، و كان موفقا حسن الاختيار و الاهتداء إلي الراسخين في العلم المحققين في المعقول و المنقول، الذين لا يشق لهم غبار أمثال:

الشيخ إبراهيم السقا الشافعي(ت 1298 هـ).

و الشيخ محمد الدمهوري الشافعي(ت 1286 هـ).

و الشيخ إبراهيم الزرو الخليلي الشافعي(ت 1287 هـ).

و الشيخ أحمد الأجهوري الضرير الشافعي(ت 1293 هـ).

و الشيخ عبد الهادي نجا الأبياري الشافعي(ت 1305 هـ).

و الشيخ أحمد راضي الشرقاوي الشافعي.

و الشيخ مصطفى الإشرافي الشافعي.

و الشيخ صالح أجبواوي الشافعي.

و الشيخ محمد العشماوي الشافعي.

و الشيخ محمد شمس الدين الأنباي الشافعي(شيخ الجامع الأزهر).

و الشيخ عبد الرحمن الشربيني الشافعي.

و الشيخ أحمد البابي الحلبي الشافعي.

-و الشيخ شريف الحلبي الحنفي.

و الشيخ فخر الدين اليانيه وي الحنفي.

و الشيخ عبد القادر الرافي الطرابلسي الحنفي (شيخ رواق الشوام).

و الشيخ حسن العدوي المالكي (ت 1298 هـ).

و الشيخ محمد رؤية المالكي.

و الشيخ حسن الطويل المالكي.

و الشيخ محمد البسيوني المالكي.

و الشيخ يوسف البرقاوي الحنبلي (شيخ رواق الحنابلة).

رحمهم الله تعالى و جزاهم عن الأمة المحمدية أحسن الجزاء.

ثم بدا لصاحب الترجمة أن يسافر من مصر ليساهم في خدمة الإسلام، وقد علا كعبه، و بزغ نجمه و رسخ في علمي المعقول و المنقول في أسلوب عال، هو السحر الحلال.. يخاله الناظر فيه سهلا و هو بعيد المنال.. فرجع في رجب سنة (1289 هـ)، و أقام في مدينة عكا ينشر العلم، فأفاد المسلمين، و أعلي منار الدين.

ثم في سنة (1292 هـ) رحل إلي الشام و اجتمع علي جماعة من العلماء؛ من أجلهم الإمام الفقيه المحدث البارع مفتي الشام السيد محمود أفندي الحمزاوي، فأجازه بإجازة مطولة بجميع مروياته بعد أن قرأ عليه في منزله بحضور جملة من طلبة العلم الشريف.

و جال في بلاد الشرق العربي ثم دخل الآستانة و الموصل و حلب و ديار بكر و شهرزور و بغداد و سامراء و بيت المقدس و الحجاز.

و تقلد القضاء في ولايات الشام، حتي صار رئيسا في محكمة الحقوق العليا ببيروت و ذلك سنة (1305 هـ).

و حج عام ألف و ثلاثمائة و عشرة، ثم دخل الحجاز بعد ذلك و أقام بالمدينة المنورة مدة.

و ألف المؤلفات النافعة التي سارت بها الركبان و انتشرت في سائر البلدان، و قد فاقت علي السنين كتابا في مختلف الفنون و العلوم.. و قد عظم ذكره بما صنف و ابتكر، و نظم و نثر، و طبع و نشر، خصوصا في الجانب المحمدي الأعظم؛ فقد خدم السيرة المحمدية و الجناح النبوي أرفع الخدمات و وقف حياته علي ذلك، فنشر و كتب ما لم يتيسر لغيره في عصرنا هذا و لا عشر معشاره.. و ذلك لإخلاصه رحمه الله تعالى..

و لما أحيل إلي المعاش.. شدّ أزره و شمر عن ساعد الجد، و أقبل علي العبادة بهمة عالية و عزيمة صادقة، و قلب دائم علي الذكر و تلاوة القرآن و كثرة الصلاة علي رسول الله صلي الله عليه و سلم، فأحيا ليله و نهاره بإقامة الفرائض و نوافل الطاعات، لا يفتر و لا يسأم، حتي عدّ ما يقوم به من خوارق العادات.

و كانت أنوار العبادة و تعظيم السنة و العمل بها ظاهرة علي وجهه المبارك.. و لم يزل علي الحال المرضي حتي دعاه مولاه.. فأجابته و لباه..

وكانت وفاته في بيروت في أوائل شهر رمضان الكريم سنة (1350 هـ) عن عمر يناهز الخمس و الثمانين، وهو قوي البدن، تام الصحة، مستوف لقراءة أوراده، و ما اعتاده من الطاعات و أعمال الخير.

أجزل الله ثوابه، وألحقنا به علي الإيمان الكامل في غير ضراء مضرة، و لا فتنة مضلة، بفضلله و رحمته..امين.

ص: 17

لقد توافرت الدواعي لخدمة هذا الكتاب المبارك، لكونه من أجلّ ما أُلّف في شمائل سيد الأنام محمد صلي الله عليه وآله وسلم، إلا أنه ينبغي لنا أن ننبه علي ما يلي:

1- لقد أضربنا عن تخريج الأحاديث النبوية والأخبار والآثار المروية في هذا الكتاب.. وذلك لأمرين:

أولهما: أن ذلك سيقطع متعة القراءة المركزة المتواصلة علي القارئ، فالتخريج موضوع متخصص له رجاله وأهله.

الأمر الثاني: إحالة القارئ الكريم إلي كتاب «منتهي السؤل» للشيخ عبد الله اللحجي الذي شرح فيه هذا الكتاب «وسائل الوصول» أيما شرح، وفي أربعة مجلّدات ضخام؛ و يكفي أن نعلم أن اللحجي رحمه الله تعالى قد استغرق في تأليفه (25 سنة)، فضبط عباراته، و شرح كلماته، و خرج أحاديثه، بتفصيل و بسط، مع إضافة فوائد، و تقييد شوارد، و كذلك بإتمام مباحثه، و توسيع دائرته.

2- و لأننا نريد أن يستفيد الجميع من هذا الكتاب بحول الله و قوته..

ضبطنا الكتاب بالشكل الكامل، مع وضع علامات الترقيم المناسبة، و كذلك شرحنا العبارات الغريبة أو الغامضة حتي يستوعب المعني، و يتضح المبني.

هذا كله..بالإضافة إلي أنافة الطبع، وحسن الإخراج.

وعليه:فإن البداية لمن أراد التحليق عاليا في شمائل الرسول صلي الله عليه وآله وسلم..في كتابنا هذا«وسائل الوصول»،والنهاية في «منتهي السؤل»للشيخ عبد الله بن سعيد اللحجي،وهو أيضا من منشورات دار المنهاج.

وفي الختام:الله تعالي نسال وهو صاحب الإحسان أن يتمم لنا الإحسان،وأن يشملنا بالغفران،وأن يصلح لنا كل شأن.

وصلي الله علي سيدنا محمد وآله وصحبه و من تبعهم بإحسان.

الناشر في ربيع الأنور(1423 هـ)

ص: 20

صورة عن المخطوط المستعان به في إخراج الكتاب

ص: 21

وسائل الوصول إلى شمائل الرسول صلي الله عليه وسلم تأليف الشيخ العالم العلامة المحدث يوسف بن إسماعيل النبهاني رحمه الله
تعالى 1265 هـ - 1350 هـ

ص: 25

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، حمدا يوافي نعمه، ويكافئ مزيده، و يضاهي كرمه.

وأشهد ألا إله إلا الله الملك الحق المبين، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله سيد الخلق أجمعين.

اللهم؛ صلّ أفضل صلاة و أكملها، وأدومها، وأشملها، علي سيدنا محمد عبدك الذي خصصته بالسيادة العامة، فهو سيد العالمين علي الإطلاق، ورسولك الذي بعثته بأحسن الشرائع وأوضح الدلائل؛ ليتمم مكارم الأخلاق.

صلاة تناسب ما بينك وبينه من القرب الذي ما فاز به أحد، وتشاكل ما لديكما من الحب الذي انفرد به في الأزل والأبد.

صلاة لا يعدّها ولا يحدها قلم ولا لسان، ولا يصفها ولا يعرفها ملك ولا إنسان.

صلاة تسود كافة الصلوات كسيادته علي كافة المخلوقات. صلاة يشملني نورها من جميع جهاتي في جميع أوقاتي، ويلزم ذراتي في حياتي وبعد مماتي.

و علي آله الأطهار، وأصحابه الأخيار، وسلّم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فقد خطر لي أن أجمع كتاباً أجعله وسيلة لبلوغي من رضا الله تعالى ورسوله المرام، وذريعة للانتظام في سلك (1) خدامه عليه الصلاة والسلام.

ثم نظرت إلي قلة علمي، وضعف فهمي، وكثرة ذنوبي، ووفرة عيوبِي.. فأحجمت (2) أحجام من عرف حدّه فوقف عنده، ثم تخطّرت (3) سعة الكرم، وكوني من أمة هذا النبيّ الكريم.. فأقدمت إقدام الطفل علي الأب الشّقيق الحليم، بعد أن سمعت قول الله تعالى: لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ [التوبة: 128].

فكم من أعرابيّ فدم (4)، لا أدب له ولا فهم، ولا عقل له ولا علم، ولا كرم ولا حلم.. قابل جنابه الشّريف بما غضب له المكان والزّمان، وخاطبه بما عبس له وجه السّيف واحتدّ له لسان السّنان (5) فكان جوابه الإغضاء (6)، والعفو عمّن أساء، بل أدناه وقربه، وما لأمه وما آتبه، بلة.

ص: 28

-
- 1- أصل معناه: الخيط، ومقصوده بذلك التقرب إليه صلي الله عليه وسلّم حتي يكون معدوداً من جملة خدامه.
 - 2- أي: كففت عن ذلك وتوقفت.
 - 3- أي: تذكرت.
 - 4- أي: عيبِي عن الكلام في ثقل ورخاوة وقلة فهم.
 - 5- هو نصل الرّمح.
 - 6- أي: الإمساك وعدم المؤاخذه.

أفرغته أخلاقه المحمّديّة في قالب كيمياء بأيادي الإحسان (1)، حتّى اضمحلت حدّة ذلك الوحش و انقلبت حديدته جوهره إنسان، فتبدّل بغضه بالحبّ، وبعده بالقرب، وحره بالسّلم، و جهله بالعلم.

و استحال إنسانا بعد أن كان ثعبانا، و صار حبيبا بعد أن كان ذيبا.

فهذا و أمثاله من شواهد مكارم أخلاقه صلّي الله عليه و سلّم..

أطمعني بإمكان قبولي في جملة خدمه، و دخولي في عداد حشمه، و لا يبعد عن سعة كرم الله تعالى أن يهب لي إكراما لرسوله فوق ما أمّلته من الرضا و القبول.

و ها أنا قد توكلت عليه سبحانه، و قبضت قبضة من أثر الرّسول، فجمعت هذا الكتاب من آثاره في شمائله الشّريفة صلّي الله عليه و سلّم، و أدخلت فيه جميع الشّمائل التي رواها الإمام الحافظ أبو عيسى محمّد بن عيسى التّرمذيّ رضي الله تعالى عنه بعد حذف مكرّرها و أسانيدها، و لم أتقيد بترتيبه و تبويبه، بل سلكت أسلوبا غير أسلوبه، و أضفت إليها من كتب الأئمّة الآتي ذكرهم أكثر منها بكثير، و ألحقت بغريب الألفاظ ما تدعو إليه الحاجة من ضبط أو تفسير. فجاء كتابا حافلا ليس له في بابه نظير.

و سمّيته:

«وسائل الوصول إلي شمائل الرسول» ل.

ص: 29

1- المراد بذلك: تهذيب النفس باجتتاب الرذائل و اكتساب الفضائل.

و هذا بيان الكتب التي نقلته منها، ورويته عنها:

- 1- «كتاب الشمائل» للإمام الترمذي.
- 2- «المصابيح» للإمام البغوي.
- 3- «الإحياء» للإمام الغزالي.
- 4- «الشفاء» للقاضي عياض.
- 5- «التهذيب» للإمام التتوي.
- 6- «الهدى النبوي» (1) للإمام محمد ابن أبي بكر الشهير بابن قيم الجوزية.
- 7- «الجامع الصغير» للإمام السيوطي.
- 8- و«شرحه» للإمام العزيمي (2).
- 9- «المواهب» للإمام القسطلاني (3).
- 10- «كشف الغمة» للإمام الشعراني.
- 11- «طبقات الأولياء» (4).
- 12- و«كنوز الحقائق» للإمام المناوي. ي.

ص: 30

-
- 1- المسمي: «زاد المعاد في هدي خير العباد».
 - 2- المسمي: «السراج المنير شرح الجامع الصغير».
 - 3- المسمي: «المواهب اللدنية بالمنح المحمدية».
 - 4- المسمي: «الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية»؛ و هو للإمام المناوي رحمه الله تعالى.

13-«حاشية الشّمائِل» (1) لشيخ مشايخي، أستاذ الأستاذين، خاتمة العلماء العاملين: الشّيخ إبراهيم الباجوريّ رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

فهذه أصوله، لم يخرج عنها شيء منه. اللهم إلا أن يكون ذلك في تفسير الغريب، فإنّي راجعت فيما لم أجده فيها كتب اللّغة، وذلك نزر يسير.

وقد ذكرت في بعض «الشّمائِل» اسم الصّحابيّ راوي الحديث و الإمام المخرّج له، وفي بعضها اسم الصّحابيّ فقط، ولم أذكر في بعضها غير متن الحديث تابعا في جميع ذلك الأصول المذكورة.

وقد رتبته علي مقدّمة (2)، وثمانية أبواب، وخاتمة.

المقدّمة تشتمل علي تنبيهين:

التّنبية الأوّل: في معني لفظ الشّمائِل.

والتّنبية الثّاني: في الفوائد المقصودة من جمع شمائله صلّي الله عليه وسلّم. ا.

ص: 31

1- المسماة: «المواهب اللدنية علي الشمائِل المحمدية».

2- بفتح الدال و كسرهما معا.

الباب الأول: في نسب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأسمائه الشريفة، وفيه فصلان:

الفصل الأول: في نسبه الشريف صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الفصل الثاني: في أسمائه الشريفة صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الباب الثاني: في صفة خلقه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما يناسبها من أوصافه الشريفة، وفيه عشرة فصول:

الفصل الأول: في جمال صورته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما شاكلها.

الفصل الثاني: في صفة بصره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وافتحاله.

الفصل الثالث: في صفة شعره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وشيبه وخصابه، وما يتعلّق بذلك.

الفصل الرابع: في صفة عرقه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورائحته الطبيعية (1).

الفصل الخامس: في صفة طيبه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتطيّبه.

الفصل السادس: في صفة صوته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الفصل السابع: في صفة غضبه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسروره.م.

ص: 32

1- يعني: من غير أن يمَسَّ طيبا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

-الفصل الثامن: في صفة ضحكك صلي الله عليه و سلم و بكائه و عطاسه.

الفصل التاسع: في صفة كلامه صلي الله عليه و سلم و سكوته.

الفصل العاشر: في صفة قوته صلي الله عليه و سلم.

الباب الثالث: في صفة لباس رسول الله صلي الله عليه و سلم و فراشه و سلاحه، وفيه ستة فصول:

الفصل الأول: في صفة لباسه صلي الله عليه و سلم؛ من قميص و إزار و رداء و قلنسوة (1) و عمامة و نحوها.

الفصل الثاني: في صفة فراشه صلي الله عليه و سلم و ما يناسبه.

الفصل الثالث: في صفة خاتمه صلي الله عليه و سلم.

الفصل الرابع: في صفة نعله صلي الله عليه و سلم و خفه.

الفصل الخامس: في صفة سلاحه صلي الله عليه و سلم.

الفصل السادس: كان من خلقه صلي الله عليه و سلم أن يسمي سلاحه و دوابه و متاعه.

الباب الرابع: في صفة أكل رسول الله صلي الله عليه و سلم و شربه و نومه، وفيه ستة فصول:).

ص: 33

1- غشاء مبطن يستر الرأس، يقال لها في عرفنا: (طاقية أو كوفية).

-الفصل الأول: في صفة عيشه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخَبْرِهِ.

الفصل الثاني: في صفة أكله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِدَامِهِ (1).

الفصل الثالث: فيما كان يقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ الطَّعَامِ وَبَعْدَهُ.

الفصل الرابع: في صفة فاكهته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الفصل الخامس: في صفة شربه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْحِهِ.

الفصل السادس: في صفة نومه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الباب الخامس: في صفة خلق رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَلْمِهِ، وَعَشْرَتِهِ مَعَ نِسَائِهِ، وَأَمَانَتِهِ وَصَدَقَتِهِ، وَحَيَاتِهِ وَمَزَاحِهِ، وَتَوَاضَعِهِ وَجُلُوسِهِ، وَكِرْمِهِ وَشَجَاعَتِهِ، وَفِيهِ سِتَّةُ فُصُولٍ:

الفصل الأول: في صفة خلقه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَلْمِهِ.

الفصل الثاني: في صفة عشرته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ نِسَائِهِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُنَّ.

الفصل الثالث: في صفة أمانته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَدَقَتِهِ.

الفصل الرابع: في صفة حياته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَزَاحِهِ.

الفصل الخامس: في صفة تواضعه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجُلُوسِهِ ١.

ص: 34

1- ما يساغ به الخبز ويصلح به الطعام جامدا كان أو سائلا.

-الفصل السادس: في صفة كرمه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ و شجاعته.

الباب السادس: في صفة عبادة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ و صلواته. و صومه، و قراءته، و فيه ثلاثة فصول.

الفصل الأول: في صفة عبادته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ و صلواته.

الفصل الثاني: في صفة صومه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الفصل الثالث: في صفة قراءته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الباب السابع: في أخبار شتّى من أحوال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، و بعض أذكار و أدعية كان يقولها في أوقات مخصوصة، و ثلاث مائة و ثلاثة عشر حديثاً من جوامع كلمه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، و فيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: في أخبار شتّى من أحواله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الفصل الثاني: في بعض أذكار و أدعية كان يقولها صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أوقات مخصوصة.

الفصل الثالث: في ثلاث مائة و ثلاثة عشر حديثاً من جوامع كلمه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الباب الثامن: في طبه صَلَّى الله عليه و سلم، و سنّه و وفاته، و رؤيته في المنام، و فيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: في طبه صَلَّى الله عليه و سلم.

الفصل الثاني: في سنّه صَلَّى الله عليه و سلم و وفاته.

الفصل الثالث: في رؤيته صَلَّى الله عليه و سلم في المنام.

الخاتمة: تشتمل علي خمسين حديثا، أكثرها صحاح و حسان من أدعيته صَلَّى الله عليه و سلم (1).

و أسأل الله العظيم ربّ العرش الكريم أن يجعل هذا الكتاب من أفضل الحسنات الجاري نفعها في الحياة و بعد الممات، بجاه نبيّه سيّد الرّسل الكرام، عليه و عليهم الصّلاة و السّلام.ة.

ص: 36

1- و هذه الأدعية منقسمة إلي قسمين: استعاذات، و دعوات، معتبرا فيها أول الحديث، فما كان استعاذة جعل في القسم الأول؛ و ما كان دعاء جعل في القسم الثاني. و أفتتحها بالدعوات القرآنية.

إشارة

وهي تشمل علي تنبيهين

ص: 37

التنبية الأول: في معنى لفظ الشمال

هي في الأصل: الأخلاق و الطّباع.

قال في «القاموس»: (الشّمال: الطّبع، و الجمع: شمائل) اه و قال في «لسان العرب»: (مفردها: شمال؛ بكسر الشّين.

قال جرير:

..... و ما لومي أخي من شماليا (1)

و قال صخر أخو الخنساء:

أبا الشّتم إنّي قد أصابوا كريمتي و أن ليس إهداء الخنا من شماليا (2)

و قال اخر (3):

هم قومي و قد أنكرت منهم شمائل بدّلوها من شمالي

أي: أنكرت أخلاقهم).

ص: 39

1- و البيت بتمامه: ألم تعلم أنّ الملامة نفعها قليل و ما لومي أخي من شماليا

2- الخنا: فاحش الكلام.

3- أي: لبيد بن ربيعة العامري.

ثم قال في مادتها أيضا: (والشمال: خليفة الرجل (1)، وجمعها:

شمائل. وإنها لحسنة الشمائل، ورجل كريم الشمائل؛ أي: في أخلاقه و مخالطته) اه

وقد استعمل علماء الحديث الشمائل في أخلاقه الشريفة صلى الله عليه وسلم علي أصلها، وفي أوصاف صورته الظاهرة أيضا علي سبيل
المجاز فاعلم ذلك. ه.

ص: 40

1- أي: طبيعته و سجيته.

التنبية الثاني: في الفوائد المقصودة من جمع شمائله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

ليس المقصود من جمع شمائله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مجرد معرفة علم تاريخي تميل إليه النفوس، وتجنح إليه القلوب، ويتحدث به في المجالس، ويستشهد به علي المقاصد، ونحو ذلك من الفوائد.

وإنما المقصود من جمع شمائله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فوائد أخري مهمّة في الدين.

منها: التلذذ بصفاته العليّة وشمائله الرضيّة صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ومنها: التقرب إليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واستجلاب محبّته ورضاه بذكر أوصافه الكاملة وأخلاقه الفاضلة، كما يتقرّب الشاعر إلي الكريم بذكر أوصافه الجميلة، وخصاله النبيلة.

ولا شك أنّ جمع شمائله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونشرها.. هو أفضل وأكمل من مدحه بالقصائد، وقد رضي عمّن مدحه بها ك: حسان، و عبد الله بن رواحة، وكعب بن زهير رضي الله تعالى عنهم، وكأفاهم علي ذلك.

فلا شكَّ أنّه يرضي عمّن يعتني بجمع شمائله ونشرها صلّي الله عليه وسلّم.

ومنها: تعرّضنا لمكافأته صلّي الله عليه وسلّم علي إحسانه إلينا، وإنقاذه إيّانا من ظلمات الضلال إلي أنوار الهدى، ومن الشقاوة الأبدية إلي السعادة السرمديّة، وهذه نعمة كبرى لا تمكن مقابلتها بشيء، ولا يقدر علي مكافأته عليها إلاّ الله تعالى.

فجزاه الله تعالى عنّا أفضل ما جزى به مرسلًا عمّن أرسل إليه، فإنّه أنقذنا به من الهلكة (1)، وجعلنا من خير أمة أخرجت للناس، دائنين بدينه الذي ارتضى واصطفي به ملائكته، ومن أنعم عليه من خلقه، فلم تمس بنا نعمة ظهرت ولا بطننا نلنا بها حظًا في دين و دنيا، أو رفع بها عنّا مكروه فيهما، أو في أحد منهما.. إلاّ ومحمّد صلّي الله عليه وسلّم سببها القائد إلي خيرها، والهادي إلي رشدّها.

وهذه العبارة من قوله: (..فجزاه الله...إلي اخرها) عبارة إمامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه نقلتها من «رسالته» (2) التي رواها عنه صاحبه الرّبيع بن سليمان رحمه الله تعالى.

ومنها: أنّ معرفة شمائله الشريفة تستدعي محبّته صلّي الله عليه وسلّم؛ لأنّ الإنسان مجبول علي حبّ الصّفات الجميلة و من اتّصف بها، و لا أجمل و لا أكمل من صفاته صلّي الله عليه وسلّم.ه.

ص: 42

1- أي: الهلاك، وهو ظلمة الكفر.

2- المسمّاة ب«الرسالة» وهي في أصول الفقه.

فلا شك أنّ من يطّلع عليها ولم يكن مطبوعاً علي قلبه بطابع الضلال.. يحبّ صاحبها صلّي الله عليه و سلّم بيقين، و بمقدار زيادة محبّته و نقصها تكون زيادة الإيمان و نقصه، بل رضا الله تعالى و السعادة الأبدية، و نعيم أهل الجنة و درجاتهم فيها، جميع ذلك يكون بمقدار محبة العبد له صلّي الله عليه و سلّم زيادة و نقصاً، كما أنّ سخط الله تعالى، و الشقاوة الأبدية و عذاب أهل النار و دركاتهم فيها.. يكون بمقدار بغضه صلّي الله عليه و سلّم، زيادة و نقصاً.

و منها: اتّباعه و الاقتداء به لمن وفقه الله تعالى فيما يمكن به الاقتداء؛ كسخائه و حلمه، و تواضعه، و زهده، و عبادته، و غيرها من مكارم أخلاقه، و شرائف أحواله صلّي الله عليه و سلّم، و ذلك مستوجب لمحبة الله تعالى التي فيها سعادة الدارين.

قال تعالى: قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ [آل عمران: 31].

جعلنا الله تعالى من المتّبعين له صلّي الله عليه و سلّم في شرعه القويم، و صراطه المستقيم، و حشرنا تحت لوائه، في زمرة أهل محبّته، عليه و عليهم الصلّاة و التسليم.

الباب الأول: في نسب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَسْمَاءِ الشَّرِيفَةِ وَفِيهِ فَصْلَان

إشارة

ص: 45

الفصل الأول: في نسبه الشريف صَلَّى اللهُ عليه و سلم

هو سيدنا محمد رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و سلم ابن عبد الله بن عبد المطلب (1) بن هاشم (2) بن عبد مناف (3) بن قصي (4) بن كلاب (5) بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر (6) بن مالك بن النضر (7) بن كنانة بن

ص: 47

- 1- واسمه: شيبه الحمد، وكنيته: أبو الحارث، سمي ب«عبد المطلب» لأن عمه المطلب جاء به إلي مكة رديفه، وهو بهيئة رثة، فكان يسأل عنه فيقول: (هو عبدي)؛ حياء من أن يقول ابن أخي، فلما أدخل مكة وأصلح من حاله.. أظهر أنه ابن أخيه؛ فلذلك قيل له: «عبد المطلب»..
- 2- واسمه: عمرو، وإنما قيل له: «هاشم»؛ لأنه كان يهشم الثريد لقوته في الجذب.
- 3- واسمه: المغيرة، لقب بذلك لأن أمه حبيي أخدمته صنما عظيما لهم يسمي: «مناة»، ثم نظر أبوه فرآه يوافق عبد مناة بن كنانة، فحوله «عبد مناف».
- 4- واسمه: مجمع، ولقب بذلك لأنه بعد عن عشيرته في بلاد قضاة حيث احتملته أمه فاطمة بنت سعد العذري في قصة طويلة.
- 5- واسمه: حكيم، ولقب ب«كلاب» لمحبهته كلاب الصيد، فكان يجمعها.
- 6- واسمه: قريش، وإليه تنسب قبائل قريش.
- 7- واسمه: قيس، ولقب ب«النضر» لنضارة وجهه وإشراقه وجماله.

خزيمة بن مدركة (1) بن إلياس بن مضر بن نزار (2) بن معد بن عدنان.

إلي هنا إجماع الأمة، وما بعده إلي آدم لا يصح فيه شيء يعتمد (3).

وقد كان رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم إذا انتسب.. لم يجاوز في نسبه معد بن عدنان بن أد، ثم يمسك ويقول: «كذب السّابون»؛ قال الله تعالى وَفُرُونَا بَيِّنَ ذَلِكَ كَثِيرًا [الفرقان: 38].

وهذا التّسب أشرف الأنساب علي الإطلاق.

فعن العباس رضي الله تعالى عنه أنّ النَّبِيَّ صَلَّى الله عليه و سلم قال:

«إنّ الله خلق الخلق فجعلني من خيرهم، ثمّ تخيّر القبائل فجعلني من خير قبيلة، ثمّ تخيّر البيوت فجعلني من خير بيوتهم، فأنا خيرهم نفساً و خيرهم بيتاً».

وعن واثلة بن الأسقع رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم: «إنّ الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، ت.

ص: 48

1- واسمه: عمرو، ولقب ب«مدركة» لإدراكه كل عز و فخر كان في آباءه.

2- واسمه: خلدان، ولقب ب«نزار» لأنه لما ولد و نظر أبوه إلي نور محمد صَلَّى الله عليه و سلم بين عينيه.. فرح فرحاً شديداً و نحر و أطعم، و قال: إن هذا كله نزر أي قليل -لحقّ هذا المولود. فسمي: نزاراً) لذلك.

3- وقد اختلف فيما بين عدنان و إسماعيل اختلافاً كثيراً، و من إسماعيل إلي آدم متفق علي أكثره، وفيه خلف يسير في عدد آباءه و كذلك في ضبط بعض الأسماء. و قد جمع السيد العلامة عمر بن علوي ابن أبي بكر الكاف، أسماء آباءه صَلَّى الله عليه و سلم من عدنان إلي آدم مع نبذة يسيرة عنهم في كتاب أسماه «الصرح الممرد و الفخر المؤبد لآباء سيدنا محمد»، و قد صدر عن دار الحاوي-بيروت.

و اصطفي من ولد إسماعيل بني كنانة، و اصطفي من بني كنانة قريشا، و اصطفي من قريش بني هاشم، و اصطفاني من بني هاشم».

و عن ابن عمر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صَلَّى الله عليه و سلّم: «إِنَّ اللهَ اختار خلقه؛ فاختار منهم بني آدم، ثمَّ اختار بني آدم فاختار منهم العرب، ثمَّ اختار العرب فاختار منهم قريشا، ثمَّ اختار قريشا فاختار منهم بني هاشم، ثمَّ اختار بني هاشم فاختارني، فلم أزل خيارا من خيار، ألا من أحبَّ العرب فبحبِّي أحبَّهم، و من أبغض العرب فببغضي أبغضهم».

ص: 49

الفصل الثاني: في أسمائه الشريفة صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

اعلم.. أن لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أسماء كثيرة.

قال الإمام التّوّوي في «التّهذيب»: (قال الإمام الحافظ القاضي أبو بكر ابن العربي المالكي في كتابه «عارضنة الأ-حوذّي في شرح التّرمذّي»: قال بعض الصّوّفيّة: لله عزّ وجلّ ألف اسم، وللنّبّي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ألف اسم) اه

وعن جبير بن مطعم بن عدّي رضي الله تعالى عنه؛ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنّ لي أسماء، أنا محمّد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر النّاس علي قدمي (1)، وأنا العاقب الذي ليس بعده نبيّ».

وعن حذيفة رضي الله تعالى عنه قال: لقيت النّبّي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بعض طرق المدينة؛ فقال: «أنا محمّد، وأنا أحمد، وأنا نبيّ

ص: 50

1- هكذا بتشديد الياء مع فتح الميم علي التثنية، أو (قدمي) بكسر الميم وبتخفيف الياء علي الإفراد، روايتان.

الرّحمة، ونبّي التّوبة، و أنا المقفّي (1)، و أنا الحاشر، و نبّي الملاحم).

و معني (المقفّي): المتّبع من قبله من الرّسل، و كان اخرهم و خاتمهم.

و(الملاحم)هي: الحروب.

ففي تسميته صلّي الله عليه و سلّم نبّي الملاحم إشارة إلي ما بعث به من القتال بالسّيف.

و لم يجاهد نبّي و أمّته قطّ ما جاهد صلّي الله عليه و سلّم و أمّته.

و الملاحم التي وقعت و تقع بين أمّته و بين الكفّار.. لم يعهد مثلها قبله؛ فإنّ أمّته يقاتلون الكفّار في أقطار الأرض علي تعاقب الأعصار إلي أن يقاتلوا الأعور الدّجال.

و في «التّهذيب»: (سمّاه الله عزّ و جلّ في القرآن رسولا، نبيا، أمّيا، شاهدا، مبشّرا، نذيرا، داعيا إلي الله بإذنه، و سراجا منيرا، و رءوفا رحيفا، و مذكّرا، و جعله رحمة و نعمة و هاديا صلّي الله عليه و سلّم).

قال: و عن ابن عبّاس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله صلّي الله عليه و سلّم: «اسمي في القرآن: محمّد، و في الإنجيل: ل.

ص: 51

1- بكسر الفاء علي أنه اسم فاعل، أو (المقفّي) بفتحها علي أنه اسم مفعول.

أحمد، وفي التّوراة: أحيّد (1)، وإِنّما سَمّيت أحيّد لأنّي أحيّد أمتي عن نار جهنّم.

وزاد نقلا عن ابن عساكر: الفاتح، وطه، وياسين، وعبد الله، وخاتم الأنبياء.

وقال القسطلانيّ في «المواهب»، و الباجوريّ في «حاشية الشّماثل»: ذكر صاحب كتاب «شوق العروس و أنس النفوس»، وهو حسين بن محمّد الدّامغانيّ نقلا عن كعب الأخبار أنّه قال: اسم النّبّيّ صلّي الله عليه وسلّم عند أهل الجنّة: عبد الكريم، وعند أهل النّار:

عبد الجبّار، وعند أهل العرش: عبد الحميد، وعند سائر الملائكة:

عبد المجيد، وعند الأنبياء: عبد الوهّاب، وعند الشّياطين:

عبد القهّار، وعند الجنّ: عبد الرّحيم، وفي الجبال: عبد الخالق، وفي البراري: عبد القادر، وفي البحار: عبد المهيمن، وعند الحيتان: عبد القدّوس، وعند الهوامّ: عبد الغياث، وعند الوحوش:

عبد الرّزّاق، وعند السّباع: عبد السّلام، وعند البهائم: عبد المؤمن، وعند الطّيور: عبد الغفّار، وفي التّوراة: مؤذ مؤذ، وفي الإنجيل: ي.

ص: 52

1- بهمزة مضمومة ثم حاء مكسورة فمشاة تحتية ساكنة ثم دال مهملة، هكذا ضبطه بعضهم علي وزن الفعل، فهو عربي. و المشهور ضبطه: (أحيّد) بفتح الهمزة و سكون الحاء المهملة و فتح المشاة التحتية، علي وزن اسم التفضيل، و به ضبطه البرهان في «المقتفي». قال الشّمنيّ: و هو المحفوظ و هو غير عربي.

طاب طاب، وفي الصّحف: عاقب، وفي الزّبور: فاروق، وعند الله:

طه، وياسين، وعند المؤمنين: محمّد صلّي الله عليه وسلّم.

وكنيته: أبو القاسم؛ لأنّه يقسم الجنّة بين أهلها.

قوله: (مؤذ مؤذ): نقل في «المواهب» عن السّهيليّ: أنّه بضمّ الميم، وإشمام الهمزة ضمّاً بين الواو والألف، ممدوداً. وقال: نقلته عن رجل أسلم من علماء بني إسرائيل، وقال معناه: طيّب طيّب) اه فيكون بمعني الاسم الآخر وهو: (طاب..طاب).

وأما الفاروق: فهو الذي يفرّق بين الحقّ والباطل، وهو معني اسم (البارقليط) (1) المذكور في «إنجيل يوحنا».

وقد ألفت خاتمة الحفاظ جلال الدين السيوطي رسالة سمّاها:

«البهجة السنّية في الأسماء النبويّة» جمع فيها نحو الخمس مائة.

ونقل في «المواهب» عن كتاب «أحكام القرآن» لأبي بكر ابن العربيّ: أنّ لله تعالى ألف اسم، وللتبّيّ صلّي الله عليه وسلّم ألف اسم.

قال القسطلانيّ: (و المراد: الأوصاف، فكلّ الأسماء التي وردت أوصاف مدح، وإذا كان كذلك.. فله صلّي الله عليه وسلّم من كلّ وصف اسم).

ص: 53

1- البارقليط، و البارقليط، و البارقليط، و يروي أيضا بالفاء دون الباء؛ وهو: الذي يفرّق بين الحق و الباطل. وقال التقي الشمني: و أكثر أهل الإنجيل علي أن معناه: (المخلّص).

ثم إن منها ما هو مختص به، أو الغالب عليه، ومنها ما هو مشترك.

وكل ذلك بين بالمشاهدة لا يخفي.

وإذا جعلنا له من كل وصف من أوصافه اسما..بلغت أسماؤه ما ذكر، بل أكثر.

قال: و الذي رأيت في كلام شيخنا-يعني الحافظ السخاوي-في «القول البديع»، والقاضي عياض في «الشفا»، وابن العربي في «القبس» و«الأحكام»، وابن سيّد الناس وغيرهم..يزيد علي الأربع مائة، ثم سردها مرتبة علي حروف المعجم).

و ذكر منها الإمام الجزولي في «دلائل الخيرات» مائتين و واحدا.

و قال في «التّهذيب»: (و كنيته صلّي الله عليه و سلّم المشهورة: أبو القاسم، و كتاه جبريل صلّي الله عليه و سلّم: أبا إبراهيم).

و أفضل أسمائه صلّي الله عليه و سلّم: محمّد.

قال القسطلاني: (و قد سمّاه الله تعالي بهذا الاسم قبل الخلق بألفي عام، كما ورد في حديث أنس رضي الله عنه.

و روي ابن عساكر عن كعب الأخبار: أن آدم أوصي ابنه شيثا فقال:

أي بني؛ أنت خليفتي من بعدي، فخذها بعمارة التّقوي و العروة الوثقي، و كلّما ذكرت الله فاذكر إلي جنبه اسم محمّد، فإنّي رأيت اسمه مكتوبا علي ساق العرش، ثم طفت السّموات فلم أر فيها موضعا إلّا

ورأيت اسم محمّد مكتوبا عليه، وإنّ ربّي أسكنني الجنّة، فلم أر فيها قصرا ولا غرفة إلا وجدت اسم محمّد مكتوبا عليه، ولقد رأيت اسم محمّد مكتوبا عليّ نحور الحور العين، وعليّ ورق قصب اجام الجنّة (1)، وعليّ ورق شجرة طوبي (2)، وعليّ ورق سدره المنتهي، وعليّ أطراف الحجب (3)، وبين أعين الملائكة، فأكثر ذكره؛ فإنّ الملائكة تذكره في كلّ ساعاتها.

قال حسّان بن ثابت رضي الله تعالى عنه:

أغرّ عليه للنبوة خاتم من الله من نور يلوح ويشهد

وضمّ إليه اسم النبيّ إلي اسمه إذا قال في الخمس المؤذن: أشهد

وشقّ له من اسمه ليجلّه فذو العرش محمود وهذا محمّد

وأما اسم أحمد: فقد قال الباجوريّ في «حاشيته»:

هو في الأصل أفعل تفضيل، وسمّي بذلك لأنّه أحمد الحامدين لربه؛ ففي «الصحيح»: أنّه يفتح عليه يوم القيامة بمحامد لم يفتح بها عليّ أحد قبله، وكذلك يعقد له لواء الحمد، ويخصّ بالمقام المحمود.

وبالجملة: فهو أكثر الناس حامديّة وحموديّة، فلذلك سمّي أحمد وحمّدا. ولهذين الاسمين الشريفيّن مزية عليّ سائر الأسماء، فينبغي.

ص: 55

1- جمع أجمة: الشجر الملتف؛ أي: عليّ أغصان شجر الجنّة.

2- تأنيث الأطيب، شجرة في الجنّة.

3- الأستار التي في الجنّة، أو المحلات التي لا يتجاوزها الرائي إلي ما وراءها.

تحري التسمية بهما، فقد ورد في الحديث القدسي: «إني آليت علي نفسي ألا أدخل النار من اسمه أحمد، ولا محمد».

ورواه الديلمي عن علي رضي الله تعالى عنه: ما من مائدة وضعت فحضر عليها من اسمه محمد أو أحمد.. إلا قدس الله ذلك المنزل في كل يوم مرتين) اه

ص: 56

الباب الثاني: في صفة خلقه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما يناسبها من أوصافه الشريفة

إشارة

وفيه عشرة فصول

ص: 57

الفصل الأول: في جمال صورته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما شاكلها

قال في «المواهب»: (اعلم أنّ من تمام الإيمان به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.. الإيمان بأنّ الله تعالى جعل خلق بدنه الشّريف علي وجه لم يظهر قبله ولا بعده خلق آدمي مثله.

ولله درّ الأبو بصيريّ (1) حيث قال:

فهو الذي تمّ معناه وصورته ثمّ اصطفاه حبيباً بارئ النّسم

منزّه عن شريك في محاسنه فجوهر الحسن فيه غير منقسم

وقد حكى القرطبيّ رحمه الله تعالى في (كتاب الصّلاة)، أنّه قال:

لم يظهر لنا تمام حسنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنّه لو ظهر لنا تمام حسنه.. لما طأقت أعيننا رؤيته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) اه

كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حسن الجسم. رواه غير واحد.

وروي الترمذيّ عن أنس رضي الله تعالى عنه، قال: كان رسول الله

ص: 59

1- هو محمد بن سعيد الصنهاجي صاحب نظم «البردة» المشهور نشأ في قرية «البوصير» وإليها ينسب فيقال: (البوصيري)؛ ولذا فإنّ قوله: (الأبوصيري) منتقد. والله أعلم.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْسَ بِالطَّوِيلِ الْبَائِنِ، وَلَا بِالْقَصِيرِ، وَلَا بِالْأَبْيَضِ الْأَمْهَقِ، وَلَا بِالْأَدَمِ، وَلَا بِالْجَعْدِ الْقَطَطِ وَلَا بِالسَّبَطِ.

و معني (البائن): الظاهر طوله.

و(الأمهق): الشَّدِيدُ الْبِياضُ، الْخَالِي عَنْ الْحَمْرَةِ.

و(الأدم): الأَسْمَرُ.

و(الجعد): مَنْ فِي شَعْرِهِ التَّوَاءُ.

و(القطط): شَدِيدُ الْجَعُودَةِ.

و(السَّبَطُ): مَسْتَرَسِلُ الشَّعْرِ.

و كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجلاً مربعاً (1)، بعيد ما بين المنكبين، عظيم الجمّة إلي شحمة أذنيه.

و معني (الرجل) (2): مَنْ فِي شَعْرِهِ تَكَسَّرَ قَلِيلٌ.

و(الجمّة): مَجْتَمِعُ شَعْرِ الرَّأْسِ؛ وَهِيَ أَكْثَرُ مِنَ الْوَفْرَةِ وَاللِّمَّةِ (3).

و كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شثن الكفّين و القدمين، ضخم الرأس، ضخم الكراديس، طويل المسربة، إذا مشي تكفّف تكفّفوا؛ كأنّما ينحطّ من صيب.

و معني (شثن): غليظ. ا.

ص: 60

1- و هو المتوسط بين الطويل و القصير.

2- الرّجل بفتح الراء و كسر الجيم، و قد يضم، و قد يفتح، و قد يسكن.

3- الوفرة: ما بلغت شحمة الأذن، و الجمّة: ما وصلت المنكب، و اللّمة: ما بينهما.

و(الكراديس)- جمع كردوس- وهو: مجمع العظام كالركبة و المنكب.

و(المسربة): الشعر الدقيق الذي كأنه قضيب من الصدر إلى السرة.

و(التكفؤ): الميل إلى سنن (1) المشي، وهو: ما بين يديه كالسفينية في جريها.

و(الصَّبب): المكان المنحدر من الأرض.

و كان رسول الله صَلَّى الله عليه و سلمَّ جعدا رجلا (2)، و لم يكن بالمطهَّم؛ و لا بالمكلثم، و كان في وجهه تدوير، أبيض مشرَّب (3)، أدعج العينين، أهدب الأشفار، جليل المشاش و الكتد، أجرد، ذا مسربة، شثن الكفين و القدمين، إذا مشي.. تقلَّع كأنَّما ينحطَّ من صبيب، و إذا التفت.. التفت معا، بين كتفيه خاتم النبوة.

و هو خاتم النَّبِيِّين، أجود النَّاسِ صدرا، و أصدق النَّاسِ لهجة، و أليَنهم عريكة، و أكرمهم عشرة، من راه بديهة.. هابه، و من خالطه معرفة.. أحبَّه، يقول ناعته: لم أر قبله و لا بعده مثله.ب.

ص: 61

1- مثلث السين و بضمّتين؛ سنن و سنن و سنن و سنن.

2- الجعد: هو الشعر المتجدد و المتشني..

3- مشرب بتخفيف الراء من الإشراب، و هو خلط لون بلون كأنه سقي به، أو (مشرَّب) بالتشديد من الشريب، و هو مبالغة في الإشراب.

و معني (المطهّم): البادن الكثير اللحم (1).

و(المكلثم): المدوّر الوجه.

و(أدعج العينين): شديد سوادهما.

و(أهدب الأشفار): طوليل شعر الأجفان.

و(المشاش): رءوس العظام.

و(الكتد): مجتمع الكتفين.

و(أجرد): غير أشعر.

و(تقلّع): مشي بقوّة.

و(اللّهجة): الكلام.

و(العريكة): الطّبيعة.

و(البديهة): المفاجأة.

و كان رسول اللّٰه صلّي الله عليه وسلّم سهل الخدّين (2)، ضليع الفم، سواء البطن و الصّدر، أشعر المنكبين و الذّراعين و أعالي الصّدر، طويل الزّنين، ربح الرّاحة، أشكل العينين، أحمر الماقي، منهوس العقبين.

و معني (ضليع الفم): واسع، و هو ممدوح لدلالته علي الفصاحة.

و(أشكل العينين): في بياضهما حمرة.ن.

ص: 62

1- أي: عظيم البدن بكثرة لحمه.

2- أي: غير مرتفع الوجنتين.

و(منهوس العقين): قليل لحمهما.

و كان رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم عظيم العينين، أهدب الأشفار، مشرب العين بحمرة.

و كان صَلَّى الله عليه و سلم أبلج الحاجبين (1)، كأن ما بينهما الفضة المخلصة. و كانت عيناه نجلاوين (2)، أدعجهما (3)، و كان في عينيه تمرّج من حمرة، و كان أهدب الأشفار حتّي تكاد تلتبس من كثرتها.

و كان صَلَّى الله عليه و سلم ضخّم الرّأس و اليدين و القدمين.

و كان صَلَّى الله عليه و سلم سهل الخدين صلتها (4)، ليس بالطويل الوجه، و لا المكثم.

و كان صَلَّى الله عليه و سلم أحسن النّاس صفة و أجملها، كان ربعة إلي الطّول ما هو (5)، بعيد ما بين المنكبين، أسيل الخدين، شديد سواد الشّعر، أكحل العينين، أهدب الأشفار، إذا وطئ بقدمه.. و طئ بكلّها، ليس له أخمص (6)، إذا وضع رداءه عن منكبيه.. فكأنّه سبيكة فضّة، و إذا ضحك.. يتألأ.ض.

ص: 63

1- أي: كان بين حاجبيه فرجة بيضاء دقيقة لا تتبيّن إلا لمتأمل.

2- أي: واسعتين.

3- أي: شديد سواد حدقتها.

4- أي: سائلها من غير ارتفاع وجنتيه.

5- أي: هو يميل إلي الطول ميلا قليلا.

6- الأخمص: ما يتجافي من باطن القدم عن الأرض.

و معني (أسيل الخدين): ليس فيهما ارتفاع.

و(الأكل): أسود أجفان العين خلقة.

و كان صلي الله عليه و سلم شبح الذراعين، بعيد ما بين المنكبين، أهدب أشفار العينين.

و معني (شبح الذراعين): عريضهما ممتدّهما.

و كان رسول الله صلي الله عليه و سلم عبل العضدين و الذراعين (1)، و ما تحت الإزار من الفخذين و الساق، طويل الزندين، رحب الرّاحتين، سائل الأطراف، كأنّ أصابعه قضبان الفضّة.

و كان صلي الله عليه و سلم معتدل الخلق في السمن، فبدن في اخر عمره، و كان مع ذلك لحمه متماسكا، يكاد يكون علي الخلق الأوّل، لم يضره السنّ.

و كان صلي الله عليه و سلم أحسن الناس وجهًا، و أحسنهم خلقًا، ليس بالطويل البائن، و لا بالقصير، بل كان ينسب إلي الرّبعة (2) إذا مشي واحده، و مع ذلك فلم يكن يماشيه أحد من الناس و هو ينسب إلي الطّول.. إلّا طاله رسول الله صلي الله عليه و سلم، و لربّما اكتنفه الرّجلان الطّويلان فيطولهما، فإذا فارقه.. نسبا إلي الطّول؛ و نسب هو صلي الله عليه و سلم إلي الرّبعة. ا.

ص: 64

1- أي: ضخمهما.

2- الرّبعة: توسط القامة و اعتدالها.

و يقول صَلَّى اللهُ عليه و سلَّم: «جعل الخير كله في الرِّبعة».

و زاد ابن سيع في «الخصائص»: «أنه كان صَلَّى اللهُ عليه و سلَّم إذا جلس.. يكون كتفه أعلي من جميع الجالسين.

و كان صَلَّى اللهُ عليه و سلَّم فخمًا مفتحًا، يتلألأ وجهه تلالؤ القمر ليلة البدر، أطول من المربوع، وأقصر من المشدّب، عظيم الهامة (1)، رجل الشعر، إن انفردت عقيقته.. فرقتها، وإلا.. فلا يجاوز شعره شحمة أذنيه إذا هو وفره.

أزهر اللون، واسع الجبين، أزجّ الحواجب؛ سوابغ في غير قرن (2)، بينهما عرق يدّره الغضب، أفني العرنين، له نور يعلوه، يحسبه من لم يتأمله أشمّ، كثّ اللحية، سهل الخدين، ضليع الفم، أشنب، مفلج الأسنان، دقيق المسربة، كأنّ عنقه جيد دمية في صفاء الفضة، معتدل الخلق.

بادن متماسك، سواء البطن و الصّدر (3)، عريض الصّدر، بعيد ما بين المنكبين، ضخم الكراديس، أنور المتجرّد (4)، موصول ما بين اللبّة و السّرة بشعر يجري كالخطّ، عاري الثديين و البطن ما سوي ذلك (5).

ص: 65

- 1- أي: عظيم الرأس.
- 2- و المراد: أن حاجبيه قد سبغا حتي كادا يلتقيان و لم يلتقيا. و القرن غير محمود عند العرب و يستحبون البلج و هو الصحيح في صفته صَلَّى اللهُ عليه و سلَّم.
- 3- في بعض النسخ: سواء البطن و الصدر.
- 4- و المعني: أنه نير العضو المتجرّد عن الشعر أو عن الثوب.
- 5- و في رواية: (مما سوي ذلك)، و هي أنسب و أقرب؛ أي: سوي محل الشعر المذكور، أما هو: ففيه الشعر الذي هو المسربة. و المعني: لم يكن علي ثدييه و بطنه صَلَّى اللهُ عليه و سلَّم شعر غير مسرّبه.

أشعر الذراعين والمنكبين وأعالي الصدر، طويل الزندين.

رحب الرّاحة، شثن الكفّين و القدمين، سائل الأطراف، خمصان (1) الأخمصين، مسيح القدمين ينبو عنهما الماء؛ إذا زال.. زال قلعا (2)، يخطو تكفّيا ويمشي هونا، ذريع المشية، إذا مشي.. كأنما ينحطّ من صيب، وإذا التفت.. التفت جميعا، خافض الطّرف، نظره إلي الأرض أطول من نظره إلي السّماء، جلّ نظره الملاحظة، يسوق أصحابه، و بيدر من لقيه بالسّلام.

و معني (الفخم): العظيم في نفسه.

و(المفخّم): المعظم عند غيره.

و(المشذب): الظاهر الطّول مع نحافة.

و(رجل الشّعر): مسترسله.

و(العقيقة): شعر الرّأس.

و(وفره): جعله وفره، وهي الشّعر النّازل عن شحمة الأذن إذا لم يصل إلي المنكبين.

و(أزهر): مشرق اللّون، تيره.

و(أزجّ الحواجب): مقوّسها مع طول.ه.

ص: 66

1- بضم الخاء و سكون الميم كعثمان، و بضمّتين، فسكون.

2- بفتح أوله مع تثليث ثانيه، و ضم أوله مع سكون ثانيه و فتحه.

و(السّوابغ):الكاملات.

و(أقني العرنين):طويل الأنف مع دقّة أرنبته (1)،في وسطه بعض ارتفاع.

و(الأشّم):مرتفع قصبه الأنف.

و(الأشنب):أبيض الأسنان مع بريق و تحديد فيها.

و(المفلّج):منفرج الثّنايا.

و(الدّمية):صورة من رخام و نحوه.

و(البادن):السّمين سمنا معتدلا.

و(المتجرّد):العضو العاري عن الشّعر.

و(اللّبة):التّقرة التي فوق الصّدر.

و(الرّحّب):الواسع.

و(سائل الأطراف):طويلها طولا معتدلا.

و(خمضان الأخصمين):متجافيهما عن الأرض.

و(الأخصم):الموضع الذي لا يمّس الأرض عند الوطاء من وسط القدم.

و(المسيح):الأملس.

و(ينبو):يتباعدهف.

ص: 67

1- أي:طرف الأنف.

و(إذا زال.. زال قلعا): إذا مشي.. رفع رجله بقوة.

و(ذريع المشية): واسع الخطو خلقة لا تكلفا.

و(الملاحظة): النظر باللحاظ؛ وهو: شق العين ممّا يلي الصدغ.

و(يسوق أصحابه): يقدّمهم بين يديه.

و(يبدر): يبتدئ.

و كان رسول الله صَلَّى الله عليه و سلّم أفلج الثّيتين، إذا تكلم ريء [\(1\)](#) كالنور يخرج من بين ثناياه. و كان صَلَّى الله عليه و سلّم أحسن البشر قدما.

و عن ميمونة بنت كردم؛ قالت: رأيت رسول الله صَلَّى الله عليه و سلّم فما نسيت طول إصبع قدمه السّبابة علي سائر أصابعه. رواه الإمام أحمد و غيره.

و كان صَلَّى الله عليه و سلّم في ساقه حموشة.

و معني (الحموشة): الدّقة، و هي محمودة في السّاقين.

و كان رسول الله صَلَّى الله عليه و سلّم يمشي كأنما يتقلّع من صخر، و ينحدر من صعب، يخطو تكفّيا، و يمشي الهوينا بغير تبخر.

و معني (الهوينا): تقارب الخطا. ي.

ص: 68

1- علي الأفصح، و يقال أيضا: رئي.

وكان صَلَّى الله عليه و سلم إذا مشي.. مشي مجتمعا؛ أي: قوِّي الأعضاء، غير مسترخ في المشي.

وكان رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم إذا مشي.. مشي أصحابه أمامه، وتركوا ظهره للملائكة.

وكان صَلَّى الله عليه و سلم إذا مشي.. لم يلتفت.

وكان صَلَّى الله عليه و سلم لا يلتفت وراءه إذا مشي، وكان ربّما تعلق رداؤه بالشجر فلا يلتفت حتّى يرفعوه عليه.

وكان صَلَّى الله عليه و سلم إذا مشي.. كأنّما يتوكأ (1).

وكان صَلَّى الله عليه و سلم يمشي مشيا يعرف فيه أنه ليس بعاجز و لا كسلان.

وكان صَلَّى الله عليه و سلم لا يطأ عقبه رجلان قطّ، إن كانوا ثلاثة..

مشي بينهم، وإن كانوا جماعة.. قدّم بعضهم.

وكان صَلَّى الله عليه و سلم إذا لبس نعليه.. بدأ باليمني، وإذا خلع..

خلع اليسري.

وكان إذا دخل المسجد.. أدخل رجله اليمني.

وكان يحبّ التّيّمّن في كلّ شيء أخذ و عطاء.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: ما رأيت شيئا أحسن من رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم، كأنّ الشمس تجري في وجهه، ا.

ص: 69

1- والمراد: سعي سعيًا شديدًا.

و لا رأيت أحدا أسرع في مشيته من رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم، كأنما الأرض تطوي له، إننا لنجهد أنفسنا، وإنه لغير مكترث.

و كان رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم نورا، فكان إذا مشي في الشمس و القمر.. لا يظهر له ظلّ.

و كان وجهه صَلَّى الله عليه و سلم مثل الشمس (1) و القمر، و كان مستديرا.

و عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنهما قال: ما رأيت من ذي لمة في حلّة حمراء.. أحسن من رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم.

و قال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه: ما رأيت شيئا أحسن من رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم، كأن الشمس تجري في وجهه، و إذا ضحك.. يتلألأ في الجدر.

و قالت أمّ معبد في بعض ما وصفته به رضي الله تعالى عنها: أجمل الناس من بعيد، و أحلاه و أحسنه من قريب.

و عن جابر بن سمرة رضي الله تعالى عنهما قال: رأيت رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم في ليلة إضحيان؛ و عليه حلّة حمراء، فجعلت أنظر إليه و إلي القمر، فلهو عندي أحسن من القمر.

و معني (إضحيان): مقمرة.ه.

ص: 70

1- في مزيد الإضاءة و الإشراق، لكنه ليس مثلها في كونه لا يستطيع النظر إليه.

و سأل رجل البراء بن عازب رضي الله تعالى عنهما: أ كان وجه رسول الله صَلَّى الله عليه و سلّم مثل السيف؟ قال: لا، بل مثل القمر.

و كان لونه صَلَّى الله عليه و سلّم أزهر، و لم يكن بالأسمر، و لا بالشديد البياض.

و نعتة عمّه أبو طالب فقال:

و أبيض يستسقي الغمام بوجهه ثمال اليتامي عصمة للأرامل

و كان صَلَّى الله عليه و سلّم أزهر اللون، كأن عرقه اللؤلؤ، إذا مشي.. تكفأ.

و كان رسول الله صَلَّى الله عليه و سلّم أحسن الناس وجهها و أنورهم، لم يصفه و اصف إلا شَبَّهه بالقمر ليلة البدر.

و كانوا يقولون: هو كما وصفه صاحبه أبو بكر الصّدّيق رضي الله تعالى عنه حيث يقول:

أمين مصطفي للخير يدعو كضوء البدر زايله الغمام

و كان صَلَّى الله عليه و سلّم أبيض كأنما صيغ من فضّة، رجل الشّعر.

و كان صَلَّى الله عليه و سلّم أبيض مليحاً مقصّداً.

و معني (المقصد): المتوسّط بين الطّول و القصر.

و كان رسول الله صَلَّى الله عليه و سلّم أبيض مشرباً بياضه بحمرة، و كان أسود الحدقة، أهدب الأشفار.

وكان صَلَّى اللهُ عليه و سلم أبيض مشرباً بحمرة، ضخم الهامة، أغرّ أبلج، أهدب الأشفار.

و معني (الأغرّ): الصّبيح.

و(الأبلج): الحسن المشرق المضيء.

وكان رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و سلم أحسن عباد الله عنقا، لا ينسب إلي الطول و لا إلي القصر، ما ظهر من عنقه للشمس و الرياح فكأنه إبريق فضة مشرب ذهباً، يتلألأ في بياض الفضة و في حمرة الذهب.

وكان صَلَّى اللهُ عليه و سلم من أحسن عباد الله شفيتين و أطفهم ختم فم.

وكان صَلَّى اللهُ عليه و سلم عريض الصدر لا يعدو لحم بعض بدنه بعضاً؛ كالمرأة في استوائها، و كالقمر في بياضه.

وكان له صَلَّى اللهُ عليه و سلم ثلاث عكن يعطي الإزار منها واحدة.

و عن أم هانئ رضي الله تعالى عنها قالت: ما رأيت بطن رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و سلم إلا ذكرت القراطيس المشئية بعضها علي بعض.

و عن محرّش الكعبي رضي الله تعالى عنه قال: اعتمر النبي صَلَّى اللهُ عليه و سلم من الجعرانة ليلاً فنظرت إلي ظهره كأنه سبيكة فضة.

و في «المواهب»: عن مقاتل بن حيان قال: أوحى الله تعالى إلي عيسى عليه السلام: «اسمع و أتع، يا ابن الطاهرة البكر البتول، إني خلقتك من غير فحل فجعلتك آية للعالمين، فإياي فاعبد، و عليّ

فتوكّل، فسّر لأهل سوران (1) إنّي أنا الله الحيّ القيوم الذي لا أزول، صدّقوا النبيّ الأمّيّ صاحب الجمل والمدرعة، والعمامة والتّعلين و الهراوة، الجعد الرأس، الصّلت الجبين، المقرون الحاجبين، الأهدب الأشفار، الأدعج العينين، الأفتي الأنف، الواضح الخدين، الكثّ اللحية، عرقه في وجهه كاللؤلؤ، وريح المسك ينفح منه، كأنّ عنقه إبريق فضّة».

قوله: (صلت الجبين): واضحه.

و(أدعج العينين): شديد سواد العين.

و(أفتي الأنف): طوبله مع دقّة أرنبته، في وسطه بعض ارتفاع.

قال ابن الأثير: والصّحيح في صفة حواجبه صلّي الله عليه و سلّم أنّها سوايغ من غير قرن.

و كان رسول الله صلّي الله عليه و سلّم إذا نظر وجهه في المرأة. قال:

«الحمد لله الذي سوّي خلقي فعدلّه، وكرّم صورته وجهي فحسنّها، وجعلني من المسلمين».

و كان صلّي الله عليه و سلّم إذا نظر في المرأة.. قال: «الحمد لله الذي حسن خلقي و خلقي، وزان منّي ما شان من غيري».

و كان صلّي الله عليه و سلّم يقول: «أنا أشبه الناس بآدم صلّي الله عليه».

ص: 73

1- بالسريانية: بلّغ من بين يديك.

وسلم، وكان أبي إبراهيم صَلَّى الله عليه وسلم أشبه الناس بي خلقا و خلقا». .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما: أن رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم قال: «عرض عليّ الأنبياء، فإذا موسى عليه السلام ضرب من الرجال كأنه من رجال شنوءة.

ورأيت عيسي ابن مريم [عليه السلام]، فإذا أقرب من رأيت به شبها عروة بن مسعود.

ورأيت إبراهيم عليه السلام، فإذا أقرب من رأيت به شبها صاحبكم؛ يعني نفسه.

ورأيت جبريل عليه السلام، فإذا أقرب من رأيت به شبها دحية».

و معني (ضرب): نوع.

و(شنوءة): قبيلة من اليمن رجالها متوسّطون.

و كان رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم واسع الظهر، ما بين كتفيه خاتم النبوة، وهو ممّا يلي منكبه الأيمن، فيه شامة سوداء تضرب إلي الصفرة، حولها شعرات متواليات كأنها من عرف فرس.

و كان خاتمه صَلَّى الله عليه وسلم غدة حمراء مثل بيضة الحمامة.

وعن بريدة بن الحصيب رضي الله تعالى عنه قال: جاء سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه إلي رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم حين قدم المدينة بمائدة عليها رطب، فوضعت بين يدي رسول الله صَلَّى الله عليه

وسلم؛ فقال: «يا سلمان.. ما هذا؟». فقال: صدقة عليك وعلي أصحابك. فقال: «ارفعها؛ فإننا لا نأكل الصدقة». قال: فرفعها.

فجاء الغد بمثله فوضعه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال:

«ما هذا يا سلمان؟». فقال: هدية لك. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: «أبسطوا» (1). ثم نظر إلي الخاتم علي ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فأمن به.

وكان لليهود (2)، فاشتره رسول الله صلى الله عليه وسلم بكذا وكذا درهما علي أن يغرس لهم نخلا فيعمل سلمان فيه حتى يطعم، فغرس رسول الله صلى الله عليه وسلم التّخيل إلا نخلة واحدة غرسها عمر، فحملت النّخل من عامها، ولم تحمل النّخلة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما شأن هذه النّخلة؟». فقال عمر: يا رسول الله؛ أنا غرستها، فنزعها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فغرسها، فحملت من عامها. د.

ص: 75

1- وفي رواية: انشطوا، أي: ميلوا للأكل معي، وفي أخرى: انشقوا، أي: انفرجوا ليتسع المجلس.

2- يعني: أن سيدنا سلمان رضي الله تعالى عنه كان رقيقا لليهود.

الفصل الثاني: في صفة بصره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ و اكتحاله

كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يري بالليل في الظلمة كما يري بالنهار في الصّوء.

و كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يري من خلفه من الصّفوف كما يري من بين يديه.

و كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يري في الثريا (1)أحد عشر نجما.

و كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يقعد في بيت مظلم حتّي يضاء له بالسراج.

و كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعجبه النّظر إلي الخضرة و الماء الجاري.

و كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعجبه النّظر إلي الأترج.

و كان يعجبه النّظر إلي الحمام الأحمر (2).

ص: 76

-
- 1- الثريا-مصغّر ثروة-:منزل من منازل القمر فيه نجوم مجتمعة جعلت علامة، و حكي:أن الثريا اثنا عشر نجما لم يحقّق الناس منها غير ستة أو سبعة،و لم ير جميعها غير النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛لقوة جعلها الله تعالى في بصره.
 - 2- الحمام:التفاح، و هو من باب الاستعارة،و لم يقل أحد من الشراح إن المراد به الطير المعروف.فلينتبه.

وأما اكتحال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فقد كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا اكتحل.. جعل في عين اثنتين وواحدة بينهما؛ أي: جعل في كل عين مرودين، وواحد يقسم بينهما، فالمجموع وتر، وهو خمسة مراود.

وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا اكتحل.. اكتحل وترا، وإذا استجمر (1).. استجمر وترا.

وكان له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مكحلة يكتحل منها كل ليلة، ثلاثة في هذه، وثلاثة في هذه.

وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يفارقه في الحضر، ولا في السفر خمس: المرأة، والمكحلة، والمشط، والسواك، والمدري.

و(المدري): شيء يعمل من حديد أو خشب، علي شكل سنّ من أسنان المشط وأطول منه، يسرح به الشعر المتلبّد، ويستعمله من لا مشط له.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: أنّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «اكتحلوا بالإثمد، فإنّه يجلو البصر، وينبت الشعر».

قال الباجوري: المخاطب بذلك الأصحاء، أمّا العين المريضة فقدر.

ص: 77

1- أي: تبخر بنحو عود، وسمي التبخر (استجمارا)؛ لأن نحو العود يوضع علي الجمر.

يضرّها الإثمد؛ وهو: حجر الكحل المعدنيّ المعروف، و معدنه بالمشرق، وهو أسود يضرب إلى حمرة.

وقال بعد قوله (يجلو البصر): وهذا إذا اكتحل به من اعتاده، فإن اكتحل به من لم يعتده.. رمدت عينه.

ص: 78

الفصل الثالث: في صفة شعره صَلَّى اللهُ عليه و سَلَّمَ

وشيبه، و خضابه، و ما يتعلق بذلك

كان رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و سَلَّمَ رجل الشَّعر حسنه، ليس بالسَّبَط و لا الجعد القَطَط (1)، و كان إذا مشطه بالمشط... يأتي كأنه حباك الرَّمَل، و ربّما جعله غدائر أربعاً؛ يخرج كلُّ أذن من بين غديرتين، و ربّما جعل شعره علي أذنيه؛ فتبدو سوائفه تتألاً (2).

و معني (الغدائر): الدَّوائِب، و احدثها غديرة.

و (الحبك) - جمع حباك - ككتاب، و هي: الطريقة في الرَّمَل و نحوه.

و كان شعر رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و سَلَّمَ دون الجمّة، و فوق الوفرة.

و كان شعره صَلَّى اللهُ عليه و سَلَّمَ يضرب إلي منكبيه، و كثيراً ما يكون إلي شحمة أذنيه.

ص: 79

1- أي: أن شعره صَلَّى اللهُ عليه و سَلَّمَ ليس نهاية في الجعودة؛ و هو: تكسّره الشديد؛ كشعر الحبش و الزنوج، و لا نهاية في السبوطه؛ و هو عدم تكسّره أصلاً؛ كشعر الهنود و الجاوة، بل وسطا بينهما، و «خير الأمور أوساطها».

2- سوائفه - جمع سالفه - و هي: صفحة العنق. و تتألاً: تضيء و تتنوّر من وبيض الطّيب.

وكان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حسن الجسم، بعيد ما بين المنكبين، له شعر إلي منكبيه، وفي وقت إلي شحمتي أذنيه، وفي وقت إلي نصف أذنيه.

وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسدل شعره، وكان المشركون يفرقون رءوسهم، وكان أهل الكتاب يسدلون رءوسهم، وكان يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشيء، ثم فرق رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأسه.

و معني (سدل الشعر): إرساله.

وكان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حسن السبلة.

و معني (السبلة): مقدم اللحية، وما انحدر منها علي الصدر.

وكان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كث اللحية، وكان يعني لحيته و يأخذ من شاربه.

وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأخذ من لحيته الشريفة، من عرضها و طولها.

وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكثر تسريح لحيته.

وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يفارقه سواكه و لا مشطه، وكان ينظر في المرأة إذا سرح لحيته.

وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا اهتم.. أكثر من مس لحيته.

وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا اغتم.. أخذ لحيته بيده ينظر فيها.

وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا توضأ.. خلل لحيته بالماء.

وكان صَلَّى الله عليه و سلم يكثر دهن رأسه و تسريح لحيته، و يكثر اتّخاذ القناع.

و(القناع): خرقه توضع علي الرأس حين استعمال الدهن لتقي العمامة و الثياب.

وكان رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم إذا ادهن.. صبّ في راحته اليسري، فبدأ بحاجبيه، ثم عينيه، ثم رأسه.

وكان صَلَّى الله عليه و سلم يحبّ التيامن في طهوره إذا تطهّر، و في ترجله إذا ترجّل، و في انتعاله إذا انتعل، و في شأنه كلّه.

و كانت يده اليسري لخلائه، و ما كان من أذي.

و إذا نام و اضطجع.. اضطجع علي جنبه الأيمن مستقبل القبلة.

وكان صَلَّى الله عليه و سلم يجعل يمينه لأكله و شربه و وضوئه و ثيابه و أخذه و عطائه، و شماله لما سوي ذلك.

و عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: كنت أرّجل (1) رأس رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم و أنا حائض.

وكان رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم يترجّل غبًا؛ أي: حيناً بعد حين.

وكان شبيهه صَلَّى الله عليه و سلم في الرأس و اللحية شيئاً قليلاً، نحو سبع عشرة شعرة.

و قال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله؛ قد شبت؟! قال: ن.

ص: 81

1- أي: أسرح و أحسن.

«شَيْبَتِي هُود، وَالْوَاقِعَةُ، وَالْمَرَسَلَاتُ، وَعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ، وَإِذَا الشَّمْسُ كَوَّرَتْ»؛ لِاشْتِمَالِ هَذِهِ السُّورِ عَلَيَّ بَيَانِ أَحْوَالِ الْقِيَامَةِ مِمَّا يُوجِبُ خَوْفَهُ عَلَيَّ أُمَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَسئَلُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: هَلْ خَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: نَعَمْ.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَقِيلٍ قَالَ: رَأَيْتُ شَعْرَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ مَخْضُوبًا.

وَفِي «الصِّمَّةِ حَيْحِينَ» مِنْ طَرَفِ كَثِيرَةٍ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَخْضِبْ، وَلَمْ يَبْلُغْ شَبِيهَ أَوَانِ الْخَضَابِ، وَإِنَّمَا خَضِبَ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ شَيْءٌ مِنْ شَعْرِهِ بَعْدَ وَفَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَكُونَ أَبْقَى لَهُ.

وَفِي «الصِّمَّةِ حَيْحِينَ» أَيْضًا وَ«سَنَنْ أَبِي دَاوُدَ»: عَنْ ابْنِ عَمْرِو رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَصْفَرُّ لِحْيَتَهُ بِالْوَرَسِ وَالزَّرْعَفَرَانِ.

وَعَنْ قَتَادَةَ قَالَ: قُلْتُ لِأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: هَلْ خَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: لَمْ يَبْلُغْ ذَلِكَ، إِنَّمَا كَانَ شَيْئًا فِي صَدْغِيهِ، وَلَكِنْ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ خَضِبَ بِالْحِنَّاءِ وَالكَتَمِ.

وَالكَتَمُ: نَبَتٌ فِيهِ حَمْرَةٌ.

وَقَالَ التَّوَوِيُّ: الْمَخْتَارُ أَنَّهُ صَبَغَهُ فِي وَقْتٍ، وَتَرَكَهُ فِي مَعْظَمِ الْأَوْقَاتِ، فَأَخْبَرَ كُلَّ بِمَا رَأَى، وَهُوَ صَادِقٌ.

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُ بِتَغْيِيرِ الشَّعْرِ مَخَالَفَةً لِلْأَعَاجِمِ.

وكان صَلَّى الله عليه و سلم يتتور (1) في كل شهر، و يقلم أظفاره في كل خمسة عشر يوما.

وكان صَلَّى الله عليه و سلم إذا اظلي بالتورة..ولي عانته و فرجه بيده.

وكان صَلَّى الله عليه و سلم إذا اظلي..بدأ بعورته فطلاها بالتورة، و سائر جسده أهله.

وكان صَلَّى الله عليه و سلم يقلم أظفاره و يقص شاربه يوم الجمعة، قبل أن يروح إلي الصلاة.

وكان صَلَّى الله عليه و سلم يأمر بظفن الشعر و الأظفار.

وكان صَلَّى الله عليه و سلم يأمر بظفن سبعة أشياء من الإنسان:

الشعر، و الظفر، و الدم، و الحيضة (2)، و السن، و العلقة، و المشيمة.

و عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: رأيت رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم و الحلاق يحلقه، و أطاف به أصحابه فما يريدون أن تقع شعرة إلا في يد رجل.ض.

ص: 83

1- أي: يستعمل التورة لإزالة الشعر، و هي من أملاح الكالسيوم و الباريون.

2- خرقة الحيض.

الفصل الزايع: في صفة عرقه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورائحته الطبيعية

روي مسلم عن أنس رضي الله تعالى عنه أنه قال: كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كثير العرق.

وكان عرقه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في وجهه كاللؤلؤ، وأطيب من المسك الأذفر (1).

وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا نزل عليه الوحي..ثقل لذلك، وتحدّر جبينه عرقاً كأنه جمان (2)، وإن كان في البرد.

وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأتي أم سليم فيقبل عندها، فتبسّط له نطعا (3) فيقبل عليه، وكان كثير العرق، فكانت تجمع عرقه فتجعله في الطيب، فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يا أم سليم؛ ما هذا؟».

قالت: عرقك نجعله في طيبنا، وهو من أطيب الطيب.

ص: 84

1- الأذفر: شديد الرائحة.

2- أي: لؤلؤ.

3- النطع: -بفتح النون و كسرهما مع فتح الطاء و سكونها، أربع لغات- وهو: بساط من أديم معروف.

وفي رواية قالت: يا رسول الله؛ نرجو بركته لصبياننا. قال:

«أصبت».

وكان كفه صَلَّى الله عليه و سلم ألين من الحرير، وكانت رائحته كرائحة كَفِّ العَطَّار، مَسَّهَا صَلَّى الله عليه و سلم بطيب أم لم يمَسَّهَا، وكان يصافح الرَّجُلَ فيظلُّ يومه يجد ريحها، ويضع يده علي رأس الصَّبِيِّ فيعرف من بين الصَّبِيَّانَ بريحها علي رأسه.

وقال أنس: ما مسست ديباجا ولا حريرا ألين من كف رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم.

وعن جابر بن سمرة رضي الله تعالى عنهما: أنَّ رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم مسح خده، قال: فوجدت ليده بردا وريحا؛ كأنما أخرجها من جؤنة (1) عطار.

وكان صَلَّى الله عليه و سلم يعرف منه ريح الطَّيب إذا أقبل.

وكان صَلَّى الله عليه و سلم لا يسلك طريقا فيتبعه أحد.. إلا عرف أنه قد سلكه من طيب عرفه (2).

وذكر إسحاق بن راهويه: أنَّ تلك كانت رائحته بلا طيب صَلَّى الله عليه و سلم.

وعن أمِّ عاصم امرأة عتبة بن فرقد السَّلَمِيِّ قالت: كنَّا عند عتبة أربع.

ص: 85

1- الجؤنة: شبه صندوق صغير مغشي بجلد، يضع العطار فيها عطره.

2- العرف: رائحة الطَّيب.

نسوة، فما منّا امرأة إلا وهي تجتهد في الطّيب؛ لتكون أطيّب من صاحبته، وما يمَسّ عتبه الطّيب إلا أن يمَسّ دهنا يمَسح به لحيته، وهو أطيّب ريحا منّا، وكان إذا خرج إلي النّاس.. قالوا: ما شممنّا ريحا أطيّب من ريح عتبه، فقلت له يوما: إنّنا لنجتهد في الطّيب، ولأنّك أطيّب ريحا منّا فمّم ذلك؟! فقال: أخذني الشّري (1) علي عهد رسول الله صلّي الله عليه وسلّم، فأتيته، فشكوت ذلك إليه، فأمرني أن أتجرّد، فتجرّدت عن ثوبي، وقعدت بين يديه، وألقيت ثوبي علي فرجي، فنفت في يده، ثمّ مسح ظهري و بطني بيده، فعبق بي هذا الطّيب من يومئذ. رواه الطّبراني في «معجمه الصّغير».

وروي أبو يعلي والطّبراني قصّة الذي استعان بالنبّي صلّي الله عليه وسلّم علي تجهيز ابنته، فلم يكن عنده شيء، فاستدعاه بقارورة فسلت (2) له فيها من عرقه، وقال: «مرها فلتطيّب به»، فكانت إذا تطيّبات به شمّ أهل المدينة ذلك الطّيب، فسّموا «بيت المطيّن». ه.

ص: 86

1- الشّري: بثور صغار حمر حكاكة مكربة.

2- أي: مسح بإصبعه.

الفصل الخامس: في صفة طيبه صَلَّى اللهُ عليه و سَلَّمَ و تطيبه

عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه: كان لرسول الله صَلَّى اللهُ عليه و سَلَّمَ سَكَّةٌ يَتَطَيَّبُ مِنْهَا.

و معني (السَّكَّةُ): طيب مجموع من أخلاط، و يحتمل أن يكون وعاء.

و كان رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و سَلَّمَ يأخذ المسك فيمسح به رأسه و لحيته.

و كان صَلَّى اللهُ عليه و سَلَّمَ يضمُّ رأسه بالمسك.

و كان أنس لا يردُّ الطيب؛ و قال: إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عليه و سَلَّمَ كان لا يردُّ الطيب.

و عن أبي عثمان التَّهْدِيّ رضي الله تعالى عنه؛ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و سَلَّمَ: «إِذَا أُعْطِيَ أَحَدُكُمْ الرِّيحَانَ.. فَلَا يَرُدُّهُ؛ فَإِنَّهُ خَرَجَ مِنَ الْجَنَّةِ».

و عن أنس رضي الله عنه: كان أَحَبَّ الرِّيحَانِ إِلَيْهِ صَلَّى اللهُ عليه و سَلَّمَ الْفَاغِيَةَ.

و(الفاغية):زهر الحنّاء.

و كان رسول الله صَلَّى الله عليه و سلّم يعجبه الرّيح الطّيبية.

و كان صَلَّى الله عليه و سلّم يحبّ الطّيب و الرّائحة الحسنة، و يستعملهما كثيرا، و يحضّ عليهما، و يقول: «حبّ إليّ من دنياكم:

النّساء، و الطّيب، و جعلت قرّة عيني في الصّلاة».

و رواية: «حبّ إليّ من دنياكم ثلاث».. لا أصل لها، ففي «المواهب»: قال شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر:

إنّ لفظ «ثلاث» لم يقع في شيء من طرقه، و زيادته تفسد المعني، و كذلك قاله الوليّ العراقيّ في «أماليه»، و عبارته: (ليست هذه اللفظة: و هي ثلاث) في شيء من كتب الحديث و هي مفسدة للمعني؛ فإنّ الصّلاة ليست من أمور الدّنيا، و كذا صرّح به الرّكشيّ و غيره، كما حكاه شيخنا- يعني الحافظ السّخاويّ في «المقاصد الحسنة»- و أقرّه) و أنكره أيضا ابن القيم.

و كان رسول الله صَلَّى الله عليه و سلّم يحبّ الطّيب و يكره الرّائحة الرّديئة.

ص: 88

الفصل السادس: في صفة صوته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

عن أنس رضي الله تعالى عنه: ما بعث الله نبيًا إلا أحسن الوجه، حسن الصوت، وكان نبيكم أحسنهم وجهًا، وأحسنهم صوتًا.

وكان صوت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يبلغ حيث لا يبلغه صوت غيره.

فعن البراء قال: خطبنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى أسمع العواتق (1) في خدورهنّ.

وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها: جلس رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم الجمعة علي المنبر، فقال للنّاس: «اجلسوا»، فسمعه عبد الله بن رواحة وهو في بني غنم، فجلس في مكانه.

وقال عبد الرحمن بن معاذ التّيمي رضي الله تعالى عنه: خطبنا

ص: 89

1- جمع عاتق؛ وهي الشابة أول ما تدرك، وقيل: التي لم تبين من والديها، ولم تتزوج، وقد أدركت وشبت. وخصّهنّ بالذكر لبعدهنّ واحتجابهنّ في البيوت، فسماعهنّ آية علوّ صوته زيادة علي غيره.

رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم بمني، ففتح الله أسمعنا، حتّي إن كُنّا لنسمع ما يقول و نحن في منازلنا.

و عن أمّ هانئ رضي الله تعالى عنها قالت: كُنّا نسمع قراءة النبي صَلَّى الله عليه و سلم في جوف الليل عند الكعبة، و أنا علي عريشي.

و كان رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم إذا خطب.. اشتدّ غضبه و علا صوته، كأنّه منذر جيش يقول: صبّحكم و مساكم.

ص: 90

الفصل السابع: في صفة غضبه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ و سروره

كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا غضب.. يري رضاه و غضبه في وجهه لصفاء بشرته.

و كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا غضب.. احمرّت وجنتاه.

و كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا غضب و هو قائم.. جلس، و إذا غضب و هو جالس.. اضطجع، فيذهب غضبه.

و كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا غضب.. لم يجترئ عليه أحد إلاّ عليّ.

و كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبعد الناس غضبا، و أسرعهم رضا.

و كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يغضب لربه عزّ و جلّ، و لا يغضب لنفسه.

و كان ينفذ الحقّ و إن عاد ذلك بالضرر عليه و علي أصحابه.

و كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا كره شيئا.. عرف ذلك في وجهه.

و أمّا سرور رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

فقد كان صلّي الله عليه و سلّم إذا سرّ.. استنار وجهه كأنه القمر.

و كان صلّي الله عليه و سلّم إذا سرّ.. فكأنّ وجهه المرأة، و كأنّ الجدر يري شخصها فيه.

ص: 92

الفصل الثامن: في صفة ضحكه صَلَّى اللهُ عليه و سَلَّمَ و بكائه و عطاسه

ضحك رسول الله صلي الله عليه و آله

كان رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و سَلَّمَ إذا افتتر (1) ضاحكا.. افتتر عن مثل سنا البرق إذا تلالأ، وعن مثل حب الغمام.

وكان صَلَّى اللهُ عليه و سَلَّمَ جلّ ضحكه التّبسم.

وعن عبد الله بن الحارث رضي الله تعالى عنه قال: ما رأيت أحدا أكثر تبسّما من رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و سَلَّمَ.

وعن عائشة رضي الله [تعالى] عنها أنّها قالت: ما رأيت رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و سَلَّمَ قطّ مستجمعا ضاحكا حتّي أري منه لهواته (2).

وعن عبد الله بن الحارث أيضا قال: ما ضحك رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و سَلَّمَ إلاّ تبسّما.

ص: 93

1- افتتر: أبدي أسنانه حالة كونه ضاحكا.

2- جمع لهاة؛ وهي اللّحمة المشرفة علي الحلق. والمعني: ما رأيت مستجمعا من جهة الضحك، أي: مطمئنا قاصدا للضحك الذي يغلب وقوعه للناس، بحيث يضحك ضحكا تاما، مقبلا بكليته علي الضحك، إنما كان يبتسم، و التبسم أقل الضحك و أحسنه.

وكان رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم لا يحدث حديثاً إلا تَبَسَّم.

وكان ضحك أصحابه صَلَّى الله عليه و سلم عنده التَبَسُّم من غير صوت، اقتداء به، و توقيراً له، وكانوا إذا جلسوا عنده.. كأنما علي رءوسهم الطَّير.

وكان صَلَّى الله عليه و سلم إذا جرى به الضَّحْك.. وضع يده علي فيه (1).

وكان صَلَّى الله عليه و سلم من أضحك النَّاس، و أطيبهم نفساً.

وورد في أحاديث أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى الله عليه و سلم ضحك حتَّى بدت نواجذه-أي: أضراسه-وإن كان الغالب من أحواله صَلَّى الله عليه و سلم التَبَسُّم

فعن أبي ذر رضي الله [تعالى] عنه قال: قال رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم: «إني لأعلم أول رجل يدخل الجنة، و آخر رجل يخرج من النَّار، يوتي بالرجل يوم القيامة فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه، و يخبأ عنه كبارها، فيقال له: عملت يوم كذا.. كذا و كذا، و هو مقر لا ينكر، و هو مشفق من كبارها، فيقال: أعطوه مكان كل سيئة عملها حسنة، فيقول: إن لي ذنوباً لا أراها هاهنا».

قال أبو ذر: فلقد رأيت رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم ضحك حتَّى بدت نواجذه.ا.

ص: 94

1- حتى لا يبدو شيء من باطن فمه، و لئلا يقهقه، و هذا كان نادراً.

و عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم: «إِنِّي لأَعْرِفُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا، رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنْهَا زَحْفًا، يُقَالُ لَهُ: انْطَلَقَ فَادْخَلَ الْجَنَّةَ.

قال: فيذهب ليدخل فيجد الناس قد أخذوا المنازل، فيرجع فيقول: رب؛ قد أخذ الناس المنازل، فيقال له: أتذكر الزمان الذي كنت فيه؟ فيقول: نعم، فيقال له: تمنّ.

قال: فيتمنّي، فيقال له: فإنّ لك الذي تمنّيته و عشرة أضعاف الدنيا.

قال: فيقول: أ تسخر بي و أنت الملك».

قال: فلقد رأيت رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم ضحك حتّي بدت نواجذه.

و عن عامر بن سعد بن أبي وقاص قال: قال سعد رضي الله تعالى عنه: لقد رأيت النَّبِيَّ صَلَّى الله عليه و سلم ضحك يوم الخندق حتّي بدت نواجذه.

قال: قلت: كيف كان ضحكه؟

قال: كان رجل معه ترس، و كان سعد راميا، و كان الرَّجُلُ يقول كذا و كذا بالترس يغطّي جبهته (1)، فنزع له سعد بسهم، فلمّا رفع رأسه..ل.

ص: 95

1- أي: يفعل كذا و كذا بالترس، أي: يشير به يمينا و شمالا، و المراد بالقول هنا الفعل.

رماه فلم يخطئ هذه منه-يعني: جبهته- و انقلب الرجل و شال برجله (1)، فضحك النبي صلى الله عليه و سلم حتى بدت نواجزه. قال:

قلت: من أي شيء ضحك (2)؟

قال: من فعله بالرجل (3).

و عن علي بن ربيعة قال: شهدت علياً رضي الله تعالى عنه أتى بدابة ليركبها، فلما وضع رجله في الركاب.. قال: باسم الله. فلما استوي علي ظهرها.. قال: الحمد لله، ثم قال: سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَ مَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ. وَ إِنَّا إِلِي رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ [الزخرف: 13-14].

ثم قال: الحمد لله (ثلاثاً)، و الله أكبر (ثلاثاً)، سبحانه إني ظلمات نفسي فاغفر لي؛ فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. ثم ضحك.

فقلت: من أي شيء ضحكت يا أمير المؤمنين؟

قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه و سلم صنع كما صنعت ثم ضحك.

فقلت: من أي شيء ضحكت يا رسول الله؟ ك.

ص: 96

1- أي: صار أعلاه أسفله، و سقط علي استه. و شال برجله: رفعها، و الباء هنا للتعدية أو زائدة.

2- أي: من أجل أي سبب ضحك النبي صلى الله عليه و سلم؛ هل من رمي سعد للرجل و إصابته؟ أو من رفعه لرجله و افتضاحه بكشف عورته؟ و لأجل هذا الاحتمال استفسر الراوي- و هو عامر- سعدا عن سبب ضحكه صلى الله عليه و سلم.

3- أي: ضحك صلى الله عليه و سلم من أجل رميه الرجل و إصابته؛ لا من رفعه لرجله و افتضاحه بكشف عورته، لأنه لا يليق بالنبي صلى الله عليه و سلم، و لا ينبغي أن يضحك لهذا؛ بل لذلك.

قال: «إِنَّ رَبَّكَ لِيَعْجَبُ مِنْ عَبْدِهِ إِذَا قَالَ: رَبِّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي، يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ أَحَدٌ غَيْرَهُ».

بكاء رسول الله صلى الله عليه وآله

وأما بكاء رسول الله صلى الله عليه وسلم:

فكان من جنس ضحكته، لم يكن بشهيق و رفع صوت، كما لم يكن ضحكته بقهقهة، ولكن تدمع عيناه حتى تهملان (1)، و يسمع لصدره أزيز، يبكي: رحمة لميت، و: خوفا علي أمته و شفقة، و: من خشية الله تعالي، و: عند سماع القرآن، و: أحيانا في صلاة الليل.

فعن عبد الله بن الشَّخِيرِ رضي الله تعالي عنه قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم و هو يصلي، و لجوفه أزيز كأزيز المرجل (2) من البكاء.

و عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالي عنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اقرأ علي»، فقلت: يا رسول الله؛ اقرأ عليك و عليك أنزل؟! قال: «إني أحب أن أسمع من غيري». فقرأت سورة النساء حتى بلغت: وَ جِئْنَا بِكَ عَلِي هُوَ لَاءِ شَهِيداً [النساء: 41]. قال:

فأريت عيني رسول الله صلى الله عليه وسلم تهملان.

و عن ابن عباس رضي الله تعالي عنهما قال: أخذ رسول الله صلى الله

ص: 97

1- تسيل دمعها.

2- المرجل: قدر من النحاس، و قيل: كل قدر يطبخ فيه، و سمي بذلك لأنه إذا نصب فكأنه أقيم علي رجلين.

عليه و سلم ابنة له صغيرة (1) تقضي (2)، فاحتضنها فوضعها بين يديه، فماتت وهي بين يديه (3) وصاحت أم أيمن، فقال: -يعني: النبي صلي الله عليه و سلم-: «أ تبكين عند رسول الله؟!». أي: بكاء محظورا مقترنا بالصباح دالاً علي الجزع. فقالت: أ لست أراك تبكي؟

قال: «إني لست أبكي، إنما هي رحمة، إن المؤمن بكل خير علي كل حال، إن نفسه تنزع من بين جنبيه؛ وهو يحمد الله عز و جل».

وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: شهدنا ابنة (4) لرسول الله صلي الله عليه و سلم و رسول الله جالس علي القبر، فرأيت عينيه تدمعان.

وعن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله صلي الله عليه و سلم قبّل عثمان بن مظعون، وهو ميت، وهو يبكي.

هو أخوه من الرضاعة (5).

و كانت عيناه صلي الله عليه و سلم كثيرة الدموع و الهملان.

و كسفت الشمس مرة، فجعل صلي الله عليه و سلم يبكي في الصلاة.

ص: 98

1- و هي: بنت بنته زينب، واسمها: أمامة.

2- تشرف علي الموت.

3- أشرفت علي الموت، و لم تمت حينئذ، بل عاشت بعده صلي الله عليه و سلم حتي تزوجها علي بن أبي طالب، و مات -رضي الله عنه- عنها.

4- و هي: أم كلثوم رضي الله عنها.

5- و هذه الجملة من قول المصنف رحمه الله.

و ينفخ، و يقول: «يا ربّ؛ أ لم تعدني أ لا تعدّ بهم و أنا فيهم، و هم يستغفرونك؟ و نحن نستغفرك يا ربّ».

عطاس رسول الله صلي الله عليه و آله

و أما عطاس رسول الله صلي الله عليه و سلّم:

فقد كان صلي الله عليه و سلّم إذا عطس.. و وضع يده أو ثوبه علي فيه، و خفض بها صوته.

و كان صلي الله عليه و سلّم إذا عطس.. حمد الله، فيقال له:

يرحمك الله، فيقول: «يهداكم الله و يصلح بالكم».

و كان صلي الله عليه و سلّم يكره العطسة الشديدة في المسجد.

و كان صلي الله عليه و سلّم يكره رفع الصوت بالعطاس.

أما التثاؤب: فقد كان رسول الله صلي الله عليه و سلّم يكرهه من غيره، و قد حفظه الله تعالى منه، و ما تشاءب نبيّ قطّ.

الفصل التاسع: في صفة كلامه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسكوته

عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: ما كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسرد كسر دكم هذا، ولكن كان يتكلم بكلام بين فصل، يحفظه من جلس إليه.

وكان في كلامه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ترتيب.

وكان كلامه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحفظه كل من سمعه.

وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا تكلم بكلمة.. أعادها ثلاثاً حتى تفهم عنه، وإذا أتى علي قوم فسلم عليهم.. سلم عليهم ثلاثاً.

وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا جلس يتحدث.. يكثر أن يرفع طرفه إلي السماء.

وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحدث حديثاً، لو عدّه العاد.. لأحصاه.

وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طويل الصمت.

وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كثير السكوت، لا يتكلم في غير حاجة، ويعرض عمّن تكلم بغير جميل.

وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخزن لسانه إلا فيما يعنيه.

وكان صلّي الله عليه وسلّم نزر الكلام، سمح المقالة، يعيد الكلام مرّتين ليفهم.

وكان صلّي الله عليه وسلّم كلامه كخزرات النّظم.

وكان يعرض عن كلّ كلام قبيح، ويكفي عن الأمور المستقبحة في العرف إذا اضطرّه الكلام إلي ذكرها.

وكان صلّي الله عليه وسلّم يذكر الله تعالى بين كلّ خطوتين.

ص: 101

الفصل العاشر: في صفة قوته صَلَّى اللهُ عليه و سلم

كان رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و سلم شديد البطش.

وعن ابن إسحاق وغيره: أنه كان بمكة رجل شديد القوة يحسن الصِّراع، وكان الناس يأتونه من البلاد للمصارعة فيصرعهم، فبينما هو ذات يوم في شعب من شعاب مكة إذ لقيه رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و سلم، فقال له: «يا ركانة؛ ألا تتقي الله و تقبل ما أدعوك إليه؟».

فقال له: يا محمد؛ هل من شاهد يدل علي صدقك؟

فقال: «أ رأيتك إن صرعتك، أتؤمن بالله و رسوله؟».

قال: نعم يا محمد.

فقال له: «تهيأ للمصارعة».

فقال: تهيأت.

فدنا رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و سلم فأخذه، ثم صرعه.

قال: فتعجب ركانة من ذلك، ثم سأله الإقالة و العود، ففعل به ثانيا و ثالثا، فوقف ركانة متعجبا، و قال: إنَّ شأنك لعجيب.

وقد صارع النبي صَلَّى اللهُ عليه و سلم جماعة غير ركانة، منهم أبو

الأسود الجمحي، وكان شديداً، بلغ من شدته أنه كان يقف علي جلد البقرة، ويتجاذب أطرافه عشرة لينزعه من تحت قدميه، فيتفري الجلد (1)، ولم يتزحزح عنه، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلي المصارعة، وقال: إن صرعتني.. آمنت بك، فصرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يؤمن.

وَأَمَّا قُوَّةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيَّ الْجَمَاعِ:

فَقَدْ قَالَ أَنَسُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: إِنَّهُ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدُورُ عَلِيَّ نَسَانَهُ فِي السَّاعَةِ الْوَاحِدَةِ مِنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ؛ وَهِنَّ إِحْدَى عَشْرَةَ.

وَأَخْرَجَ ابْنُ مَنِيْعٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَطُوفُ عَلِيَّ تِسْعَ نِسْوَةٍ فِي ضَحْوَةٍ.

وَعَنْ صَفْوَانَ بْنِ سَلِيمٍ مَرْفُوعاً: «أَتَانِي جِبْرِيلُ بِقَدْرٍ فَأَكَلْتُ مِنْهَا، فَأَعْطَيْتُ قُوَّةَ أَرْبَعِينَ رَجُلًا فِي الْجَمَاعِ».

وَعَنْ طَاوُسٍ وَمُجَاهِدٍ: أَعْطَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُوَّةَ أَرْبَعِينَ رَجُلًا فِي الْجَمَاعِ.

وَفِي رِوَايَةٍ عَنْ مُجَاهِدٍ: قُوَّةَ بَضْعٍ وَأَرْبَعِينَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ.

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ رَفَعَهُ: «إِنَّ الرَّجُلَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ لِيُعْطَى قُوَّةَ مِائَةِ فِي الْأَكْلِ وَالشَّرْبِ وَالْجَمَاعِ وَالشَّهْوَةِ».

ص: 103

1- يتفري: ينشق و يتقطع.

الباب الثالث: في صفة لباس رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ و فراشه و سلاحه

اشارة

و فيه ستّة فصول

ص: 105

من قميص و إزار و رداء و قلنسوة و عمامة و نحوها قال القاضي عياض رحمه الله تعالى في «الشفا»: (انظر سيرة نبينا محمد صَلَّى اللهُ عليه و سلم و خلقه في المال.. تجده قد أوتي خزائن الأرض و مفاتيح البلاد، و أحلت له الغنائم؛ و لم تحلّ لنبيّ قبله، و فتح عليه في حياته صَلَّى اللهُ عليه و سلم بلاد الحجاز و اليمن و جميع جزيرة العرب و ما داني ذلك من الشام و العراق، و جلب إليه من أخماسها و جزيتها و صدقاتها ما لا يجبي للملوك إلاّ بعضه، و هادنه جماعة من ملوك الأقاليم فما استأثر بشيء منه، و لا أمسك منه درهما، بل صرفه في مصارفه، و أغني به غيره، و قوّي به المسلمين، و قال: «ما يسرّني أن لي أحدا ذهباً يبيت عندي منه دينار، إلاّ ديناراً أرصده لدين».

و أتته دنانير مرّة، فقسّمها، و بقيت منها بقيّة، فدفعها لبعض نسائه، فلم يأخذه نوم حتّى قام و قسّمها، و قال: «الآن استرحت».

و مات و درعه مرهونة في نفقة عياله، و اقتصر من نفقته و ملبسه

و مسكنه علي ما تدعوه إليه ضرورته، وزهد فيما سواه.

فكان يلبس ما وجدته، فيلبس في الغالب الشَّملة، والكساء الخشن، و البرد الغليظ، و يقسم علي من حضره أقبية (1) الديق المخصوصة (2) بالذهب، و يرفع لمن لم يحضر؛ إذ المباهاة في الملابس و التزيين بها..

ليست من خصال الشرف و الجلالة، و هي من سمات النساء. و المحمود منها نقاوة الثوب، و التوسط في جنسه، و كونه لبس مثله.. غير مسقط لمروءة جنسه.

و في «المواهب»: إنَّ الجمال في الصورة و اللباس و الهيئة ثلاثة أنواع: منه ما يحمد، و منه ما يذم، و منه ما لا يتعلّق به مدح و لا ذم:

فالمحمود منه: ما كان لله، و أعان علي طاعة الله تعالي، و تنفيذ أوامره، و الاستجابة له؛ كما كان صلّي الله عليه و سلّم يتجمل للوفود، و هذا نظير لباس آلة الحرب للقتال، و لباس الحرير في الحرب، و الخيلاء فيه؛ فإنّ ذلك محمود إذا تضمّن إعلاء كلمة الله تعالي، و نصر دينه، و غيظ عدوّه.

و المذموم منه: ما كان للدنيا، و الرئاسة، و الفخر و الخيلاء، و أن يكون هو غاية العبد و أقصى مطلبه.

و أمّا ما لا يحمد و لا يذم: فهو ما خلا عن هذين القصدين، و تجرّد عن الوصفين، و قد كان النبي صلّي الله عليه و سلّم لا يضيق بالافتصارة.

ص: 108

1- الأقبية- جمع قباء- و هو: المخيط من اللباس.

2- المخصوصة: المزيّنة.

علي صنف من اللباس بعينه، ولا يطلب النّفيس الغالي، بل يستعمل ما تيسّر.

ثمّ قال (1): روي أبو نعيم في «الحلية» عن ابن عمر مرفوعاً: «إنّ من كرامة المؤمن علي الله عزّ وجلّ . نقاء ثوبه، ورضاه باليسير».

وله من حديث جابر: أنّ النبيّ صلّي الله عليه وسلّم رأى رجلاً وسخه ثيابه فقال: «أما وجد هذا شيئاً ينقي به ثيابه؟».

قال (2): وكانت سيرته صلّي الله عليه وسلّم في ملبسه أتمّ وأنفع للبدن وأخفّ عليه؛ فإنّه لم تكن عمامته بالكبيرة التي يؤذي حملها و يضعفه و يجعله عرضةً للافات، ولا بالصّدّ غيرة التي تقصر عن وقاية الرّأس من الحرّ والبرد، وكذلك الأردية والأزر أخفّ علي البدن من غيرها، ولم يكن صلّي الله عليه وسلّم يطوّل أكمامه ويوسّعها) اه

وكان أحبّ الثياب إلي رسول الله صلّي الله عليه وسلّم يلبسه..

القميص.

و(القميص): اسم لما يلبس من المنخبط الذي له كمانّ وجيب، يلبس تحت الثياب، ولا يكون من صوف. كذا في «القاموس».

ولم يكن له صلّي الله عليه وسلّم سوي قميص واحد؛ فقد ورد عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنّها قالت: ما رفع رسول الله صلّي الله عليه وسلّم غداء لعشاء، ولا عشاء لغداء، ولا اتّخذ من شيء زوجين، ولا..

ص: 109

1- أي: القسطلاني في «المواهب».

2- أيضاً في «المواهب».

قميصين ولا رداءين ولا إزارين، ولا زوجين من التّعال.

وكان كمّ قميص رسول الله صلّي الله عليه وسلّم إلي الرّسغ.

و(الرّسغ): مفصل ما بين الكفّ والسّاعد من الإنسان.

وكان رسول الله صلّي الله عليه وسلّم كمّه مع الأصابع.

وكان قميصه صلّي الله عليه وسلّم فوق الكعبين، وكان كمّه مع الأصابع.

وكان صلّي الله عليه وسلّم إذا لبس قميصاً.. بدأ بميامنه.

وعن قرّة بن إياس رضي الله تعالى عنه قال: أتيت رسول الله صلّي الله عليه وسلّم في رهط من مزينة لنبايعه، وإنّ زرّ قميصه مطلق، قال:

فأدخلت يدي في جيب قميصه، فمسست الخاتم (1).

وكان أحبّ الثّياب إلي رسول الله صلّي الله عليه وسلّم الحبرة-بوزن عنبة-برد يمانيّ محبّر؛ أي: مزين محسّن.

وكان لرسول الله صلّي الله عليه وسلّم بردان أخضران، فيهما خطوط خضر لا بحتا (2).

وكان صلّي الله عليه وسلّم يعجبه الثّياب الخضر.

وعن أبي جحيفة رضي الله تعالى عنه قال: رأيت النّبّي صلّي الله عليه وسلّم وعليه حلّة حمراء كأتّي أنظر إلي بريق ساقيه.

و(الحلّة) بالضمّ: إزار ورداء، ولا تكون حلّة إلاّ من ثوبين، أوأا.

ص: 110

1- أي: خاتم النبوة.

2- أي: لم يكن أخضر خالصاً.

ثوب له بطانة.

وكان رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم يكسو بناته خمر القزّ و الإبريسم (1).

و(الخمر)-ك«كتب»، جمع خمار- وهو: ما تغطّي به المرأة رأسها.

وكان يتبع الحرير من الثياب.. فينزعها.

وكان قيمة ثوبه صَلَّى الله عليه و سلم عشرة دراهم.

و عن قبيلة بنت مخرمة رضي الله تعالى عنها قالت: رأيت النَّبِيَّ صَلَّى الله عليه و سلم و عليه أسمال (2) مليّتين.

وقوله (مليّتين)- تصغير ملاءة- وهي: كلّ ثوب لم يضمّ بعضه إلى بعض بخيط، بل كلّ نسج واحد.

و عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه: أنّ النَّبِيَّ صَلَّى الله عليه و سلم خرج و هو يتوكأ علي أسامة رضي الله تعالى عنه، و عليه ثوب قطريّ قد توشّح به.. فصليّ بهم.

و(قطريّ): نسبة إلى القطر؛ و هو: نوع من البرود اليمانيّة تتخذ من قطن، و فيه حمرة و أعلام مع خشونة.ق.

ص: 111

1- القزّ: هو ما يعمل منه الإبريسم، و لهذا قال بعضهم: القزّ و الإبريسم مثل الحنطة و الدقيق؛ فالإبريسم ما يؤخذ من القزّ كأخذ الدقيق من الحنطة.

2- الأسمال- جمع سمل- و هو: الثوب الخلق.

و(توشح به)أي: وضعه فوق عاتقيه، أو خالف بين طرفيه و ربطهما بعنقه.

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: خرج رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم ذات غداة و عليه مرط من شعر أسود.

و(المرط):كساء طويل واسع.

و عن المغيرة بن شعبة رضي الله تعالى عنه: أن النَّبِيَّ صَلَّى الله عليه و سلم لبس جبّة روميّة ضيّقة الكمّين.

و(الجبّة):ثوبان بينهما حشو، وقد تقال لما لا حشوله إذا كانت ظهارته (1) من صوف.

و كان كمّه صَلَّى الله عليه و سلم إلي الرّسغ، و لبس القباء (2) و الفرجيّة، و لبس جبّة ضيّقة الكمّين في سفره.

و عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله تعالى عنهما: أنّها أخرجت جبّة طيالسة (3) كسروانيّة، لها لبنة ديباج، و فرجاها مكفوفان (4) بالديباج، قالت: هذه جبّة رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم، كانت عند عائشة رضي الله تعالى عنها، فلمّا قبضت.. قبضتها، و كان النَّبِيَّ صَلَّى الله عليهم.

ص: 112

1- ظهارته: ما يظهر للعين، بخلاف البطانة.

2- القباء: الثوب المشقوق من أمام؛ كالجبّة المعهودة.

3- طيالسة: نوع من الثياب لها علم.

4- وفي رواية: و فرجها مكفوفين، وفي رواية: و فروجا مكفوفة. و(الفرج في الثوب): الشق في أسفله من خلف و أمام.

و سلم يلبسها، فنحن نغسلها للمرضي نستشفى بها.

و معني (اللينة): رقعة في جيب القميص.

و كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يلبس ما وجد؛ فمرة شملة، و مرة برد حبرة يمانية، و مرة جبة صوف، ما وجد من المباح لبس.

و(الشملة): كساء صغير يؤتزر به.

و عن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه قال: أخرجت إلينا عائشة رضي الله تعالى عنها كساء ملبدا و إزارا غليظا؛ فقالت: قبض رسول الله صلى الله عليه و سلم في هذين.

و(الكساء): ما يستر أعلي البدن.

و(الملبد): المرقع.

و(الإزار): ما يستر أسفل البدن.

و(غلظه): خشونته.

و كان له صلى الله عليه و سلم كساء ملبد يلبسه و يقول: «إئما أنا عبد، ألبس كما يلبس العبد».

و كان له صلى الله عليه و سلم كساء أسود، فوهبه، فقالت له أم سلمة: بأبي أنت و أمي ما فعل ذلك الكساء الأسود؟ فقال: «كسوته»، فقالت: ما رأيت شيئا قط أحسن من بياضك علي سواده.

و كان صلى الله عليه و سلم يتقنع بردائه تارة و يتركه أخرى، و هو (1)م.

ص: 113

1- أي: رداؤه صلى الله عليه و سلم.

الَّذِي يَسْمَى فِي الْعَرَفِ: الطَّيْلَسَانِ.

وكان صَلَّى الله عليه وسلم غالب ما يلبس هو وأصحابه ما نسج من القطن، وربما لبسوا ما نسج من الصوف والكتان.

ولبس صَلَّى الله عليه وسلم الشعر الأسود. ولبس مرة بردة من الصوف.. فوجد ريح الضأن فطرحها.

وكان لرسول الله صَلَّى الله عليه وسلم سراويل، ولبس الثعل التي تسمى: التأسومة (1).

وكان له صَلَّى الله عليه وسلم ملاءة مصبوغة بالزعفران، تنقل معه إلى بيوت أزواجه، فترسلها من كان نائما عندها إلى صاحبة التوبة، فترشها بالماء، فتظهر رائحة الزعفران، فينام معها فيها.

وكانت له صَلَّى الله عليه وسلم ملحفة مصبوغة بالزعفران، وربما صَلَّى بالناس فيها واحدها، وربما لبس الكساء واحده و ما عليه غيره.

وكان صَلَّى الله عليه وسلم ربما صَلَّى بالليل في الإزار، وارتدي ببعضه مما يلي هديه، وألقى البقية علي بعض نسائه، فيصلِّي كذلك.

وكانت ثيابه صَلَّى الله عليه وسلم كلها مشمّرة فوق الكعبين، وكان إزاره فوق ذلك إلى نصف الساق، وكان قميصه مشدود الأزرار، وربما حلّ الأزرار في الصلاة وغيرها.

ص: 114

1- التأسومة: ما له سير يستر بعض الأصابع مما يلي أصولها، وبعض ظهر القدم من تلك الجهة.

و عن عبيد بن خالد رضي الله تعالى عنه قال: بينا أنا أمشي بالمدينة إذا إنسان خلفي يقول: «ارفع إزارك فإنه أتقي و أبقى»، فإذا هو رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم فقلت: يا رسول الله؛ إنما هي بردة ملحاء، قال:

«أما لك في أسوة؟!»، فنظرت فإذا إزاره إلي نصف ساقيه.

و معني (ملحاء): سوداء فيها خطوط بيض يلبسها الأعراب، ليست من الثياب الفاخرة.

و(الأسوة): القدوة.

و عن سلمة بن الأكوع رضي الله تعالى عنه قال: كان عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه يأتزر إلي أنصاف ساقيه، و قال: هكذا كانت إزرة [\(1\)](#) صاحبي؛ يعني النبي صَلَّى الله عليه و سلم.

و عن حذيفة بن اليمان رضي الله [تعالى] عنهما قال: أخذ رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم بعضلة ساقني فقال: «هذا موضع الإزار، فإن أبيت.. فأسفل، فإن أبيت.. فلا حق للإزار في الكعبين».

و عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: رأني النبي صَلَّى الله عليه و سلم أسبلت إزاري فقال: «يا ابن عمر؛ كل شيء لمس الأرض من الثياب في النار».

و عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن النبي صَلَّى الله عليه و سلم: «ما أسفل من الكعبين من الإزار.. في النار»، و هو محمولر.

ص: 115

1- الإزرة: اسم لهيئة الأتزار.

علي ما ورد من قيد الخيلاء، فهو الذي ورد فيه الوعيد.

وكان رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم يرخي إزاره من بين يديه، ويرفعه من ورائه.

وكان صَلَّى الله عليه و سلم إذا استجدَّ ثوبا.. سمّاه باسمه؛ قميصا، أو عمامة، أو رداء، ثم يقول: «اللهم! لك الحمد أنت كسوتنيه، أسألك من خيره و خير ما صنع له، وأعوذ بك من شره و شر ما صنع له».

وكان صَلَّى الله عليه و سلم إذا لبس ثوبا جديدا.. حمد الله تعالى، و صَلَّى ركعتين، و كسا الخلق (1).

وكان صَلَّى الله عليه و سلم إذا استجدَّ ثوبا.. لبسه يوم الجمعة.

وكان له صَلَّى الله عليه و سلم برد يلبسه في العيدين و الجمعة.

وكان صَلَّى الله عليه و سلم يلبس بردة حمراء في كلِّ عيد.

وكان له صَلَّى الله عليه و سلم برد حبرة يلبسه في كلِّ عيد.

و مرَّ عمر بن الخطّاب رضي الله تعالى عنه مع النبيِّ صَلَّى الله عليه و سلم بالسوق فرأى حلّة من سندس.. فقال: يا رسول الله! لو اتّخذت هذه للعيد، فقال: «إنّما يلبس هذه من لا خلاق له في الآخرة».

وكانت الصّحابة رضي الله تعالى عنهم يلبسون ذكورهم الصّغار يوم العيد أحسن ما يقدرون عليه من الحلّي، و المصبّغات من الثياب.

وكان له صَلَّى الله عليه و سلم ثوبان لجمعته خاصّة سوي ثيابه في غيره.

ص: 116

1- الخلق: الثوب البالي، و المعني: أنه يتصدق به.

الجمعة، وربّما لبس الإزار الواحد ليس عليه غيره؛ يعقد طرفيه بين كتفيه، وربّما أمّ به النَّاس علي الجنائز، وربّما صلّي في بيته في الإزار الواحد ملتحفا به مخالفا بين طرفيه، ويكون ذلك الإزار هو الذي جامع فيه يومئذ.

و كان إذا قدم عليه الوفد.. لبس أحسن ثيابه، وأمر عليه أصحابه بذلك.

و كان رداؤه صلّي الله عليه و سلّم طوله ستّة أذرع، في ثلاثة و شبر.

و كان إزاره أربعة و شبرا، في عرض ذراعين و شبر.

و لبس صلّي الله عليه و سلّم الأبراد التي فيها خطوط حمر.

و كان ينهي أصحابه عن لبس الأحمر الخالص.

و عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله صلّي الله عليه و سلّم: «عليكم بالبياض من الثياب؛ ليلبسها أحياءكم، و كفنوا فيها موتاكم؛ فإنّها من خير ثيابكم».

و في «المواهب»:

عن عروة: أنّ طول رداء النبي صلّي الله عليه و سلّم أربعة أذرع، و عرضة ذراعان و شبر.

و فيها:

لطيفة:

قيل: لَمَّا كان رسول الله صلّي الله عليه و سلّم لا يبدو منه إلا طيب.. كان آية ذلك في بدنه الشريف أنّه لا يتسخ له ثوب. قيل: ولم يقمّل ثوبه.

ص: 117

وقال ابن سبع في «الشفا»، والسبتي في «أعذب الموارد وأطيب الموالد»: لم يكن القمل يؤذيه تعظيماً له و تكريماً صلّي الله عليه وسلّم.

ثم قال:

ونقل الفخر الرازي: إنّ الذباب لا يقع علي ثيابه قطّ، وإنه لا يمتصّ دمه البعوض.

وكان رسول الله صلّي الله عليه وسلّم يلبس قلنسوة بيضاء.

و(القلنسوة): غشاء مبطن يستر الرأس.

وكان صلّي الله عليه وسلّم يلبس القلانس تحت العمائم و بغير العمائم، و يلبس العمائم بغير القلانس، و كان يلبس القلانس اليمانيّة؛ و هنّ البيض المضربة (1)، و يلبس القلانس ذوات الأذان في الحرب.

و كان ربّما نزع قلنسوته، فجعلها سترة بين يديه و هو يصلّي، و ربّما لم تكن العمامة، فيشدّ العصابة علي رأسه و علي جبهته.

و كان رسول الله صلّي الله عليه وسلّم إذا اعتمّ.. سدل عمامته بين كتفيه.

و كان صلّي الله عليه وسلّم يدير العمامة علي رأسه و يغرزها من ورائه، و يرسل لها ذؤابة بين كتفيه.

و كان صلّي الله عليه وسلّم إذا اعتمّ.. سدل عمامته بين كتفيه، و في أوقات كان يضمّها و يرشقها، و أوقات لا يرخيها جملة.ة.

ص: 118

1- المضربة: المحشوة.

وكان صَلَّى الله عليه و سلم كثيرا ما يلتحي بالعمامة من تحت الحنك كطريق المغاربة.

وكانت له صَلَّى الله عليه و سلم عمامة تسمي (السحاب)، فوهبها لعلي رضي الله تعالى عنه، فربما طلع علي فيها فيقول صَلَّى الله عليه و سلم: «أناكم علي في السحاب».

وعن علي رضي الله تعالى عنه قال: عممني رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم بعمامة سدل طرفها علي منكبي، وقال: «إن الله أمدني يوم بدر و يوم حنين بملائكة معممين هذه العممة».

وقال: «إن العمامة حاجز بين المسلمين و المشركين».

وكان صَلَّى الله عليه و سلم لا يولي واليا حتي يعممه، ويرخي لها عذبة من جانب الأيمن نحو الأذن.

وعن جابر رضي الله تعالى عنه قال: دخل رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم مكة يوم الفتح و عليه عمامة سوداء.

وقال ابن حجر المكي: اعلم أنه لم يتحرر - كما قاله بعض الحفاظ - في طول عمامته صَلَّى الله عليه و سلم و عرضها شيء.

وكان لرسول الله صَلَّى الله عليه و سلم خرقة، إذا توضأ. تمسح بها.

وكان منديله صَلَّى الله عليه و سلم باطن قدميه.

الفصل الثاني: في صفة فراشه صَلَّى الله عليه و سلم و ما يناسبه

كان لرسول الله صَلَّى الله عليه و سلم فراش من آدم، حشوه ليف، طوله ذراعان أو نحوهما، وعرضه ذراع و شبر أو نحوه.
و كان متقللاً من أمتعة الدنيا كلّها، وقد أعطاه الله تعالى مفاتيح خزائن الأرض كلّها.. فأبى أن يأخذها، واختار الآخرة عليها.
و سئلت عائشة رضي الله تعالى عنها: ما كان فراش رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم في بيتك؟ قالت: من آدم، حشوه ليف.
و(الأدم)- جمع أديم علي غير القياس - وهو: الجلد المدبوغ، و يجمع علي: أدم.

و عنها رضي الله تعالى عنها قالت: دخلت عليّ امرأة من الأنصار، فرأت فراش رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم قطيفة مثنية، فبعثت إليّ بفراش حشوه الصّوف، فدخل عليّ رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم فقال: «ما هذا يا عائشة؟!»، قلت: يا رسول الله؛ فلانة الأنصاريّة دخلت فرأت فراشك فبعثت إليّ بهذا، فقال: «ردّيه يا عائشة، فوالله لو شئت لأجري الله تعالى معي جبال الذهب و الفضة».

و(القطيفة): دثار له حمل (1).

وسئلت حفصة رضي الله تعالى عنها: ما كان فراش رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم في بيتك؟ قالت: مسحاً نثنيه ثنيتين فينام عليه، فلمّا كان ذات ليلة.. قلت: لو نثيته أربع ثنيات لكان أوطأ له، فثنيناه له بأربع ثنيات، فلمّا أصبح.. قال: «ما فرشتموا لي الليلة؟».

قالت: قلنا: هو فراشك، إلاّ أنّا ثنيناها بأربع ثنيات، قلنا: هو أوطأ لك، قال: «ردّوه لحالته الأولى؛ فإنّه منعتني وطأته صلّاتي الليلة».

و(المسح): كساء خشن من صوف يعدّ للفراش.

و معني (أوطأ): ألين؛ من وطؤ الفراش فهو وطئ، كقرب فهو قريب.

و كان له صلّي الله عليه و سلم عباءة تفرش له حيثما انتقل، تثنى طاقين تحته.

و كان صلّي الله عليه و سلم كثيراً ما ينام علي الحصير واحده، ليس تحته شيء غيره.

و عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: دخلت علي النبي صَلَّى الله عليه و سلم و هو في غرفة كأنّها بيت حمام، و هو نائم علي حصير قد أثر بجنبه، فبكيت، فقال: «ما يبكيك يا عبد الله؟»، قلت: يا رسول الله؛ كسري و قيصر يطئون علي الخرز و الديباج و الحرير؛ و أنتب.

ص: 121

1- الخمل: الهدب.

نائم علي هذا الحصير، قد أثر بجنبك. فقال: «فلا تبك يا عبد الله، فإن لهم الدنيا ولنا الآخرة».

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: حدثني عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال:

دخلت علي رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم وهو علي حصير، قال:

فجلست فإذا عليه إزاره وليس عليه غيره، وإذا الحصير قد أثر في جنبه، وإذا أنا بقبضة من شعير نحو الصّاع، وإذا إهاب معلق، فابتدرت عينا، فقال: «ما يبكيك يا ابن الخطاب؟». فقلت: يا نبي الله؛ وما لي لا أبكي وهذا الحصير قد أثر في جنبك، وهذه خزائنك لا أري فيها إلا ما أري، وذاك كسري وقيصر في الثمار والأنهار، وأنت نبي الله وشفوته وهذه خزائنك؟! قال: «يا ابن الخطاب؛ أ ما ترضي أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا؟! أولئك قوم عجّل لهم طيباتهم في الدنيا، وهي وشيكة الانقطاع، وإنّا قوم أخّرت لنا طيباتنا في آخرتنا».

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: كان لرسول الله صَلَّى الله عليه وسلم سرير مرمل بالبردي، وعليه كساء أسود، وقد حشونه بالبردي، فدخل أبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما عليه، فإذا النبي صَلَّى الله عليه وسلم نائم عليه، فلمّا رأهما.. استوي جالسا، فنظرا، فإذا أثر السرير في جنب رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم، فقالا:

يا رسول الله؛ ما يؤذيك خشونة ما نري من فراشك وسريرك؛ وهذا كسري وقيصر علي فرش الديباج والحرير؟! فقال عليه الصلّاة والسّلام:

«لا تقولوا هذا؛ فإنّ فرّاش كسري وقيصر في النار، وإنّ فراشي وسريري هذا عاقبته إلى الجنّة».

وما عاب رسول الله صلّي الله عليه وسلّم مضجعا قطّ، إن فرش له..

اضطجع، وإلا.. اضطجع علي الأرض.

و معني (مرّقل): منسوج.

و(البرديّ): نبات.

و تعظّي صلّي الله عليه وسلّم باللّحاف، قال عليه الصّلاة والسّلام:

«ما أتاني جبريل وأنا في لحاف امرأة منكّن.. غير عائشة».

و كان وساده اللّذي يتكئ عليه من أدم، حشوه ليف.

و عن جابر بن سمرة رضي الله تعالى عنه قال: رأيت النّبّي صلّي الله عليه وسلّم متّكئا علي وسادة علي يساره.

و كان صلّي الله عليه وسلّم يصلّي علي الحصير.

و كان صلّي الله عليه وسلّم يصلّي علي بساط.

و كان صلّي الله عليه وسلّم يستحبّ أن تكون له فروة مدبوغة يصلّي عليها.

ص: 123

الفصل الثالث: في صفة خاتمه صَلَّى اللهُ عليه و سَلَّمَ

كان خاتم رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و سَلَّمَ من ورق، وكان فضّه حبشيًا.

و(الورق): الفضة.

و(الفضّ): ما يكتب عليه اسم صاحبه.

و(الحبشيّ): منسوب إلي الحبش، فإنه كان من جزع؛ وهو:

خرز فيه بياض و سواد، أو من عقيق، و معدنهما بالحبشة.

و لم يرد عنه صَلَّى اللهُ عليه و سَلَّمَ أنه لبس خاتما كلّه عقيقا.

و كان خاتمه صَلَّى اللهُ عليه و سَلَّمَ من فضّة فضّه منه.

و عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: أنّ النبي صَلَّى اللهُ عليه و سَلَّمَ اتخذ خاتما من فضّة، فكان يختم به و لا يلبسه.

و كان النبي صَلَّى اللهُ عليه و سَلَّمَ يلبس خاتمه في يمينه.

و التّختم في اليسار ليس مكروها، و لا خلاف الأولي، بل هو سنة لوروده في أحاديث صحيحة، لكن التّختم في اليمين أفضل؛ لأنّ أحاديثه أصحّ. قاله الباجوري.

وكان صَلَّى الله عليه و سلم يتختم في يساره.

وكان صَلَّى الله عليه و سلم يجعل فصّ خاتمه ممّا يلي كفه.

وكان نقش خاتم رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم: (محمد) سطر، و (رسول) سطر، و (الله) سطر.

و عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: لمّا أراد رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم أن يكتب إلي العجم.. قيل له: إنّ العجم لا يقبلون إلاّ كتابا عليه خاتم. فاصطنع خاتما، فكأني أنظر إلي بياضه في كفه.

و عن أنس أيضا: أنّ النّبّي صَلَّى الله عليه و سلم كتب إلي كسري، و قيصر، و النّجاشيّ، ف قيل له: إنّهم لا يقبلون كتابا إلاّ بخاتم، فصاغ رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم خاتما حلقتة فضّة، و نقش فيه: (محمد رسول الله).

و كان صَلَّى الله عليه و سلم يختم الكتب و يقول: «الخاتم علي الكتاب خير من التّهمة».

و عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: اتّخذ رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم خاتما من ذهب، فكان يلبسه في يمينه، فاتّخذ النّاس خواتيم من ذهب، فطرحه، و قال: «لا ألبسه أبدا»، فطرح النّاس خواتيمهم.

و عن ابن عمر أيضا: أنّ النّبّي صَلَّى الله عليه و سلم اتّخذ خاتما من فضّة، و جعل فصّه ممّا يلي كفه، و نقش فيه محمد رسول الله، و نهى أن ينقش أحد عليه.

و هو الذي سقط من معيقب في بئر أريس .

و(معيقب): هو من أهل بدر، وكان يلي خاتم المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والخلفاء من بعده.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: اتخذ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاتما من ورق، فكان في يده، ثم كان في يد أبي بكر، وفي يد عمر، ثم كان في يد عثمان حتى وقع في بئر أريس، نقشه: محمد رسول الله.

قال الباجوري: (و في وقوعه إشارة إلي أنّ أمر الخلافة كان منوطا به، فقد تواصلت الفتن، وتفرقت الكلمة، وحصل الهرج (1)، و لذلك قال بعضهم: كان في خاتمه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما في خاتم سليمان من الأسرار؛ لأنّ خاتم سليمان لمّا فقد.. ذهب ملكه، و خاتمه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمّا فقد من عثمان.. انتقض عليه الأمر، و حصلت الفتن التي أفضت إلي قتله، و اتّصلت إلي اخر الزّمان) اهـ.

و كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا أشفق من الحاجة ينساها..

ربط في خنصره، أو في خاتمه الخيط.

و عن أنس رضي الله تعالى عنه: أنّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إذا دخل الخلاء.. نزع خاتمه. ن.

ص: 126

1- الهرج: القتل بين الفريقين.

و جاء رجل و عليه خاتم من شبه (1).

و في رواية: من صفر؛ و هو: نوع من النحاس كانت الأصنام تتخذ منه، فقال: «ما لي أجد منك ريح الأصنام؟!»، فطرحه، ثم جاء و عليه خاتم من حديد؛ فقال: «ما لي أري عليك حلية أهل النار؟!»، فطرحه، و قال: يا رسول الله؛ من أي شيء أتخذه؟ قال: «من ورق و لا تتمه مثقالا» (2). ا.

ص: 127

1- شبه و شبه-لغتان-: ضرب من النحاس كانت الأصنام تتخذ منه، و سمي بذلك لشبهه بالذهب لونا.

2- المثقال: هو زنة الدينار الإسلامي، و يساوي: (231,4) غراما، أو: (46,4) غراما.

الفصل الزابع: في صفة نعله صَلَّى الله عليه و سلم و خفه

كان لنعل رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم قبالة مثنى شراكهما.

و(القبال): هو زمام يوضع بين الأصبع الوسطي و التي تليها، و يسمي شسعا.

و كان صَلَّى الله عليه و سلم يضع أحد القباليين بين الإبهام و التي تليها، و الآخر بين الوسطي و التي تليها.

و(الشراك): السّير.

و عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: أنه كان يلبس النعال السّبتية؛ و هي التي لا شعر عليها، و قال: إني رأيت رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم يلبس النعال التي ليس فيها شعر، و يتوضأ فيها، فأنا أحب أن ألبسها.

و عن عمرو بن حريث رضي الله تعالى عنه أنه قال: رأيت رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم يصلي في نعلين مخصوفتين-أي: مخروزين-ضمّ فيهما طاق إلي طاق.

و عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما: أن النبي صَلَّى الله عليه

وسلم نهي أن يأكل -يعني الرجل- بشماله، أو يمشي في نعل واحدة.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا انتعل أحدكم.. فليبدأ باليمين، وإذا نزع.. فليبدأ بالشمال، فلتكن اليمين أولهما تنعل وأخرهما تنزع.

وكان صلى الله عليه وسلم إذا جلس يتحدث.. يخلع نعليه.

قال الباجوري: (كانت نعله صلى الله عليه وسلم منحصرة، معقبة، ملتسنة، كما رواه ابن سعد في «الطبقات»).

و(المحصرة): هي التي لها خصر دقيق.

و(المعقبة): هي التي لها عقب، أي: سير من جلد في مؤخر النعل يمسك به عقب القدم.

و(الملتسنة): هي التي في مقدمها طول علي هيئة اللسان.

قال الحافظ الكبير زين الدين العراقي رحمه الله تعالى في «الفتحة النبوية» علي صاحبها أفضل الصلاة والسلام:

ونعله الكريمة المصونه طوي لمن مس بها جبينه

لها قبالة بسير و هما سبتتان سبتوا شعرهما

وطولها شبر وإصبعان و عرضها مئالي الكعبان

سبع أصابع و بطن القدم خمس، و فوق ذافست فاعلم

و رأسها محدد و عرض ما بين القباليين اصبعان اضبطهما

و هذه مثال تلك النعل و دورها أكرم بها من نعل

قال في «المواهب»: ذكر ابن عساكر تمثال نعله صَلَّى اللهُ عليه و سلم في جزء مفرد، وأفرده بالتأليف أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن خلف السلمي الأندلسي، وكذا غيرهما.

قال: ولم أثبتها اتكالا علي شهرتها، ولصعوبة ضبط تسطيرها إلا علي حاذق.

ومن بعض ما ذكر من فضلها، وجرّب من نفعها وبركتها أن أبا جعفر أحمد بن عبد المجيد- وكان شيخا صالحا- أعطي مثالها لبعض الطلبة، فجاءه وقال له: رأيت البارحة من بركة هذا النعل عجبا؛ أصاب زوجتي وجع شديد كاد يهلكها فجعلت النعل علي موضع الوجع، وقلت: اللهم أرني بركة صاحب هذا النعل.. فشفاه الله تعالى للحين.

وقال أبو إسحاق: قال أبو القاسم بن محمد: ومما جرّب من بركته:

أن من أمسكه عنده متبركا به.. كان له أمانا من بغي البغاة، وغلبة العداة، وحرزا من كلّ شيطان مارد، وعين كلّ حاسد، وإن أمسكته الحامل بيمينها وقد اشتدّ عليها الطلق.. تيسر أمرها بحول الله تعالى وقوته.

وما أحسن قول أبي بكر القرطبي رحمه الله تعالى:

ونعل خضعنا هيبة لبهائها وإنا متي نخضع لها أبدا نعلو

فضعها علي أعلي المفارق إنّها حقيقتها تاج و صورتها نعل

بأخص خير الخلق حازت مزيّة علي التّاج حتّي باهت المفروق الرّجل

شفاء لذي سقم، رجاء لبائس أمان لذي خوف، كذا يحسب الفضل

وعن بريدة رضي الله تعالى عنه: أنّ التّجاشي أهدى للتّبيّ صلّي الله عليه وسلّم خفّين أسودين ساذجين، فلبسهما، ثمّ توضّأ و مسح عليهما.

و معني (ساذجين): لم يخالط سوادهما شيء آخر (1).

و عن المغيرة بن شعبة رضي الله تعالى عنه قال: أهدى دحية للتّبيّ صلّي الله عليه وسلّم خفّين، فلبسهما.

و روي الطّبراني في «الأوسط» عن الحبر (2): قال: كان رسول الله صلّي الله عليه وسلّم إذا أراد الحاجة.. أبعد المشي، فانطلق ذات يوم لحاجته، ثمّ توضّأ و لبس خفّه، فجاء طائر أخضر فأخذ الخفّ الآخر فارتفع به، ثمّ ألقاه، فخرج منه أسود سالخ-أي: حيّة-فقال التّبيّ صلّي الله عليه وسلّم: «هذه كرامة أكرمني الله بها. اللهمّ: إني أعوذ بك من شرّ من يمشي علي بطنه، و من شرّ من يمشي علي رجله، و من شرّ من يمشي علي أربع». ١.

ص: 131

1- أو: غير منقوشين، أو: لا شعر عليهما.

2- الحبر: أي العالم، و هو الصحابي الجليل عبد الله بن عباس بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنهما. و سمي بذلك: لأنّه يحبر في عبارته؛ أي يحسنها.

الفصل الخامس: في صفة سلاحه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

عن ابن سيرين قال: صنعت سيفي علي سيف سمرة بن جندب، وزعم سمرة أنه صنع سيفه علي سيف رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، و كان حنفيًا؛ نسبة لبني حنيفة؛ لأنهم معروفون بحسن صنعة السيوف.

و عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: كانت قبيلة سيف (1) رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من فضة.

و(القبيلة)-بوزن الطبيعة-: ما علي طرف مقبض السيف، يعتمد الكفّ عليها لئلا يزلق.

و عن جعفر بن محمد عن أبيه: كان نعل سيف رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -أي: أسفله- و حلقتة و قبيعته.. من فضة.

و قد كان له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سيوف متعدّدة؛ فقد كان له:

سيف يقال له: (المأثور)؛ و هو أول سيف ملكه عن أبيه.

و له سيف يقال له: (القضيب).

ص: 132

1- المراد بالسيف هنا: (ذو الفقار).

وله سيف يقال له: (القلعي)-نسبة إلي قلع-موضع بالبادية.

وله سيف يقال له: (البّار).

وسيف يدعي: (الحتف).

وسيف يدعي: (المخدم) (1)، بكسر الميم.

وسيف يدعي: (الرّسوب) (2).

وسيف يقال له: (الصّمصامة) (3).

وسيف يقال له: (اللّحيف).

وسيف يقال له: (ذو الفقار) (4).

و(الفقر): الحفر. ار

ص: 133

1- المخدم: القاطع.

2- الرسوب: الذي يمضي في المضروب فيه ويغوص فيه.

3- الصمصامة: السيف الصارم الذي لا ينثني.

4- ذو الفقار: سمي كذلك؛ لأنه كان في وسطه حفر صغار، أو في وسطه مثل فقرات الظهر. وهو من أشهر أسيافه صلّي الله عليه وسلّم، و كان لا يكاد يفارقه و دخل به مكة يوم الفتح وهو الذي رأي فيه الرؤيا يوم أحد، وهو سيف سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام، أهدته بلقيس مع ستة أسياف، ثم وصل إلي العاص بن منبه بن الحجاج المقتول كافرا بيدر، قتله علي ابن أبي طالب رضي الله عنه، وأخذ سيفه منه، ثم صار إلي النبي صلّي الله عليه وسلّم يوم بدر من الغنيمة، وكان هذا السيف لا يفارقه في حروبه كافة. ويقال: إنه صار لأمير المؤمنين علي ابن أبي طالب-كرم الله وجهه-في الجنة، ولعله: كان يأخذه منه في الحروب، أو أنه أعطاه له عند موته، وفيه قيل: لا فتى إلا علي ولا سيف إلا ذو الفقار

وقد ذكروا في معجزاته: أنه صَلَّى اللهُ عليه و سلم دفع لعكاشة (1) جذل (2) حطب؛ حين انكسر سيفه يوم بدر، وقال: «اضرب به»، فعاد في يده سيفاً صارماً طويلاً أبيض شديد المتن، فقاتل به، ثم لم يزل عنده يشهد به المشاهد إلى أن استشهد.

ودفع صَلَّى اللهُ عليه و سلم لعبد الله بن جحش يوم أحد- وقد ذهب سيفه- عسيب نخل (3)، فرجع في يده سيفاً.

وكان لرسول الله صَلَّى اللهُ عليه و سلم حربة يمشي بها بين يديه؛ فإذا صَلَّى.. ركزها بين يديه.

وكان صَلَّى اللهُ عليه و سلم رايته سوداء، و لواؤه أبيض (4).

وعن الزبير بن العوام رضي الله تعالى عنه قال: كان علي النبي صَلَّى اللهُ عليه و سلم يوم أحد درعان، فنهض إلى الصخرة؛ فلم يستطع، فأقعد طلحة تحته، وصعد النبي صَلَّى اللهُ عليه و سلم حتى استوي علي الصخرة، قال: سمعت النبي صَلَّى اللهُ عليه و سلم يقول:

«أوجب طلحة»- أي: فعل فعلاً أوجب لنفسه بسببه الجنة.

وكان له صَلَّى اللهُ عليه و سلم سبعة أدرع؛ فقد كان له: ر.

ص: 134

1- بالتخفيف و التشديد و جهان.

2- جذل: أصل.

3- أي: عرجون نخلة.

4- الراية: العلم الكبير. و اللواء: العلم الصغير. فالراية: هي التي يتولاها صاحب الحرب و يقاتل عليها، و اللواء: علامة يتخذها الأمير تدور معه حيث دار.

درع تسمي: (ذات الفضول)؛ سمّيت بذلك لطولها.

و درع تسمي: (ذات الوشاح).

و درع تسمي: (ذات الحواشي).

و درع تسمي: (فضّة).

و درع تسمي: (السّعدية) (1)؛ قيل: هي درع سيّدنا داود التي لبسها لقتال جالوت.

و درع تسمي: (البتراء) (2).

و درع تسمي: (الخرنق).

و عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه: أنّ التّبيّ صليّ الله عليه و سلّم دخل مكّة و عليه مغفر.

و(المغفر)-بوزن منبر-زرد من حديد ينسج بقدر الرّأس يلبس تحت القلنسوة. ا.

ص: 135

1- السّعدية: -و يقال: السّعدية، نسبة إلى السعد-: جبال معروفة.

2- سميت بذلك لقصرها.

الفصل السادس: كان من خلقه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

أن يسمي سلاحه و دوابه و متاعه

كان اسم رايته: (العقاب)، و كانت سوداء، و مرة كان يجعلها صفراء، و مرة بيضاء فيها خطوط سود.

و كان اسم خيمته: (الكتّ). و قضيبه (1): (الممشوق).

و اسم قدحه: (الريّان).

و ركوته: (الصّادر).

و سرجه: (الراج).

و مقراضه: (الجامع).

و سيفه الذي كان يشهد به الحروب: (ذو الفقار).

و كانت له أسياف آخر.

و كانت له منطقة (2) من آدم (3)، فيها ثلاث حلق من فضة.

ص: 136

1- غصن مقطوع من شجر جبال السّراة تتخذ منه القسي.

2- أي: حزام.

3- أي: من جلد.

و كان اسم جعبته (1): (الكافور).

و اسم ناقته: (القصواء)؛ و هي التي يقال لها: (العضباء) (2).

و كان اسم بغلته: (دلذل).

و اسم حماره: (يعفورا) (3).

و اسم شاته التي كان يشرب لبنها: (غيثة) (4).

و في حديث اخر: كان لرسول الله صلي الله عليه و سلم سيف محلي، قائمته من فضة، و نعله من فضة، و فيه حلق من فضة، و كان يسمي: (ذا الفقار).

و كان له قوس تسمي: (ذا السداد).

و كانت له كنانة تسمي: (ذا الجمع).

و كان له درع موشحة بنحاس تسمي: (ذات الفضول).

و كان له حربة تسمي: (النبعاء).

و كان له مجرت (5) يسمي: (الذفن) (6).

و كان له فرس أشقر يسمي: (المرتجز). ء.

ص: 137

1- الجعبة: الكنانة يجمع فيها نبله.

2- العضباء: المقطوعة الأذان أو المشقوقتها.

3- يعفور: اسم ولد الظبي؛ كأنه سمي بذلك لسرعته، أو تشبيها به في عدوه.

4- غيثة: وقيل غوثة، بواو بدل الياء.

5- أي: الترس.

6- وفي بعض النسخ بالقاف بدل الفاء.

و كان له فرس أدهم يسمي: (السَّكَب).

و كان له سرج يسمي: (الرَّاج).

و كان له بغلة شهباء تسمي: (الدَّلْدَل).

و كان له ناقة تسمي: (القصواء).

و كان له حمار يسمي: (يعفوراً).

و كان له بساط يسمي: (الكَرْ).

و كان له عنزة تسمي: (التَّمَر).

و كان له ركوة تسمي: (الصَّادِر).

و كان له مرآة تسمي: (المدلّة).

و كان له مقراض يسمي: (الجامع).

و كان له قضيب شوحط [\(1\)](#) يسمي: (الممشوق).

و كان له صلّي الله عليه و سلّم ربعة [\(2\)](#) يجعل فيها المرأة و المشط و المقراضين و السّواك.

و كان له صلّي الله عليه و سلّم فرس يقال له: (اللّحيف) [\(3\)](#).ة.

ص: 138

1- الشوحط: ضرب من شجر جبال السّراة تتخذ منه القسيّ.

2- ربعة: حقيبة يجعل فيها الأمتعة المذكورة و هي جلد كجؤنة العطار التي يجعل فيها الطيب.

3- وقيل: اللّحيف، وقيل: بالخاء، وقيل: بالجيم، و هو عند ابن الجوزي بالنون بدل اللام من النحافة.

وفرس يقال له: (الظرب) (1).

وفرس يقال له: (اللزاز) (2).

وكان له قصعة يقال لها: (الغراء)؛ يحملها أربعة رجال.

وكان له جارية تسمى: (خضرة) (3). د.

ص: 139

1- وقيل: الظرب.

2- اللزاز: سمي به لشدة تلززه أو اجتماع خلقه، والملز: المجتمع. ولزّ به الشيء: لزق به، كأنه يلتزق بالمطلوب لسرعته.

3- وقال المناوي و تبعه الحفني: الخضرة؛ بكسر الصاد.

الباب الرابع: في صفة أكل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ و شربه، و نومه

إشارة

و فيه ستّة فصول

ص: 141

عن سماك بن حرب [رحمه الله تعالى] قال: سمعت التَّعمان بن بشير رضي الله تعالى عنهما يقول: أ لستم في طعام و شراب ما شتتم؟ لقد رأيت نبيكم صَلَّى اللهُ عليه و سلم و ما يجد من الدَّقْل ما يملأ بطنه.

و(الدَّقْل): رديء التَّمْر.

و كان أكثر طعام رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و سلم: التَّمْر و الماء.

و عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: كُنَّا آلَ مُحَمَّدٍ نمكث شهرًا ما نستوقد بنار، إن هو إلا التَّمْر و الماء.

و في رواية البخاريّ و مسلم: كانت عائشة رضي الله تعالى عنها تقول لعروة: و الله يا ابن أخي؛ إن كُنَّا لننظر إلي الهلال ثم الهلال ثم الهلال؛ ثلاثة أهلة في شهرين و ما أوقد في أبيات رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و سلم نار.

قال: قلت يا خالة؛ فما كان يعيشكم؟

قالت: الأسودان؛ التَّمْر و الماء، إلا أنه كان لرسول الله صَلَّى اللهُ عليه و سلم جيران من الأنصار، و كانت لهم منائح (1)، فكانوا يرسلون إلي

ص: 143

1- منائح- جمع منيحة- و هي: العطية لفظا و معني.. و أصلها عطية الناقة أو الشاة.

رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم من ألبانها، فيسقيناه.

وعن أبي طلحة رضي الله تعالى عنه قال: شكونا إلي رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم الجوع، ورفعنا عن بطوننا عن حجر حجر، فرفع رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم عن بطنه عن حجرين.

وقال الإمام الترمذي: ومعني قوله (ورفعنا عن بطوننا عن حجر حجر): وكان أحدهم يشد في بطنه الحجر من الجهد و الضعف الذي به من الجوع.

وفي كتاب «المواهب»: عن ابن بجير [رضي الله تعالى عنه] قال:

أصاب النبي صَلَّى الله عليه و سلم جوع يوما، فعمد إلي حجر، فوضعه علي بطنه، ثم قال: «ألا رب نفس طاعمة ناعمة في الدنيا.. جائعة عارية يوم القيامة، ألا رب مكرم لنفسه.. و هو لها مهين، ألا رب مهين لنفسه.. و هو لها مكرم».

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: خرج رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم في ساعة لا يخرج فيها و لا يلقاه فيها أحد، فأتاه أبو بكر، فقال: «ما جاء بك يا أبا بكر؟»، قال: خرجت ألقى رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم و أنظر في وجهه، و التسليم عليه، فلم يلبث أن جاء عمر فقال: «ما جاء بك يا عمر؟»، قال: الجوع يا رسول الله، قال صَلَّى الله عليه و سلم: «و أنا قد وجدت بعض ذلك».

فانطلقوا إلي منزل أبي الهيثم بن التيهان الأنصاري [رضي الله تعالى عنه] - و كان رجلا كثير النخل و الشاء، و لم يكن له خدم - فلم يجدوه،

فقالوا لامرأته: «أين صاحبك؟»، فقالت: انطلق يستعذب لنا الماء.

فلم يلبثوا أن جاء أبو الهيثم بقرية يزعبها-أي: يملؤها-فوضعها، ثم جاء يلتزم النبي صلى الله عليه وسلم ويفديه بأبيه وأمه.

ثم انطلق بهم إلي حديقته، فبسط لهم بساطا، ثم انطلق إلي نخلة فجاء بقنو (1) فوضعه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أفلا تنقيت لنا من رطبه؟!»، فقال: يا رسول الله؛ إنني أردت أن تختاروا من رطبه و بسره.

فأكلوا وشربوا من ذلك الماء.

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «هذا-والذي نفسي بيده- من التَّعِيم الذي تسألون عنه يوم القيامة؛ ظلّ بارد، ورطب طيب، وماء بارد».

فانطلق أبو الهيثم ليصنع لهم طعاما، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تذبحنّ لنا ذات درّ»، فذبح لهم عناقا (2)؛ أو جديا (3)، فأتاهم بها فأكلوا.

فقال صلى الله عليه وسلم: «هل لك خادم؟».

قال: لا.

قال: «فإذا أتانا سبي.. فأتنا».ة.

ص: 145

1- الغصن من النخلة المسمّي بالعرجون.

2- وهي: أنثى المعز لها أربعة أشهر.

3- وهو: ذكر المعز ما لم يبلغ سنة.

فأتى صَلَّى اللهُ عليه و سلم برأسين (1) ليس معهما ثالث، فأتاه أبو الهيثم، فقال النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عليه و سلم: «اختر منهما».

قال: يا رسول الله؛ اختر لي.

فقال النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عليه و سلم: «إنَّ المستشار مؤتمن، خذ هذا فإني رأيتك يصلي، واستوص به معروفًا».

فانطلق أبو الهيثم إلي امرأته فأخبرها بقول رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و سلم؛ فقالت امرأته: ما أنت ببالحق ما قال فيه النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عليه و سلم.. إلا أن تعتقه.

قال: فهو عتيق.

فقال صَلَّى اللهُ عليه و سلم: «إنَّ الله لم يبعث نبيا ولا خليفة.. إلا وله بطانتان: بطانة تأمره بالمعروف و تنهاه عن المنكر، و بطانة لا تألوه خبالا (2)؛ و من يوق بطانة السوء فقد وقي، و المعصوم من عصمه الله تعالى».

و عن عتبة بن غزوان رضي الله تعالى عنه قال: لقد رأيتني و إني لسابع سبعة مع رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و سلم، ما لنا طعام إلا ورق الشجر، حتّي تقرّحت أشداقنا (3)، فالتقطت بردة فقسمتها بيني و بين سعد بنه.

ص: 146

1- يعني: أسيرين اثنين.

2- خبالا: فسادا. و في هذا التعبير تنبيه علي أن بطانة السوء يكفي فيها السكوت علي الشر، و عدم النهي عن الفساد.

3- أي: ظهر في جوانب أفواهنا قروح من خشونة ذلك الورق و حرارته.

مالك؛ فاتزرت بنصفها وأتزر سعد بنصفها، فما منّا من أولئك السبعة أحد.. إلا وهو أمير مصر من الأمصار، وستجربون الأمراء بعدنا.

وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم: «لقد أخفت في الله و ما يخاف أحد، و لقد أوذيت في الله و ما يؤذي أحد، و لقد أتت عليّ ثلاثون من بين ليلة و يوم ما لي و لبلال طعام يأكله ذو كبد إلا شيء يواريه إبط بلال».

قال المصنّف في «جامعه» (1): معني هذا الحديث: أنّه إنّما كان مع بلال حين خرج النبيّ صَلَّى الله عليه و سلم من مكّة هاربا؛ و مع بلال من الطّعام ما يواريه تحت إبطه.

و عن أنس أيضا: أنّ النبيّ صَلَّى الله عليه و سلم لم يجتمع عنده غداء و لا عشاء من خبز و لحم إلا علي ضفف.

و(الضّفف): كثرة أيدي الأضياف.

فكان صَلَّى الله عليه و سلم لا يجتمع عنده الخبز و اللّحم في الغداء و العشاء؛ إلا إذا كان عنده الأضياف فيجمعهما لأجلهم.

و عن نوفل بن إيّاس الهذليّ [رحمه الله تعالى] قال: كان عبد الرّحمن ابن عوف رضي الله تعالى عنه لنا جليسا، و كان نعم الجليس، و إنّهُ انقلب بنا ذات يوم حتّي إذا دخلنا بيته.. دخل فاغتسل، ثمّ خرج و أتينا بصحفة (2) فيها خبز و لحم، فلمّا وضعت.. بكى عبد الرّحمن..ة.

ص: 147

1- أي: الترمذي في «الجامع الصحيح».

2- هي إناء كالقصة، و قيل: إناء مبسوط كالصحيفة.

فقلت: يا أبا محمّد؛ ما يبكيك؟.

فقال: توفي رسول الله صلّي الله عليه و سلّم و لم يشبع هو و أهل بيته من خبز الشعير، فلا أرانا أحرنا لما هو خير لنا.

و عن أنس رضي الله تعالى عنه: أنه أتى رسول الله صلّي الله عليه و سلّم بتمر؛ فرأيته يأكل و هو مقع من الجوع.

و معني (الإقعاء): التّساند إلي وراء.

و كان رسول الله صلّي الله عليه و سلّم لا يأخذ ممّا اتاه الله تعالى إلا قوت عامه فقط، من أيسر ما يجد من التّم و الشعير، و يضع سائر ذلك في سبيل الله عزّ و جلّ.

و روي البخاريّ و مسلم: أنّ رسول الله صلّي الله عليه و سلّم كان يعزل نفقة أهله سنة.

و عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: ما رفع رسول الله صلّي الله عليه و سلّم غداء لعشاء، و لا عشاء لغداء.

و روي الترمذيّ عن أنس [رضي الله تعالى عنه]: أنّ رسول الله صلّي الله عليه و سلّم كان لا يدّخر شيئاً لغد.

و كان رسول الله صلّي الله عليه و سلّم إذا تغدّي.. لم يتعشّ، و إذا تعشّي.. لم يتغدّ.

قال القسطلانيّ في «المواهب اللدنيّة»: (قد استشكل كونه عليه الصلّاة و السّلام و أصحابه كانوا يطوون الأيام جوعاً؛ مع ما ثبت:

أنّه كان يرفع لأهله قوت سنة.

وأنّه قسم بين أربعة أنفس من أصحابه ألف بعير ممّا أفاء الله عليه.

وأنّه ساق في عمرته مائة بدنة؛ فنحرها وأطعمها المساكين.

وأنّه أمر لأعرابيّ بقطع من الغنم.. وغير ذلك.

مع من كان معه من أصحاب الأموال؛ كأبي بكر وعمر وعثمان وطلحة وغيرهم، مع بذلهم أنفسهم وأموالهم بين يديه.

وقد أمر بالصدقة فجاء أبو بكر بجميع ماله، وعمر بنصفه.

وحتّ علي تجهيز جيش العسرة؛ فجهّزهم عثمان بألف بعير...إلي غير ذلك؟.

وأجاب عنه الطبري-كما حكاه في «فتح الباري»-: بأنّ ذلك كان منهم في حالة دون حالة؛ لا لعوز وضيق، بل تارة للإيثار، وتارة لكرهة الشّيع وكثرة الأكل.

قال الحافظ ابن حجر: والحق أنّ الكثير منهم كانوا في حال ضيق قبل الهجرة حيث كانوا بمكة، ثمّ لما هاجروا إلي المدينة كان أكثرهم كذلك، فواساهم الأنصار بالمنازل والمنايح، فلمّا فتحت لهم النّضير وما بعدها..ردّوا عليهم منائحهم.

نعم..كان صلّي الله عليه وسلّم يختار ذلك مع إمكان حصول التّوسّع والتّبسّط في الدّنيا له؛ كما أخرج الترمذي من حديث أبي أمامة: أنّ النّبيّ صلّي الله عليه وسلّم قال: «عرض عليّ ربّي ليجعل لي بطحاء مكة

ذهبا، فقلت: لا يا ربّ، ولكن أشبع يوما وأجوع يوما، فإذا جعت..

تضرّعت إليك وذكّرتك، وإذا شبعت.. شكرتك وحمدتك».

وعن ابن عبّاس رضي الله تعالى عنهما قال: كان رسول الله صلّي الله عليه وسلّم ذات يوم وجبريل علي الصّفا، فقال رسول الله صلّي الله عليه وسلّم: «يا جبريل؛ والذي بعثك بالحقّ ما أمسي لآل محمّد سفة (1) من دقيق، ولا كفّ من سويق (2)».

فلم يكن كلامه بأسرع من أن سمع هدّة من السّماء أفزعته، فقال رسول الله صلّي الله عليه وسلّم: «أمر الله القيامة أن تقوم؟».

قال: لا، ولكن أمر إسرأفيل فنزل إليك حين سمع كلامك.

فأتاه إسرأفيل، فقال: إنّ الله تعالى قد سمع ما ذكرت فبعثني إليك بمفاتيح خزائن الأرض، وأمرني أن أعرض عليك: إن أردت أن أسير معك جبال تهامة زمردا وياقوتا، وذهبا وفضة.. فعلت، فإن شئت: نبيا ملكا، وإن شئت نبيا عبدا؟

فأوما إليه جبريل أن تواضع.

فقال: «بل نبيا عبدا» (ثلاثا). رواه الطبراني بإسناد حسن.

ولله درّ الأبوصيريّ حيث قال:

وراودته الجبال الشّم من ذهب عن نفسه فأراها أيّما شمم)ر.

ص: 150

1- قبضة.

2- دقيق الشعير المقلو، ويكون من القمح، والأكثر جعله من الشعير.

وَأَمَّا خَبْزُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

فَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَبِيتُ اللَّيَالِي الْمَتَّابِعَةَ طَاوِيًا (1) هُوَ وَأَهْلُهُ؛ لَا يَجِدُونَ عِشَاءً، وَكَانَ أَكْثَرَ خَبْزِهِمْ خَبْزَ الشَّعِيرِ.

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا قَالَتْ: مَا شَبِعَ آلَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ خَبْزِ الشَّعِيرِ يَوْمِينَ مَتَّابِعِينَ حَتَّى قَبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَعَنْ سَلِيمِ بْنِ عَامِرٍ [رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى] قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا أَمَامَةَ [الْبَاهِلِيَّ] رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ يَقُولُ: مَا كَانَ يَفْضَلُ (2) عَنْ أَهْلِ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَبْزَ الشَّعِيرِ.

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا: مَا رَفَعَ عَنْ مَائِدَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَسْرَةَ خَبْزٍ حَتَّى قَبِضَ.

وَقَدْ وَرَدَ عَنْهَا أَيْضًا [رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا] أَنَّهَا قَالَتْ: تَوَفَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَيْسَ عِنْدِي شَيْءٌ يَأْكُلُهُ ذُو كَبَدٍ إِلَّا شَطْرَ شَعِيرٍ فِي رَفٍّ لِي - أَيْ: نَصْفٍ وَسَقٍ - فَأَكَلْتُ مِنْهُ حَتَّى طَالَ عَلَيَّ فَكَلْتَهُ فَفَنَيْتُ (3).

ص: 151

1- طَاوِيًا: خَالِي الْبَطْنِ جَائِعًا.

2- أَيْ: مَا كَانَ يَزِيدُ عَنْ كِفَايَتِهِمْ، بَلْ كَانَ مَا يَجِدُونَهُ لَا يَشْبِعُهُمْ فِي الْأَكْثَرِ.

3- زَادَتْ فِي رِوَايَةٍ: (فِيَا لَيْتَنِي لَمْ أَكُلْهُ). وَالْبِرْكَةُ تَكُونُ فِي كَيْلِ الطَّعَامِ عِنْدَ الْبَيْعِ وَالشَّرَاءِ، أَمَّا عِنْدَ الْإِنْفَاقِ فَإِنَّ الْكَيْلَ سَبَبٌ لَذَهَابِ الْبِرْكَةِ، وَفِي هَذَا الْأَمْرِ أَسْرَارٌ لِلْبِرْكَةِ غَفَلَ عَنْهَا الْمُسْلِمُونَ الْيَوْمَ.. وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

وكان رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم يأكل خبز الشعير غير منخول، وربما وقف في حلقه فلا يسيغه إلا بجرعة من ماء.

وعن سهل بن سعد رضي الله تعالى عنهما أنه قيل له: أكل رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم التَّقِيَّ (1) يعني: الحواري؟ (2)

فقال سهل: ما رأي رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم التَّقِيَّ حتَّى لقي الله عزَّ و جلَّ.

فقيل له: هل كانت لكم مناخل علي عهد رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم؟

قال: ما كانت لنا مناخل.

قيل: كيف كنتم تصنعون بالشعير؟

قال: كنّا ننفخه فيطير منه ما طار، ثمَّ نعجنه.

وفي رواية له: هل كانت لكم في عهد رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم مناخل؟

فقال: ما رأي النَّبِيِّ صَلَّى الله عليه و سلم منخلاً من حين ابتعثه الله تعالى حتَّى قبضه الله تعالى.

وقال أنس رضي الله تعالى عنه: ما أعلم أنّ رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم رأي رغيفاً مرققاً حتَّى لحق بالله، ولا رأي شاة سميطاً بعينه حتَّى

لحق بالله. رواه البخاري. ي.

ص: 152

1- الخبز المنقّي من النخالة؛ أي: المنخول دقيقه.

2- هو ما حوّر من الدقيق بنخله مراراً، وهذه الزيادة التفسيرية من كلام الراوي.

و(السَّاءَةُ السَّمِيْطُ): هِيَ الَّتِي أُزِيلَ شَعْرُهَا بِالْمَاءِ الْمَسْحَنِ، وَشَوِيَتْ بِجِلْدِهَا، وَهُوَ مِنْ فِعْلِ الْمَتَرَفِّهِينَ.

وَعَنْ قَتَادَةَ [رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى]، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ: مَا أَكَلَ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيَّ خَوَانَ، وَلَا فِي سَكْرَجَةٍ، وَلَا خَبْزَ لَهُ مَرْقُوقٌ.

قَالَ قَتَادَةُ [رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى]: كَانُوا يَأْكُلُونَ عَلِيَّ هَذِهِ السَّفْرِ.

و(الْخَوَانَ): هُوَ مَرْتَفَعٌ يَهَيِّأُ لِيُؤْكَلَ الطَّعَامُ عَلَيْهِ.

و(السَّكْرَجَةُ): إِنَاءٌ صَغِيرٌ يُوَضَعُ فِيهِ الشَّيْءُ الْقَلِيلُ الْمَشْهُيَّ لِلطَّعَامِ؛ كَالسَّلْطَةِ.

و(السَّفْرُ) - جَمْعُ سَفْرَةٍ - وَهِيَ: مَا يَتَّخَذُ مِنْ جِلْدٍ مُسْتَدِيرٍ لِيُؤْكَلَ عَلَيْهِ الطَّعَامُ.

وَعَنْ مَسْرُوقٍ [رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى] قَالَ: دَخَلْتُ عَلِيَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا، فَدَعَتْ لِي بِطَعَامٍ، وَقَالَتْ: مَا أَشْبَعَ مِنْ طَعَامٍ فَأَشَاءُ أَنْ أَبْكِيَ إِلَّا بِكَيْتٍ.

قَالَ: قَلْتُ: لِمَ؟

قَالَتْ: أَذْكَرُ الْحَالَ الَّتِي فَارَقَ عَلَيْهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدُّنْيَا، وَاللَّهُ مَا شَبَعَ مِنْ خَبْزٍ وَلَا لَحْمٍ مَرَّتَيْنِ فِي يَوْمٍ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ: مَا شَبَعَ آلَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ طَعَامٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ تَبَاعَا حَتَّى قَبِضَ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَ مُسْلِمٌ.

ص: 153

وروي مسلم: ما شبع آل محمد يومين من خبز البر إلا وأحدهما تمر.

وروي مسلم أيضا: عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: لقد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم و ما شبع من خبز وزيت في يوم واحد مرتين.

وعنها رضي الله تعالى عنها قالت: ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من خبز الشعير يومين متتابعين حتى قبض.

وفي رواية عنها [رضي الله تعالى عنها] أيضا: ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من خبز شعير يومين متواليين، ولو شاء..

لأعطاه الله عزّ وجلّ ما لا يخطر ببال.

قال القسطلاني في «المواهب»: (وقد تتبعت هل كانت أفراس خبزه صلى الله عليه وسلم صغارا أم كبارا؟ فلم أجد في ذلك شيئا بعد التفتيش.

نعم.. روي أمره بتصغيرها في حديث عن عائشة رضي الله تعالى عنها، رفعتة بلفظ: «صغروا الخبز، وأكثروا عدده.. يبارك لكم فيه».

و كان شيخي العارف الرباني إبراهيم المتبولي يصغّر أرغفة سماطه، كالشيخ أبي العباس أحمد البدويّ والسادات بني الوفاء. أعاد الله تعالى علينا من بركاتهم).

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: خرج-تعني النبي صلى الله عليه وسلم- من الدنيا ولم يملأ بطنه في يوم من طعامين، كان إذا شبع من التمر.. لم يشبع من الشعير، وإذا شبع من الشعير.. لم يشبع من التمر.

قال القسطلاني: (واعلم أن الشُّبُع بدعة ظهرت بعد القرن الأول).

وقد روي النسائي وابن ماجه وصححه الحاكم من حديث المقدم بن معدي كرب: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه، حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن غلبت الأدمي نفسه.. فثلث للطعام، وثلث للشراب، وثلث للنفس».

قال القرطبي: لو سمع بقراط هذه القسمة لعجب من هذه الحكمة).

وعن الحسن رضي الله تعالى عنه قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «والله ما أُمسي في آل محمد صاع من طعام، وإِنَّها لتسعة آيات».

والله ما قالها استقلالاً لرزق الله سبحانه وتعالى، ولكن أراد أن تتأسى به أمته.

وفي «السِّفَا» للقاضي عياض رحمه الله تعالى: عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: لم يمتلئ جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعاً قط، ولم يبت شكوي إلي أحد، وكانت الفاقة أحب إليه من الغني، وإن كان ليظل جائعاً يلتوي طول ليلته من الجوع فلا يمنعه صيام يومه، ولو شاء..

سأل ربّه جميع كنوز الأرض وثمارها، ورغد عيشها، ولقد كنت

أبكي رحمة له ممّا أرى به و أمسح بيدي علي بطنه ممّا به من الجوع، و أقول: نفسي لك الفداء؛ لو تبّلغت من الدّنيا بما يقوتك؟ فيقول: «يا عائشة؛ ما لي و للدّنيا؟! إخواني من أولي العزم من الرّسل صبروا علي ما هو أشدّ من هذا، فمضوا علي حالهم، فقدموا علي ربّهم، فأكرم مآبهم، و أجزل ثوابهم، فأجدني أستحيي إن ترقّفت في معيشتي أن يقصّر ربي غدا دونهم، و ما من شيء هو أحبّ إليّ من اللّحوق بإخواني و أخلائي».

قالت: فما أقام بعد شهرا حتي توفي صلوات الله و سلامه عليه.

ثمّ قال رحمه الله تعالي بعد ثلاث و رقات: كان داود عليه الصّلاة و السّلام يلبس الصّوف، و يفترش الشّعير، و يأكل خبز الشّعير بالملح و الرّماد، و يمزج شرابه بالدموع.

و قيل لعيسي عليه الصّلاة و السّلام: لو اتّخذت حمارا؟

فقال: أنا أكرم علي الله من أن يشغلني بحمار.

و كان يلبس الشّعير و يأكل الشّجر؛ و لم يكن له بيت، أينما أدركه النّوم. نام. و كان أحبّ الأسماء إليه أن يقال له: (يا مسكين).

و قيل: إن موسى [عليه الصّلاة و السّلام] لما ورد ماء مدين كانت تري خضرة البقل في بطنه من الهزال.

و قال صلّي الله عليه و سلّم: «لقد كان الأنبياء قبلي يتبلي أحدهم بالفقر و القمل، و كان ذلك أحبّ إليهم من العطاء إليكم».

وقال مجاهد: كان طعام يحيى: العشب، وكان يبكي من خشية الله تعالى عز وجل، حتّى اتّخذ الدّمع مجري في خدّه.

و حكي الطبري عن وهب: أنّ موسى عليه الصّلاة و السّلام كان يستظلّ بعريش، و يأكل في نقرة (1) من حجر، و يكرع فيها إذا أراد أن يشرب كما تكرع الدّابة؛ تواضعا لله تعالى بما أكرمه من كلامه) آهة.

ص: 157

1- أي: حفرة.

عن كعب بن عجرة رضي الله تعالى عنه قال: رأيت رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و سَلَّمَ يأكل بأصابعه الثلاث؛ بالإبهام، و آتِي تليها، و الوسطي. ثم رأيتَه يلعق أصابعه الثلاث قبل أن يمسحها؛ الوسطي، ثم آتِي تليها، ثم الإبهام.

و كان رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و سَلَّمَ يكره أن يأكل الطَّعام الحارَّ حتَّى تذهب فورة دخانه (1).

و كان صَلَّى اللهُ عليه و سَلَّمَ لا يأكل الطَّعام الحارَّ، و يقول: «إنَّه غير ذي بركة، فأبردوه؛ فإنَّ الله لم يطعمنا ناراً».

و كان صَلَّى اللهُ عليه و سَلَّمَ يأكل بأصابعه الثلاث، و ربَّما استعان بالرَّابطة، و لم يكن يأكل قطَّ بإصبعين، و يخبر أنَّ ذلك من فعل الشَّيطان.

و كان صَلَّى اللهُ عليه و سَلَّمَ يلعق الصَّحفة بأصابعه، و يقول: «آخر الطَّعام أكثر بركة».

ص: 158

وكان [صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] يَلْعَقُ أَصَابِعَهُ مِنَ الطَّعَامِ حَتَّى تَحْمَرَّ.

وكان [صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] لَا يَمْسَحُ يَدَهُ بِالْمَنْدِيلِ حَتَّى يَلْعَقَ أَصَابِعَهُ وَاحِدَةً وَاحِدَةً، وَيَقُولُ: «إِنَّهُ لَا يَدْرِي فِي أَيِّ الطَّعَامِ الْبِرْكَةُ».

وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَكَلَ الْخَبِزَ وَاللَّحْمَ خَاصَّةً.. غَسَلَ يَدَيْهِ غَسَلًا جَيِّدًا، ثُمَّ يَمْسَحُ بِفَضْلِ الْمَاءِ عَلِيَّ وَجْهَهُ.

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ اللَّحُومِ شَيْئًا.. فَلْيَغْسِلْ يَدَهُ مِنْ رِيحِ وَضْرِهِ (1)، وَلَا يُؤْذِي مَنْ حِذَاءَهُ».

وكان أكثر جلوسه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلأَكْلِ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَ رِكْبَتَيْهِ وَبَيْنَ قَدَمَيْهِ؛ كَمَا يَجْلِسُ الْمَصَلِّيُّ، إِلَّا أَنَّ الرُّكْبَةَ تَكُونُ فَوْقَ الرُّكْبَةِ، وَ الْقَدَمُ فَوْقَ الْقَدَمِ.

وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ، وَأَجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْدُ».

وَعَنْ أَبِي جَحِيْفَةَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمَّا أَنَا فَلَا أَكُلُ مَتَّكِنًا».

وَرَوَى ابْنُ مَاجَهَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى أَنْ يَأْكُلَ الرَّجُلُ وَهُوَ مُنْبَطِحٌ عَلِيَّ وَجْهَهُ. ن.

ص: 159

1- الوضوء: وسخ الدسم واللبن.

وأخرج ابن عديّ: أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم زجر أن يعتمد الرجل علي يده اليسري عند الأكل.

وأما إدام رسول الله صلّى الله عليه وسلّم:

فقد كان صلّى الله عليه وسلّم لا يتورّع عن مطعم حلال؛ إن وجد تمرًا دون خبز.. أكله، وإن وجد لحمًا مشويًا.. أكله، وإن وجد خبز برّ..

أكله، أو شعيرًا.. أكله، وإن وجد حلوي، أو عسلا.. أكله، وإن وجد لبنًا دون خبز.. أكله و اكتفي به، وإن وجد بطيخًا، أو رطبًا..

أكله.

و كان صلّى الله عليه وسلّم يأكل ما حضر، ولا يردّ ما وجد.

وعن زهدم الجرميّ [رحمه الله تعالى] قال: كنتا عند أبي موسى الأشعريّ رضي الله تعالى عنه، فأتي بلحم دجاج، فتنحّي رجل من القوم، فقال: ما لك؟ فقال: إنّي رأيتها تأكل شيئًا، فحلفت أن لا أكلها. قال: ادن، فإنّي رأيت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يأكل لحم الدجاج.

وعن إبراهيم بن عمر بن سفينة، عن أبيه [رحمهما الله تعالى]، عن جدّه سفينة [رضي الله تعالى عنه] مولي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، قال: أكلت مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لحم حباري.

و(الحباري): طائر طويل العنق، في منقاره طول، رماديّ اللون، شديد الطيران.

وكان صَلَّى الله عليه و سلم يأكل لحم الدجاج و الطير الذي يصاد، و كان لا يشتريه و لا يصيده، و يحب أن يصاد له، فيؤتي به فيأكله.

وكان رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم يقول لعائشة رضي الله تعالى عنها: «إذا طبختم قدرا. فأكثرُوا فيها من الدباء؛ فإنها تشدّ قلب الحزين».

وكان رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم يأكل الثريد باللحم و القرع.

وكان [صَلَّى الله عليه و سلم] يحبّ القرع، و يقول: «إنها شجرة أخي يونس».

و عن جابر بن طارق رضي الله تعالى عنه قال: دخلت علي النَّبِيِّ صَلَّى الله عليه و سلم فرأيت عنده دباء يقطع، فقلت: ما هذا؟ فقال:

«نكثّر به طعامنا».

و عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: إنَّ خِيَاطَا دعا رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم لطعام صنعه.

قال أنس: فذهبت مع رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم إلي ذلك الطّعام، فقرب إلي رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم خبزا من شعير، و مرقا فيه دباء، و قديد (1).

قال أنس: فرأيت النَّبِيَّ صَلَّى الله عليه و سلم يتتبع الدباء حوالي القصعة، فلم أزل أحبّ الدباء من يومئذ. س.

ص: 161

1- أي: لحم مملوح مجفف في الشمس.

قال النووي: (فيه أنه يستحب أن يحب المرء الدباء، وكذلك كل شيء كان يحبه صلى الله عليه وسلم).

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم يحب الحلواء والعسل.

وكان أحب الشراب إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم..العسل.

وكان أحب الشراب إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم..اللبن.

وكان صلى الله عليه وسلم إذا شرب اللبن..قال: «إن له دسما».

وكان صلى الله عليه وسلم يشرب اللبن خالصا تارة، وتارة مشوبا بالماء البارد.

وكان صلى الله عليه وسلم إذا أتى بلبن..قال: «بركة».

وكان صلى الله عليه وسلم يتمجج التمر باللبن (1)، ويسميها:

«الأطيين».

وأكل صلى الله عليه وسلم التمر بالزبد (2)، وكان يحبه.

وفي «الإحياء»: أنه جاء عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه بفالودج، فأكل منه، وقال: «ما هذا يا أبا عبد الله؟».

ص: 162

1- يأكلهما معا، أو يأكل التمر ويشرب عليه اللبن.

2- وهو ما يستخرج بالخض من لبن البقر والغنم. أما المستخرج من لبن الإبل فلا يسمى زبدا، بل يسمى: (حبابا).

قال: بأبي أنت وأمي، نجعل السمن و العسل في البرمة (1)، ونضعها علي النار، حتّي نغليه، ثم نأخذ مَحّ الحنطة إذا طحنت، فنلقيه علي السمن و العسل في البرمة، ثم نسوطه (2) حتّي ينضج؛ فيأتي كما تري.

فقال رسول الله صلّي الله عليه و سلّم: «إنّ هذا الطّعام طيّب».

و ذكر هذه القصّة في «المواهب» عن عبد الله بن سلام بوجه اخر، مع تسمية هذا الطّعام: الخبيص.

و كان أحبّ الطّعام إلي رسول الله صلّي الله عليه و سلّم اللحم، و يقول: «إنّه يزيد في السمع، و هو سيّد الطّعام في الدّنيا و الآخرة، و لو سألت ربّي أن يطعمنيه كلّ يوم.. لفعل».

و عن عطاء بن يسار: أنّ أم سلمة رضي الله تعالى عنها أخبرته أنّها قرّبت إلي رسول الله صلّي الله عليه و سلّم جنباً مشويّاً فأكل منه.

و عن عبد الله بن الحارث قال: أكلنا مع رسول الله صلّي الله عليه و سلّم شواء في المسجد.

و عن المغيرة بن شعبة رضي الله تعالى عنه قال: ضفت مع رسول الله صلّي الله عليه و سلّم ذات ليلة، فأتي بجنب مشويّ، ثم أخذ الشّفرة (3)؛ فجعل يحزّ، فحزّ لي بها منه. م.

ص: 163

1- البرمة: قدر من فخار.

2- أي: نحركه بالسوط.

3- الشّفرة: السكين العريض العظيم.

قال: فجاء بلال يؤذنه بالصلاة، فألقى الشفرة، فقال: «ما له؟! تربت يداه» (1).

قال: وكان شاربه قد وفا (2)، فقال له (3): «أقصه لك علي سواك؟ أو: قصه علي سواك».

وكان صلي الله عليه وسلم يأكل من الكبد إذا شويت.

وكان صلي الله عليه وسلم يحب من الشاة الذراع والكتف.

و عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: أتى النبي صلي الله عليه وسلم بلحم، فرفع إليه الذراع - وكانت تعجبه - فنهس منها (4).

و عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: كان النبي صلي الله عليه وسلم يعجبه الذراع، وسم في الذراع، وكان يري أن اليهود سمّوه.

و عن أبي عبيدة رضي الله تعالى عنه قال: طبخت للنبي صلي الله عليه وسلم قدرا (5)، وكان يعجبه الذراع، فناولته الذراع، ثم قال: «ناولني».

ص: 164

1- والمقصود منه: الزجر عن ذلك، لا حقيقة الدعاء بذلك، فإنه كره صلي الله عليه وسلم من سيدنا بلال رضي الله عنه إعلامه بالصلاة بحضرة الطعام، والصلاة بحضرة طعام تتوق إليه النفس.. مكروهة، مع ما في ذلك من إيذاء المضيف وكسر خاطره. مع ملاحظة أن وجوب الصلاة في أول الوقت وجوب موسع.

2- أي: كان شارب سيدنا بلال رضي الله عنه قد طال وأشرف علي فمه.

3- أي: النبي صلي الله عليه وسلم.

4- أي: تناوله بأطراف أسنانه.

5- أي: شاة في قدر.

الدَّرَاع»، فنأولته، ثم قال: «ناولني الدَّرَاع»، فقلت: يا رسول الله؛ وكم للشاة من ذراع؟! فقال: «والذي نفسي بيده؛ لو سكت.. لناولتني الدَّرَاع ما دعوت».

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: ما كانت الدَّرَاع أحبَّ اللحم إلي رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم، ولكنه كان لا يجد اللحم إلا غبًا (1)، وكان يعجل إليها؛ لأنها أعجلها نضجًا.

وكان أحبَّ الشاة إلي رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم مقدمها.

وعن عبد الله بن جعفر رضي الله تعالى عنهما قال: سمعت رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم يقول: «إنَّ أطيب اللحم لحم الظهر».

وعن ضباعة بنت الزبير رضي الله تعالى عنها: أتتها ذبحت في بيتها شاة، فأرسل إليهم رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم: «أن أطمعنا من شاتكم». فقالت: ما بقي عندنا إلا الرقبة، وإنِّي لأستحي أن أرسل إلي النبي صَلَّى الله عليه و سلم، فرجع الرسول، فأخبره بقولها. فقال:

«ارجع إليها، فقل لها: أرسلني بها، فإنها هادية الشاة، وأقرب الشاة إلي الخير، وأبعدها عن الأذى».

وكان رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم إذا أكل اللحم.. لم يطأطئ رأسه إليه، بل يرفعه إلي فيه، ثم ينهسه انتهاسا (2). ا.

ص: 165

1- أي: وقتا دون وقت.

2- ويجوز بالشين: ينهسه انتهاسا.

وأكل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القديد؛ كما في حديث «السَّنن» عن رجل قال: ذبحت لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شاة ونحن مسافرون، فقال: «أصلح لحمها»، فلم أزل أطعمه منه إلي المدينة.

وأكل صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لحم حمار الوحش.

وأكل صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لحم الضأن، وأكل صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لحم الجمال سفرا و حضرا.

وأكل صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لحم الأرنب.

وأكل صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من دواب البحر.

وأكل صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الثريد؛ وهو أن يثرد الخبز بمرق اللحم، وقد يكون معه لحم.

و من أمثالهم: (الثريد أحد اللّحمين).

وأكل صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الخبز بالزّيت.

وعن عمر بن الخطّاب رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كلوا الزّيت و اذهنوا به، فإنّه من شجرة مباركة».

وأكل صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السّلق (1) مطبوخا.ر.

ص: 166

1- السّلق: بقلة؛ وهو نبت له ورق طوال، يقال له: السّلك-بالكاف بدل القاف- وقوله: (مطبوخا) أي: بالشعير.

وأكل صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم الخزيرة؛ وهي: ما يتخذ من الدقيق علي هيئة العصيدة، لكنّه أرقّ منها (1).

وأكل صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم الأقط (2)؛ وهو: جبن اللّبن المستخرج زبده، وهو أشبه شيء بالكشك.

وأكل صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم الرّطب و التّمرة و البسر (3).

وأكل صَلَّى اللهُ عليه وسلّم الكباش؛ وهو: ثمر الأراك.

وأكل صَلَّى اللهُ عليه وسلّم الجبن.

عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: أتى النبي صَلَّى اللهُ عليه وسلّم بجبنة في تبوك، فدعا بسكين فسَمّي وقطع.

وأما البصل: فروي أبو داود في «سننه»: عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنّها سئلت عن البصل فقالت: إنّ آخر طعام أكله رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وسلّم فيه بصل.

والظاهر أنّ هذا البصل كان مطبوخا، حتّي لم يبق له رائحة كريهة.

ويدلّ علي هذا قولها: (إنّ آخر طعام أكله فيه بصل)، ولم تقل أكل البصل.

ص: 167

1- الخزيرة: أن يؤخذ اللحم فيقطع قطعاً صغاراً ويصبّ عليه ماء كثير، فإذا نضج ذرّ عليه الدقيق. فإن لم يكن فيها لحم فهي: عصيدة.

2- بتثليث الهمزة مع سكون القاف، ويحرّك. و ككتف، و رجل، و إبل.

3- البسر: هو البلح الطريّ.

وكان أحب الصَّبَاغِ إلي رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم الخَلِّ.

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: «نعم الإدام الخَلِّ».

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: دخل رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم يوم فتح مكّة علي أم هانئ رضي الله تعالى عنها وكان جائعا، فقال لها: «أعندكم طعام أكله؟»، فقالت: إنَّ عندي لكسرا يابسة، وإني لأستحيي أن أقدمها إليك. فقال: «هلمِّيها»، فكسّرها في ماء، وجاءته بملح، فقال: «ما من إدام؟»، فقالت: ما عندي إلا شيء من خَلِّ، فقال: «هلمِّيها».

فلما جاءته به.. صبّه علي طعامه؛ فأكل منه، ثم حمد الله عزّ وجلّ، وأثنى عليه، ثم قال: «نعم الإدام الخَلِّ، يا أم هانئ؛ لا يقفر بيت فيه خَلِّ».

وعن أم سعد رضي الله تعالى عنها قالت: دخل رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم علي عائشة وأنا عندها، فقال: «هل من غداء؟»، فقالت:

عندنا خبز وتمر و خَلِّ، فقال: «نعم الإدام الخَلِّ، اللهمّ؛ بارك في الخَلِّ؛ فإنّه كان إدام الأنبياء قبلي، ولم يقفر بيت فيه خَلِّ».

وهذا مدح للخَلِّ بحسب الوقت- كما قاله ابن القيم- لا لتفضيله علي غيره، بل هو جبر لقلب من قدّمه له صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم، و تطيبا لنفسه، لا تفضيلا له علي غيره؛ إذ لو حضر نحو لحم أو عسل أو لبن..

لكان أحقّ بالمدح.

وبهذا علم أنه لا تنافي بين هذا وبين قوله: «بئس الإدام الخلل».

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «فضل عائشة علي النساء.. كفضل الثريد علي سائر الطعام».

وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: أ ولم رسول الله صلى الله عليه وسلم علي صفيّة بتمر و سويق؛ وهو: ما يعمل من الحنطة، أو الشعير.

وعن سلمى زوج أبي رافع -مولي النبي صلى الله عليه وسلم-: أنّ الحسن بن علي، وابن عباس وابن جعفر رضي الله تعالى عنهم..

أتوها، فقالوا: اصنعي لنا طعاما ممّا كان يعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحسن أكله.

فقال: يا بني؛ لا تشتهيهِ اليوم.

قال: بلي، اصنعيه لنا.

قال: فقامت، فأخذت شيئا من شعير، فطحنته، ثم جعلته في قدر، وصبّت عليه شيئا من زيت، ودقّت الفلفل والتوابل، فقربته إليهم.

فقال: هذا ممّا كان يعجب النبي صلى الله عليه وسلم ويحسن أكله.

قوله (التوابل): هي أدوية حارّة يؤتي بها من الهند، وقيل: إنّها مركّبة من الكزبرة والزنجبيل والكمّون.

و يؤخذ من هذا: أنه صَلَّى الله عليه و سلم كان يحبّ تطيبب الطّعام بما تيسّر و سهل، و أنّ ذلك لا ينافي الرّهد.

و عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال في غزوة الخندق:

انكفيت-أي: انطلقت إلي امرأتي-فقلت: هل عندك شيء؟ فيأتي رأيت بالنبي صَلَّى الله عليه و سلم جوعاً شديداً.

فأخرجت جراباً فيه صاع من شعير و لنا بهيمة داجن، فذبحتها، و طحنت الشّعير حتّي جعلنا اللّحم في البرمة، ثمّ جئته صَلَّى الله عليه و سلم، و أخبرته الخبر سرّاً، و قلت له: تعال أنت و نفر معك.

فصاح: «يا أهل الخندق؛ إنّ جابراً صنع سوراً (1) فحيّ هلاً بكم»، و قال: «لا تنزلنّ برمتكم، و لا تخبزنّ عجنتكم حتّي أجيء».

فلما جاء..أخرجت له العجين؛ فبصق فيه، و بارك، ثمّ عمد إلي برمتنا، فبصق، و بارك، ثمّ قال: «ادعي خابزة فلتخبز معك، و اغرفي من برمتكم، و لا تنزلوها».

و القوم ألف، فاقسم بالله لقد أكلوا حتّي تركوه، و انصرفوا، و إنّ برمتنا لتغطّ-أي: تغلي-كما هي، و إنّ عجينا ليخبز كما هو. رواه البخاريّ و مسلم.

و عن جابر أيضاً قال: خرج رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم و أنا معه، فدخل علي امرأة من الأنصار، فذبحت له شاة؛ فأكل منها، و أتته بقناع-
ا.

ص: 170

1- أي: طعاماً يدعو الناس إليها، أو: هو الطعام مطلقاً.

أي: طبق من رطب-فأكل منه، ثم توضع للظهور، وصلي، ثم انصرف، فأتته بعلافة من علافة الشاة (1)، فأكل، ثم صلي العصر، ولم يتوضأ.

وعن أم المنذر رضي الله تعالى عنها قالت: دخل علي رسول الله صلي الله عليه و سلم و معه علي و لنا دوال (2) معلقة.

قالت: فجعل رسول الله صلي الله عليه و سلم يأكل، و علي معه يأكل. فقال صلي الله عليه و سلم لعلي: «مه يا علي، فإنك ناقه (3)».

قالت: فجلس علي و النبي صلي الله عليه و سلم يأكل.

قالت: فجعلت لهم سلقا و شعيرا.

فقال النبي صلي الله عليه و سلم لعلي: «من هذا فأصب؛ فإن هذا أوفق لك».

وعن عبد الله بن سلام رضي الله تعالى عنه قال: رأيت النبي صلي الله عليه و سلم أخذ كسرة من خبز، فوضع عليها تمره و قال: «هذه إدام هذه».

وعن أنس رضي الله تعالى عنه: أن رسول الله صلي الله عليه و سلم كان يعجبه الثفل. ض.

ص: 171

1- العلافة: بقية الشيء.

2- وهي كالعناقيد من بسر النخل تعلق، كلما أرطبت.. أكل منها علي التدرج.

3- أي: قريب برء من المرض.

و(الثفل): ما بقي من الطعام في أسافل القدر و القصعة و الصّحفة و نحوها.

و كان أحبّ الطّعام إلي رسول الله صلّي الله عليه و سلّم الثريد من الخبز، و الثريد من الحيس.

و(الحيس): التمر مع السمن و الأقط، و قد يجعل عوض الأقط الدقيق أو الفتيت، فبدلك الجميع حتّي يختلط.

و كان رسول الله صلّي الله عليه و سلّم يحبّ من الشاة الذراع و الكتف، و من القدر (1) الدباء، و من التمر العجوة. و دعا في العجوة بالبركة، و كان يقول: «إنها من الجنة و هي شفاء من السمّ و السحر».

و كان أحبّ التمر إلي رسول الله صلّي الله عليه و سلّم العجوة.

و كان صلّي الله عليه و سلّم يحبّ الزبد و التمر.

و كان صلّي الله عليه و سلّم يحبّ من البقول الهندباء، و الشمر (2)، و الرجلة (3).

و كان صلّي الله عليه و سلّم يحبّ القثاء.

و كان صلّي الله عليه و سلّم يحبّ الجذب.ء.

ص: 172

1- أي: المطبوخ في القدر.

2- بقلة، منه نوع حلو يزرع و يؤكل ورقه و سوقه نينا، و نوع اخر سكريّ يؤكل مطبوخا.

3- البقلة الحمقاء؛ التي تنبت علي الطريق و في مسيل الماء.

و(الجذب): الجَمَّار؛ وهو: شحم النَّخْل، واحده: جذبه.

وكان رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم يكره أكل الكليتين؛ لمكانهما من البول.

وكان لا يأكل من الشاة سبعا: الذَّكر، والأنثيين، والحيا- وهو الفرج- و الدَّم، و المثانة، و المرارة، و الغدد. و يكره لغيره أكلها.

وكان صَلَّى الله عليه و سلم لا يأكل الجراد، و لا الكليتين.

وكان صَلَّى الله عليه و سلم يعاف الضَّبَّ، و الطَّحال، و لا يحرمهما.

وكان صَلَّى الله عليه و سلم لا يأكل الثَّوم و لا البصل، و لا الكرَّاث؛ من أجل أنَّ الملائكة تأتيه، و أنَّه يكلم جبريل.

و ما ذمَّ صَلَّى الله عليه و سلم طعاما قطُّ؛ إن اشتهاه..أكله، و إلاّ..

تركه.

و عن عائشة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها قالت: كان النَّبِيُّ صَلَّى الله عليه و سلم يأتيني فيقول: «أعندك غداء»، فأقول: لا، فيقول: «إني صائم»، قالت: فأتاني يوما؛ فقلت: يا رسول الله؛ إنَّه أهديت لنا هديَّة، قال: «و ما هي؟»، قلت: حيس. قال: «أما إني أصبحت صائما»، قالت: ثمَّ أكل.

وكان رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم إذا أتى بطعام..سأل عنه:

«أهدية أم صدقة؟»، فإن قيل صدقة..قال لأصحابه: «كلوا»، و لم يأكل. و إن قيل هديَّة..ضرب بيده فأكل معهم.

وكان صَلَّى الله عليه و سلم لا يأكل من هديّة حتّى يأمر صاحبها أن يأكل منها؛ للشاة التي أهديت له (1).

وكان له صَلَّى الله عليه و سلم لقاح (2) وغنم يتقوّت من ألبانها هو وأهله، وكان لا يحب أن تزيد علي مائة، وإن زادت.. ذبح الزائد.

وكان له [صَلَّى الله عليه و سلم] جيران لهم منائح، يرسلون له من ألبانها فيأكل منها ويشرب، وكان له صَلَّى الله عليه و سلم سبعة أعنز منائح ترعاهنّ أم أيمن حاضنته صَلَّى الله عليه و سلم.

وكان صَلَّى الله عليه و سلم يخرج كثيرا إلي بساتين أصحابه، فيأكل منها ويحتطب.

وكان صَلَّى الله عليه و سلم يجيب دعوة الحرّ والعبد، ويقبل الهدية؛ ولو أنّها جرعة لبن، أو فخذ أرنب، ويكافئ عليها ويأكلها؛ ولا يأكل الصدقة.

وكان صَلَّى الله عليه و سلم إذا دعي لطعام وتبعه أحد.. أعلم به ربّ المنزل؛ فيقول: «إنّ هذا تبعنا، فإن شئت.. رجع».

وكان رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم لا يأكل واحده.

وكان أحبّ الطّعام إلي رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم ما كثرت عليه الأيدي. ر.

ص: 174

1- أي: لأجل قصة الشاة المسمومة التي أهديت له يوم خيبر.

2- الناقة القرية العهد بالولادة إلي ثلاثة أشهر.

وكان صَلَّى الله عليه و سلم يكرّر علي أضيفه، و يعرض عليهم الأكل مرارا.

وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها و عن والديها: لم يمتلئ جوف النَّبِيِّ صَلَّى الله عليه و سلم شيئا قطّ، وإنّه كان في أهله لا يسألهم طعاما و لا يتشّهاه، إن أطعموه.. أكل، و ما أطعموه.. [قبله]، و ما سقوه..

شرب.

وكان صَلَّى الله عليه و سلم ربّما قام فأخذ ما يأكل بنفسه، أو يشرب.

و عن سلمان رضي الله تعالى عنه قال: قرأت في «التّوراة»: إنّ بركة الطّعام الوضوء بعده، فذكرت ذلك للنّبيّ صَلَّى الله عليه و سلم و أخبرته بما قرأت في التّوراة، فقال رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم: «بركة الطّعام الوضوء قبله و الوضوء بعده».

و المراد بالوضوء هنا المعني اللّغويّ؛ و هو: غسل الكفّين.

ص: 175

الفصل الثالث: في ما كان يقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ الطَّعَامِ وَبَعْدَهُ

كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا وضعت المائدة.. قال:

«باسم الله، اللهم؛ اجعلها نعمة مشكورة تصل بها نعمة الجنة».

وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا قَرَّبَ إليه طعام.. يقول:

«باسم الله»، فإذا فرغ.. قال: «اللهم؛ أطعمت و سقيت، و أغنيت و أقنيت (1)، و هديت و اجتبيت، فلك الحمد علي ما أعطيت».

وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا رفعت مائدته.. قال: «الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه، الحمد لله الذي كفانا و آوانا، غير مكفي و لا مكفور و لا مودع و لا مستغني عنه ربنا».

وكان [صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] إذا فرغ من طعامه.. قال: «اللهم؛ لك الحمد، أطعمت و سقيت، و أشبعت و أرويت، فلك الحمد غير مكفور و لا مودع و لا مستغني عنك».

و عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله

ص: 176

1- أقني: أرضني.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا فَرَّغَ مِنْ طَعَامِهِ.. قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا وَجَعَلَنَا مُسْلِمِينَ».

وَكَانَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَكَلَ أَوْ شَرِبَ.. قَالَ:

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَ وَسَقَى، وَسَوَّغَهُ وَجَعَلَ لَهُ مَخْرَجًا».

وَعَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا فَقَرَّبَ طَعَامًا، فَلَمْ أَرِ طَعَامًا أَكْبَرَ بَرَكَاتِهِ مِنْهُ أَوْلَى مَا أَكَلْنَا، وَلَا أَقَلَّ بَرَكَاتِهِ فِي آخِرِهِ. فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ كَيْفَ هَذَا؟ قَالَ: «إِنَّا ذَكَرْنَا اسْمَ اللَّهِ تَعَالَى حِينَ أَكَلْنَا، ثُمَّ قَعَدْنَا مِنْ أَكْلٍ؛ وَلَمْ يَسْمِ اللَّهُ تَعَالَى، فَأَكَلَ مَعَ الشَّيْطَانِ».

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْكُلُ الطَّعَامَ فِي سِتَّةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَأَكَلَهُ بِلِقْمَتَيْنِ، فَقَالَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ سَمَّيْتُ.. لَكَفَاكُم».

وَعَنْهَا رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَنَسِيَ أَنْ يَذَكَرَ اللَّهَ تَعَالَى عَلَيَّ طَعَامِهِ.. فَلْيَقُلْ:

بِاسْمِ اللَّهِ أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ».

وَكَانَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَكَلَ عِنْدَ قَوْمٍ.. لَمْ يَخْرُجْ حَتَّى يَدْعُو لَهُمْ، فَكَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ؛ بَارِكْ لَهُمْ وَارْحَمْهُمْ»، وَكَانَ يَقُولُ: «أَفْطَرْتُ عِنْدَكُمْ الصَّائِمُونَ، وَأَكَلْتُ طَعَامَكُمْ الْأَبْرَارَ، وَصَلَّتْ عَلَيْكُمْ الْمَلَائِكَةُ».

وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَكَلَ مَعَ قَوْمٍ.. كَانَ آخِرَهُمْ أَكْلًا.

و روي عنه صلّي الله عليه و سلّم أنّه قال: «إذا وضعت المائدة.. فلا يقوم الرّجل و إن شبع حتّي يفرغ [القوم]؛ فإنّ ذلك يخجل جليسه، و عسي أن يكون له في الطّعام حاجة».

و عن عمر بن أبي سلمة-ريب رسول الله صلّي الله عليه و سلّم- أنّه دخل علي رسول الله صلّي الله عليه و سلّم و عنده طعام؛ فقال: «ادن يا بني، فسّم الله تعالي، [و كل بيمينك]، و كل ممّا يليك».

[و عن عائشة رضي الله تعالي عنها قالت]: كان رسول الله صلّي الله عليه و سلّم إذا أتى بطعام.. أكل ممّا يليه، و إذا أتى بالتمر.. جالت يده [فيه].

و عن أنس رضي الله تعالي عنه قال: قال رسول الله صلّي الله عليه و سلّم: «إنّ الله ليرضي عن العبد أن يأكل الأكلة.. فيحمده عليها، أو يشرب الشّربة.. فيحمده عليها».

كان رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم يأخذ الرطب بيمينه، و البطيخ بيساره؛ و يأكل الرطب بالبطيخ، و كان أحبّ الفاكهة إليه.

و كان صَلَّى الله عليه و سلم يأكل الرطب، و يلقي التوي علي الطبق.

و كان صَلَّى الله عليه و سلم يأكل البطيخ بالرطب، و يقول: «يكسر حرّ هذا ببرد هذا، و برد هذا بحرّ هذا».

و كان صَلَّى الله عليه و سلم يأكل البطيخ بالخبز و بالسّكر، و ربّما أكله بالرطب، و يستعين باليدين جميعا.

و أكل [صَلَّى الله عليه و سلم] يوما الرطب في يمينه، و كان يحفظ التوي في يساره، فمَرّت شاة، فأشار إليها بالتوي، فجعلت تأكل من كَفّه اليسري و هو يأكل بيمينه حتّي فرغ، و انصرفت الشاة.

و عن أنس رضي الله تعالى عنه: رأيت رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم يجمع بين الخبز و الرطب.

و(الخبز): البطيخ الأصفر.

وكان رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم يأكل القثاء بالرطب.

قالت عائشة رضي الله تعالى عنها: أرادت أمي معالجتي للسمنة لتدخلني علي رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم؛ فما استقام لها ذلك حتى أكلت الرطب بالقثاء، فسمنت عليه كأحسن سمنة. أخرجه ابن ماجه، و رواه النسائي: بإبدال (التمر) مكان (الرطب).

وكان رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم يأكل القثاء بالرطب و بالملح.

وكان أحب الفواكه الرطبة إليه [صَلَّى الله عليه و سلم]: الرطب و العنب.

وكان صَلَّى الله عليه و سلم يأكل العنب خرطاً؛ يري رؤاله علي لحيته كخرز اللؤلؤ.

و رؤاله: ماؤه الذي يتقطر منه.

و عن الربيع بنت معوذ ابن عفراء رضي الله تعالى عنها قالت: بعثني معاذ بقناع (1) من رطب، و عليه أجر من قثاء زغب (2).

وكان صَلَّى الله عليه و سلم يحب القثاء، فأتيته به و عنده حلية قد قدمت عليه من البحرين، فملاً يده منها، فأعطانيه ر.

ص: 180

1- أي: يطبق يهدي عليه.

2- صغار الريش أول ما يطلع نبتة، و وصف به القثاء تشبيهاً لما عليه بالريش الصغير.

قوله (أجر)-[جمع جرو]-وهو: الصَّغِير من كلِّ شيء. و هنا:

الصَّغِير من القثاء.

و كان رسول الله صَلَّى الله عليه و سلَّم إذا أتى بباكورة الثَّمرة.. و وضعها علي عينيه، ثمَّ علي شفَّتيه، و قال: «اللَّهمَّ؛ كما أريتنا أوَّله.. فأرنا آخره»، ثمَّ يعطيه من يكون عنده من الصَّيبان.

و عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: كان النَّاس إذا رأوا أوَّل الثَّمر.. جاءوا به إلي رسول الله صَلَّى الله عليه و سلَّم، فإذا أخذه رسول الله صَلَّى الله عليه و سلَّم. قال: «اللَّهمَّ؛ بارك لنا في ثمارنا، [و بارك لنا في مدينتنا]، و بارك لنا في صاعنا، و في مدِّنا. اللَّهمَّ؛ إنَّ إبراهيم عبدك، و خليلك، و نبيك، و إنِّي عبدك، و نبيك، و إنَّه دعاك لمكَّة، و إنِّي أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك به لمكَّة و مثله معه».

قال: ثمَّ يدعو أصغر وليد يراه فيعطيه ذلك الثَّمر.

قال العلماء: و قد استجيب دعوة الخليل لمكَّة، و الحبيب للمدينة، فصار يجبي إليهما من مشارق الأرض و مغاربها ثمرات كلِّ شيء.

و كان عليه الصَّلاة و السَّلام يأكل من فاكهة بلده عند مجيئها، و لا يحتمي عنها.

فائدة:

قال القسطلاني: و هذا من أكبر أسباب الصَّحَّة، فإنَّ الله سبحانه و تعالى بحكمته جعل في كلِّ بلد من الفاكهة ما ينتفع به أهلها في وقته،

فيكون تناوله من أسباب صحّتهم وعافيتهم، ويغني عن كثير من الأدوية، وقلّ من احتمي عن فاكهة بلده خشية السّقم؛ إلاّ وهو من أسقم
النّاس جسماً، وأبعدهم عن الصّحّة والقوّة.

فمن أكل منها ما ينبغي، في الوقت الذي ينبغي، علي الوجه الذي ينبغي.. كان له دواء نافعاً.

ص: 182

عن عائشة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها قالت: كان أحب الشرب إلي رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم الحلو البارد.

و كان رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم يشرب العسل الممزوج بالماء البارد.

وعن جابر: أنه صَلَّى الله عليه و سلم دخل علي رجل من الأنصار- و معه صاحب له-فسلم، فردّ الرجل و هو يحوّل الماء في حائطه، فقال صَلَّى الله عليه و سلم: «إن كان عندك ماء بات في شنة، وإلا..»

كراعنا»، فقال: عندي ماء بات في شنّ، فانطلق إلي العريش فسكب في قدح ماء، ثم حلب عليه من داجن [له]؛ فشرب عليه الصلّة و السلام.

و(الشنّ): الجلد البالي.

و(الداجن): ما يألّف البيوت من الشياه و نحوها.

و كان رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم إذا استنّ (1).. أعطى السّواك

ص: 183

1- من الاستن، و هو: تنظيف الأسنان بدلكها بالسّواك.

الأكبر، وإذا شرب.. أعطى الذي عن يمينه.

وكان صَلَّى الله عليه و سلم يمصّ الماء مصّاً، ولا يعبّ عبّاً. وكان [صَلَّى الله عليه و سلم] يدفع فضل سُورته إلي من علي يمينه، فإن كان من علي يساره أجَلَ رتبة.. قال للذي علي يمينه: «السنة أن تعطي، فإن أحببت.. اترتهم».

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: دخلت مع رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم أنا و خالد بن الوليد علي ميمونة، فجاءتنا ياناء من لبن، فشرب رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم، وأنا علي يمينه، و خالد عن شماله.

فقال لي: «الشربة لك، فإن شئت اترت بها خالدا».

فقلت: ما كنت لأوثر علي سُورك أحدا.

ثم قال رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم: «من أطعمه الله طعاما..

فليقل: (اللهم؛ بارك لنا فيه، و أطعمنا خيرا منه)، و من سقاه الله لبنا.. فليقل: (اللهم؛ بارك لنا فيه، و زدنا منه).

ثم قال: قال رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم: «ليس شيء يجزئ مكان الطعام و الشراب غير اللبن».

وكان صَلَّى الله عليه و سلم يشرب قاعدا، و كان ذلك عادته. رواه مسلم.

وفي رواية له أيضا: أنه [صَلَّى الله عليه و سلم] نهى عن الشرب قائما.

و عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنّ النبيّ صلّي الله عليه وسلّم شرب من زمزم وهو قائم.

و كان صلّي الله عليه وسلّم إذا أراد أن يتحف الرجل بتحفه..سقاها من ماء زمزم.

و كان صلّي الله عليه وسلّم يحمل ماء زمزم.

و عن عبد الله بن عمرو بن العاصي (1) رضي الله تعالى عنهما قال:

رأيت رسول الله صلّي الله عليه وسلّم يشرب قائما وقاعدا.

و عن النّزال بن سبرة قال: أتني عليّ بكوز من ماء وهو في الرّحبة (2)، فأخذ منه كفا فغسل يديه، ومضمض، واستنشق، ومسح وجهه وذراعيه ورأسه، ثمّ شرب وهو قائم، ثمّ قال: هذا وضوء من لم يحدث، هكذا رأيت رسول الله صلّي الله عليه وسلّم فعل.

و عن كبشة رضي الله تعالى عنها قالت: دخل عليّ النبيّ صلّي الله عليه وسلّم، فشرب من في قربة معلقة قائما، فقامت إليّ فيها فقطعته-أي:

قطعت فم القربة للتبرّك والاستشفاء.

و وقع مثل ذلك لأّم سليم رضي الله تعالى عنها.

و كان رسول الله صلّي الله عليه وسلّم لا ينفخ في طعام ولا شراب، ولا يتنفس في الإناء.ظ.

ص: 185

1- الجمهور علي كتابته بالياء، وهو الفصح عند أهل العربية، ويقع في كثير من كتب الحديث و الفقه أو أكثرها بحذف الياء؛ وهي لغة.

2- المكان المتّسع؛ وهو هنا: رحة الكوفة، و كان يجلس فيها للحكم أو للوعظ.

وكان صَلَّى الله عليه و سلم إذا شرب.. تنفس ثلاثا، ويقول: «هو أهنا، وأمرأ، وأبرأ».

وكان صَلَّى الله عليه و سلم إذا شرب.. تنفس مرّتين، وربّما كان يشرب بنفس واحد حتّى يفرغ.

وكان صَلَّى الله عليه و سلم يشرب في ثلاثة أنفاس، وإذا أدنى الإناء إلي فيه.. سمّي الله تعالى، وإذا أخّره.. حمد الله تعالى. (يفعل ذلك ثلاثا).

وكان صَلَّى الله عليه و سلم لا يتنفس في الإناء، بل ينحرف عنه.

وأتوه مرّة يناء فيه غسل ولبن، فأبى أن يشربه، وقال: «شربتان في شربة، وإدامان في إناء واحد؟!»، ثمّ قال صَلَّى الله عليه و سلم: «لا أحرمه، ولكنّي أكره الفخر والحساب بفضول الدنيا [غدا]، وأحبّ التواضع [لرّبي عزّ وجلّ]؛ فإنّ من تواضع لله.. رفعه [الله]».

وكان يستعذب له صَلَّى الله عليه و سلم الماء من بيوت السّقيا.

وفي لفظ: يستسقي له الماء العذب من بئر السّقيا.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: ولم يكن رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم يشرب علي طعامه؛ لئلاّ يفسده، ولا سيّما إن كان الماء حارّا، أو باردا، فإنّه رديء جدّا.

وكان رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم إذا شرب الماء.. قال:

«الحمد لله الذي سقانا عذبا فراتا برحمته، ولم يجعله ملحا أجاجا بذنوبنا».

فقد روي عن ثابت قال: أخرج إلينا أنس بن مالك قدح خشب غليظا مضطبا بحديد، فقال: يا ثابت؛ هذا قدح رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم، لقد سقيت رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم بهذا الشراب كله: الماء و التبيذ، و العسل و اللبن.

قال الباجوري: (قوله: (التبيذ)-أي: المنبوذ فيه- و هو: ماء حلو يجعل فيه تمرات ليحلو.

و كان ينبذ له صَلَّى الله عليه و سلم أول الليل، و يشرب منه إذا أصبح يومه ذلك و ليلته التي يجيء، و الغد إلي العصر، فإن بقي منه شيء..

سقاها الخادم إن لم يخف منه إسكارا، و إلا.. أمر بصبه، و هو له نفع عظيم في زيادة القوة) هـ.

و عند البخاري: من حديث عاصم الأحول قال: رأيت قدح النبي صَلَّى الله عليه و سلم عند أنس بن مالك- و كان قد انصدع- فسلسله بفضة؛ قال: و هو قدح جيد عريض من نضار.

قال أنس: لقد سقيت رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم في هذا القدح أكثر من كذا و كذا.

[قال]: و قال ابن سيرين: إنّه كان فيه حلقة من حديد، فأراد أنس أن يجعل مكانها حلقة من ذهب أو فضة.. فقال أبو طلحة: لا تغيرن شيئا صنعه رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم، فتركه.

و معني (النضار): الخالص من العود، و من كل شيء، و يقال:

أصل ذلك القدح من شجر النَّبَع، وقيل: من الأثل. ولونه يميل إلى الصَّفرة.

وكان لرسول الله صَلَّى الله عليه و سلم قَدَح قوَارِير يشرب فيه.

وكان صَلَّى الله عليه و سلم يعجبه أن يتوضأ من مخضب من صفر.

و(المخضب): إناء.

و(الصَّفْر): النَّحاس الأصفر.

وكان له صَلَّى الله عليه و سلم قَدَح من عيدان (1) تحت سريره يبول فيه بالليل.

وكان لرسول الله صَلَّى الله عليه و سلم مطهرة من فخار يتوضأ ويشرب منها، وكان النَّاس يرسلون أولادهم الصَّغار الذين عقلوا فيدخلون عليه صَلَّى الله عليه و سلم فلا يدفعون، فإذا وجدوا في المطهرة ماء شربوا منه، ومسحوا علي وجوههم، وأجسامهم، يبتغون بذلك البركة.

وكان صَلَّى الله عليه و سلم إذا صَلَّى الغداة.. [جاءه] خدم أهل المدينة بأنيتهم فيها الماء، فما يؤتي بإناء.. إلا غمس يده فيه.

وكان صَلَّى الله عليه و سلم يبعث إلي المطاهر فيؤتي بالماء فيشربه، يرجو بركة أيدي المسلمين.

ص: 188

1- وهي: الطوال من النخل، والواحدة: عيدانة.

الفصل السادس: في صفة نومه صَلَّى اللهُ عليه و سلم

قال في «المواهب»: (كان عليه الصلاة والسلام ينام أول الليل، ويستيقظ في أول النصف الثاني، فيقوم فيستاك، فيتوضأ، ولم يكن يأخذ من النوم فوق القدر المحتاج إليه منه، ولا يمنع نفسه من القدر المحتاج منه، وكان ينام علي جنبه الأيمن؛ ذاكرا الله تعالى حتى تغلبه عيناه، غير ممتلئ البطن من الطعام والشراب).

قال: وكان عليه الصلاة والسلام ينام علي الفراش تارة، وعلي النطع تارة، وعلي الحصير تارة، وعلي الأرض تارة.

و كان فراشه [صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] أداما؛ حشوه ليف، وكان له مسح (1) ينام عليه) اه

و كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ينام أول الليل ويحيي آخره.

و كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا ينام حتى يستن.

ص: 189

1- المسح: فراش خشن غليظ.

وكان صَلَّى الله عليه و سلم لا يرقد من ليل ولا نهار فيستيقظ.. إلا تسوّك.

وكان صَلَّى الله عليه و سلم لا ينام.. إلا و السّواك عند رأسه، فإذا استيقظ.. بدأ بالسّواك.

وكان صَلَّى الله عليه و سلم يستاك في الليل مرارا.

وكان صَلَّى الله عليه و سلم إذا أراد أن يرقد.. وضع يده اليمنى تحت خدّه، ثم يقول: «اللّهمّ؛ فني عذابك يوم تبعث عبادك» (ثلاث مرّات).

وكان صَلَّى الله عليه و سلم إذا أخذ مضجعه من اللّيل.. وضع يده تحت خدّه، ثم يقول: «باسمك اللّهمّ أحياء، و باسمك أموت».

و إذا استيقظ.. قال: «الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه التّشور».

وكان صَلَّى الله عليه و سلم إذا أخذ مضجعه من اللّيل.. قال:

«باسم الله وضعت جنبي، اللّهمّ؛ اغفر لي ذنبي، و أخسى شيطاني، و فكّ رهاني، و ثقل ميزاني، و اجعلني في التّديّ (1) الأعلي».

وكان صَلَّى الله عليه و سلم إذا أخذ مضجعه.. قرأ (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ) حتي يختمها.

و عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: كان رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم.

ص: 190

1- النديّ: هم القوم المجتمعون في مجلس.

وسلم إذا أوي إلي فراشه كل ليلة.. جمع كفيه فنفت (1) فيهما وقرأ فيهما (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ)، و: (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ)، و: (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ)، ثم مسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما رأسه ووجهه و ما أقبل من جسده؛ يصنع ذلك ثلاث مرات.

وكان [صلي الله عليه وسلم] لا ينام حتى يقرأ: (بني إسرائيل) (2) و: (الزمر).

وكان صلي الله عليه وسلم لا ينام حتى يقرأ: (ألم تنزل) السجدة، و: (تبارك الذي بيده الملك).

وكان صلي الله عليه وسلم يأمر نساءه إذا أرادت إحداهن أن تنام.. أن تحمد ثلاثا و ثلاثين، و تسبح ثلاثا و ثلاثين، و تسبح ثلاثا و ثلاثين، و تكبر ثلاثا و ثلاثين.

وعن أنس رضي الله تعالى عنه: أن رسول الله صلي الله عليه وسلم كان إذا أوي إلي فراشه.. قال: «الحمد لله الذي أطعمنا و سقانا و كفانا و آوانا، فكم ممن لا كافي له و لا مؤوي له».

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: كان رسول الله صلي الله عليه وسلم إذا تضرع من الليل.. قال: «لا إله إلا الله الواحد القهار، رب السموات و الأرض و ما بينهما العزيز الغفار».

و معني (تضرع): تلوي و تقلب في فراشه. ٤.

ص: 191

1- نفخ نفخا لطيفا بلا ريق.

2- و يقال لها: سورة الإسراء.

وكان رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم إذا تعازّى من الليل.. قال: «ربّ اغفر وارحم، واهد للسّبييل الأقوم».

و معني (تعازّى): هبّ من نومه و استيقظ.

و عن أبي قتادة رضي الله تعالى عنه: أنّ النَّبِيَّ صَلَّى الله عليه و سلم كان إذا عرّس بليل.. اضطجع علي شقّه الأيمن، و إذا عرّس قبيل الصّبح.. نصب ذراعاه، و وضع رأسه علي كفّه.

و معني (التّعريس): نزول القوم في السّفَر اخر اللّيل.

و كان رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم إذا أراد أن ينام و هو جنب..

توضّأ وضوءه للصّلاة، و إذا أراد أن يأكل أو يشرب و هو جنب.. غسل يديه ثمّ يأكل و يشرب.

و كان صَلَّى الله عليه و سلم إذا أراد أن ينام و هو جنب.. غسل فرجه و توضّأ.

و كان صَلَّى الله عليه و سلم تنام عيناه و لا ينام قلبه.

و لذلك كان صَلَّى الله عليه و سلم ينام حتّى ينفخ (1)، ثمّ يقوم فيصلّي.ه.

ص: 192

1- و هو: إرسال الهواء من الفم بقوة؛ و المراد هنا: ما يخرج من النائم حين استغراقه في نومه.

الباب الخامس: في صفة خلق رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم و حلمه، و عشرته مع نساءه، و أمانته، و صدقه، و حيائه، و مزاحه، و تواضعه، و جلوسه، و كرمه، و شجاعته

إشارة

صَلَّى الله عليه و سلم و حلمه، و عشرته مع نساءه، و أمانته، و صدقه، و حيائه، و مزاحه، و تواضعه، و جلوسه، و كرمه، و شجاعته

و فيه ستّة فصول

ص: 193

الفصل الأول: في صفة خلقه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ و حلمه

صفة خلق رسول الله صلى الله عليه وآله

قال القاضي عياض في «الشفاء»: (قال وهب بن منبه: قرأت في أحد و سبعين كتابا، فوجدت في جميعها: أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أرجح النَّاس عقلا، وأفضلهم رأيا).

وفي رواية أخرى: فوجدت في جميعها: أن الله تعالى لم يعط جميع النَّاس من بدء الدنيا إلي انقضائها من العقل في جنب عقله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا كحبة رمل من بين رمال الدنيا).

و ذكر القسطلاني في «المواهب»، عن «عوارف المعارف»:

(اللَّبَّ و العقل مائة جزء؛ تسعة و تسعون في النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، و جزء في سائر المؤمنين).

قال: و من تأمل حسن تدبيره للعرب الذين هم كالوحش الشارد، مع الطبع المتنافر المتباعد، و كيف ساسهم و احتمل جفاهم، و صبر علي أذاهم إلي أن انقادوا إليه، و اجتمعوا عليه، و قاتلوا دونه أهليهم و آباءهم و أبناءهم، و اختاروه علي أنفسهم، و هجروا في رضاه أوطانهم و أحببواهم، من غير ممارسة سبقت له، و لا مطالعة كتب يتعلم منها سير

الماضين..تحقق له أنه أعقل العالمين.

ولما كان عقله عليه الصلاة والسلام أوسع العقول..لا جرم اتسعت أخلاق نفسه الكريمة اتساعاً، لا يضيق عن شيء).

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلقه القرآن.

قال الإمام الغزالي في «الإحياء»: (قال سعد بن هشام: دخلت علي عائشة رضي الله تعالى عنها وعن أبيها، فسألتها عن أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

فقالت: أما ما تقرأ القرآن؟!)

قلت: بلي.

قالت: كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن.

وإنما أدبه القرآن بمثل قوله تعالى: خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ [الأعراف:199].

وقوله: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ [النحل:90].

وقوله: وَاصْبِرْ عَلَيَّ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ [القمان:17].

وقوله: وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ [الشوري:43].

وقوله: فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ [المائدة:13].

وقوله: اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا [الحجرات:12].

ص: 196

و أمثال هذه التّأديبات في القرآن لا تنحصر.

و هو صلّي الله عليه و سلّم المقصود الأوّل بالتأديب و التّهذيب، ثمّ منه يشرق النور علي كافّة الخلق؛ فإنّه أدب بالقرآن فتأدّب به، و أدب الخلق به؛ و لذلك قال صلّي الله عليه و سلّم: «بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق».

ثمّ لما أكمل الله تعالي خلقه.. أثني عليه فقال تعالي: **وَإِنَّكَ لَعَلِي خُلِقْتَ عَظِيمٍ [القلم:4].**

ثمّ قال الغزاليّ: (و عن معاذ بن جبل، عن النبيّ صلّي الله عليه و سلّم قال: «إنّ الله حفّ الإسلام بمكارم الأخلاق و محاسن الأعمال».

و من ذلك: حسن المعاشرة، و كرم الصّديعة، و لين الجانب، و بذل المعروف، و إطعام الطّعام، و إفشاء السّلام، و عيادة المريض المسلم؛ برّاً كان أو فاجراً، و تشييع جنازة المسلم، و حسن الجوار لمن جاورت؛ مسلماً كان أو كافراً، و توقير ذي الشّيبة المسلم، و إجابة دعوة الطّعام، و الدّعاء عليه، و العفو، و الإصلاح بين النّاس، و الجود، و الكرم، و السّماحة، و الابتداء بالسّلام، و كظم الغيظ، و العفو عن النّاس، و اجتناب ما حرّمه الإسلام من اللّهُو، و الباطل، و الغناء، و المعازف كلّها، و كلّ ذي وتر، و كلّ ذي ذحل، و الغيبة، و الكذب، و البخل، و الشّح، و الجفاء، و المكر، و الخديعة، و النّميمة، و سوء ذات البين، و قطيعة الأرحام، و سوء الخلق و التّكبر، و الفخر، و الاختيال، و الاستطالة، و البذخ، و الفحش، و التّفحّش، و الحقد، و الحسد، و الطّيرة، و البغي، و العدوان، و الظّلم.

ص: 197

قوله وتر: (الوتر): الثَّار.

و(الدَّحَل): الحقد و العداوة، و الثَّار أيضا.

قال أنس رضي الله عنه: فلم يدع نصيحة جميلة إلا وقد دعانا إليها و أمرنا بها، و لم يدع غشا- أو قال: عيبا، أو قال: شيئا- إلا حذرناه و نهانا عنه، و يكفي من ذلك كله هذه الآية: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ الْإِحْسَانِ وَ إِتْيَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَ يُنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَ الْمُنْكَرِ وَ الْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ [النحل: 90].

و قال معاذ: أوصاني رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم فقال: «يا معاذ؛ أوصيك باتِّقاء الله، و صدق الحديث، و الوفاء بالعهد، و أداء الأمانة، و ترك الخيانة، و حفظ الجار، و رحمة اليتيم، و لين الكلام، و بذل السَّلام، و حسن العمل، و قصر الأمل، و لزوم الإيمان، و التَّفَقُّه في القرآن، و حبِّ الآخرة، و الجزع من الحساب، و خفض الجناح، و أنهاك أن تسبَّ حكيما، أو تكذب صادقا، أو تطيع اثما، أو تعصي إماما عادلا، أو تفسد أرضا..

و أوصيك باتِّقاء الله تعالى عند كلِّ حجر و شجر و مدر، و أن تحدث لكلِّ ذنب توبة: السِّرَّ بالسِّرِّ، و العلانية بالعلانية»).

فهكذا أدب [صَلَّى الله عليه و سلم] عباد الله، و دعاهم إلي مكارم الأخلاق و محاسن الآداب.

و عن الحسن بن علي رضي الله تعالى عنه قال: سألت خالي هند بن

أبي هالة (1)-و كان وصافا-عن حلية رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم-و أنا أشتهي أن يصف لي منها شيئا-فقال:

كان رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم فحما، مفخما، يتلألأ وجهه تلالؤ القمر ليلة البدر... فذكر الحديث بطوله.

قال الحسن: فكتمتها الحسين زمانا، ثم حدثته فوجدته قد سبقني إليه، فسأله عما سألته عنه، و وجدته قد سأل أباه عن مدخله و مخرجه و شكله، فلم يدع منه شيئا.

قال الحسين: فسألت أبي عن دخول رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم.

فقال: كان إذا أوي إلي منزله.. جزأ دخوله ثلاثة أجزاء؛ جزأ لله، و جزأ لأهله، و جزأ لنفسه.

ثم جزأ جزأه بينه و بين الناس، فيردّ بالخاصة علي العامة، و لا يدخر عنهم شيئا.

و كان من سيرته في جزء الأمة إيثار أهل الفضل بإذنه، و قسمه علي قدر فضلهم في الدين، فمنهم ذو الحاجة، و منهم ذو الحاجتين، و منهم ذو الحوائج؛ فيتشغل بهم و يشغلهم في ما يصلحهم و الأمة، من مسألتهم عنه، و إخبارهم بالذي ينبغي لهم، و يقول: «ليبلغ الشاهد منكم الغائب، و أبلغوني حاجة من لا يستطيع إبلاغها، فإنه من أبلغا.

ص: 199

1- و هو أخو السيدة فاطمة الزهراء من أمها خديجة رضي الله تعالى عنهما.

سلطانا حاجة من لا يستطيع إبلاغها..ثبت الله قدميه يوم القيامة»؛ لا يذكر عنده إلا ذلك، ولا يقبل من أحد غيره.

يدخلون روادا-أي: طلابا-و لا يفترون إلا عن ذواق (1)، و يخرجون أدلة؛ يعني: علي الخير.

قال: فسألته عن مخرجه: كيف كان يصنع فيه؟

قال: كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخزن لسانه إلا فيما يعنيه، و يؤلفهم و لا ينفرهم، و يكرم كريم كل قوم و يولّيه عليهم، و يحذر الناس و يحترس منهم؛ من غير أن يطوي عن أحد منهم بشره و لا خلقه، و يتفقّد أصحابه، و يسأل الناس عمّا في الناس، و يحسن الحسن و يقوّيه، و يقبّح القبّح و يوهّيه، معتدل الأمر غير مختلف، لا يغافل مخافة أن يغافلوا أو يميلوا، لكلّ حال عنده عتاد-أي: شيء معدّ و مهيباً-لا يقصّر عن الحقّ و لا يجاوزه، الذين يلونه من الناس خيارهم، أفضلهم عنده أعمّهم نصيحة، و أعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة و مؤازرة.

قال: فسألته عن مجلسه.

فقال: كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يقوم و لا يجلس إلا علي ذكر، و إذا انتهى إلي قوم..جلس حيث ينتهي به المجلس، و يأمر بذلك، يعطي كلّ جلسائه بنصيبه، لا يحسب جلسيه أن أحدا أكرم عليه منه.

من جالسه أو فاوضه في حاجة..صابره حتّي يكون هو المنصرف.

ص: 200

1- ذواق-من الذوق-و هو: إما حسي للأجساد كالطعام و الشراب، أو معنوي للأرواح كالأدب و العلم و الخير.

عنه، و من سأله حاجة.. لم يرده إلا بها أو بميسور من القول.

قد وسع الناس بسطه و خلقه، فصار لهم أبا و صاروا عنده في الحق سواء.

مجلسه مجلس حلم و حياء، و صبر و أمانة، لا ترفع فيه الأصوات، و لا تؤين فيه الحرم و لا تنشي فلتاته (1). متعادلين، بل كانوا يتفاضلون فيه بالتقوي، متواضعين، يوقرون فيه الكبير، و يرحمون فيه الصغير، و يؤثرون ذا الحاجة، و يحفظون الغريب.

و كان رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم لا يمضي له وقت في غير عمل لله عزّ و جلّ، أو فيما لا بدّ له من صلاح نفسه.

و كان صَلَّى الله عليه و سلم أحسن الناس خلقا.

و كان صَلَّى الله عليه و سلم دائم البشر، سهل الخلق.

و عرفوا (حسن الخلق) بآته: مخالطة الناس بالجميل، و البشر، و اللطافة، و تحمّل الأذى، و الإشفاق عليهم، و الحلم، و الصبر، و ترك الترفع و الاستطالة عليهم، و تجنّب الغلظة و الغضب و المؤاخذه.

و عن عليّ كرم الله وجهه: كان رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم أجود الناس كفاً، و أوسع الناس صدرا، و أصدق الناس لهجة، و أفاهم ذمة، و أليّنهم عريكة، و أكرمهم عشرة. من راه بديهة.. هابه، و من خالطه معرفة..

أحبّه، يقول ناعته: لم أر قبله و لا بعده مثله [صَلَّى الله عليه و سلم]. ن.

ص: 201

1- أي: لا تشاع و لا تذاغ. هذا في ظاهر اللفظ: و الأولي جعل النفي منصبا علي الفلتات نفسها، لا وصفها.. فالمعني: لا فلتات فيه أصلا. و هو من نفي الشيء بإيجابه، و هو من مستطرفات علم البيان.

و عن أنس رضي الله تعالى عنه: كان رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم أعلم النَّاس، و أروع النَّاس، و أزهد النَّاس، و أكرم النَّاس، و أعدل النَّاس، و أحلم النَّاس، و أعفَّ النَّاس، لم تمسَّ يده يد امرأة لا يملك رقَّها، أو عصمة نكاحها، أو تكون ذات محرم منه صَلَّى الله عليه و سلم.

و عن أنس أيضًا: كان رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم أحسن النَّاس، و أجود النَّاس، و أشجع النَّاس.

و كان صَلَّى الله عليه و سلم أرف النَّاس بالنَّاس، و أنفع النَّاس للنَّاس، و خير النَّاس للنَّاس.

و كان صَلَّى الله عليه و سلم أصبر النَّاس علي أقذار النَّاس.

و عن خارجة بن زيد بن ثابت قال: دخل نفر علي زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه فقالوا له: حدِّثنا أحاديث رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم.

قال: ما ذا أحدِّثكم؟ كنت جاره، فكان إذا نزل عليه الوحي.. بعث إليّ فكتبته له، فكنا إذا ذكرنا الدنيا.. ذكرها معنا، و إذا ذكرنا الآخرة..

ذكرها معنا، و إذا ذكرنا الطَّعام.. ذكره معنا، فكلَّ هذا أحدِّثكم عن رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم؟!.

و كان أصحاب رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم يتناشدون الشَّعر بين يديه أحيانًا، و يذكرون أشياء من أمر الجاهليَّة، و يضحكون، فيتبسَّم هو إذا ضحكوا، و لا يجرهم إلَّا عن حرام.

و كان رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم أكثر الناس تبسّمًا و ضحكًا في وجوه أصحابه، و تعجّبًا ممّا تحدّثوا به، و خلطًا لنفسه بهم. و لربّما ضحك حتّى تبدو نواجذه.

و كان ضحك أصحابه عنده التّبسّم؛ اقتداء به، و توقيرا له.

قالوا: و قد جاءه أعرابيّ يومًا؛ و هو صَلَّى الله عليه و سلم متغيّر اللون ينكره أصحابه، فأراد أن يسأله، فقالوا: لا تفعل يا أعرابيّ، فإنّنا ننكر لونه.

فقال: دعوني، فو الذي بعثه بالحقّ نبيًّا؛ لا أدعه حتّى يتبسّم.

فقال: يا رسول الله؛ بلغنا أنّ المسيح-يعني: الدّجال- يأتي الناس بالثريد و قد هلكوا جوعًا.. أفتري لي-بأبي أنت و أمّي- أن أكفّ عن ثريده تعفّفًا و تنزّها حتّى أهلك هزالًا، أم أضرب في ثريده حتّى إذا تضلّعت شبعًا.. آمنت بالله و كفرت به؟!!

قالوا: فضحك رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم حتّى بدت نواجذه.

ثمّ قال: «لا، بل يغنيك الله بما أغني به المؤمنين».

و كان صَلَّى الله عليه و سلم يتلطف بخواطر أصحابه، و يتفقّد من انقطع منهم عن مجلسه، و كثيرًا ما يقول لأحدهم: «لعلّك يا أخي وجدت منّي، أو من إخواننا شيئًا».

و كان صَلَّى الله عليه و سلم إذا فقد الرّجل من إخوانه ثلاثة أيّام.. سأل عنه، فإن كان غائبًا.. دعا له، و إن كان شاهدًا.. زاره، و إن كان مريضًا.. عاده.

و كان صلّي الله عليه و سلّم يقبل علي أصحابه بالمباشطة؛ حتّي يظنّ كلّ منهم أنّه أعزّ عليه من جميع أصحابه.

و كان صلّي الله عليه و سلّم يعطي كلّ من جلس إليه نصيبه من البشاشة؛ حتّي يظنّ أنّه أكرم الناس عليه.

و عن عمرو بن العاصي رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله صلّي الله عليه و سلّم يقبل بوجهه و حديثه علي أشرّ القوم يتألفهم بذلك، فكان يقبل بوجهه و حديثه عليّ حتّي ظننت أنّي خير القوم. فقلت:

يا رسول الله؛ أنا خير، أو أبو بكر؟

فقال: «أبو بكر».

فقلت: يا رسول الله؛ أنا خير، أم عمر؟!

فقال: «عمر».

فقلت: يا رسول الله؛ أنا خير، أم عثمان؟

فقال: «عثمان».

فلما سألت رسول الله صلّي الله عليه و سلّم فصدقني.. فلوددت أنّي لم أكن سألته.

و كان صلّي الله عليه و سلّم يعطي كلّ من جلس إليه نصيبه من وجهه، حتّي كأنّ مجلسه و سماعه و حديثه و لطيف محاسنه و توجّهه للجالس إليه.

و مجلسه مع ذلك مجلس حياء و تواضع و أمانة.

ص: 204

قال تعالى: فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ [آل عمران:159].

وكان صَلَّى الله عليه و سلم لا يواجه أحدا في وجهه بشيء يكرهه.

وعن أنس رضي الله تعالى عنه، عن رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم:

أنه كان عنده رجل به أثر صفرة. قال: وكان رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم لا يكاد يواجه أحدا بشيء يكرهه، فلما قام.. قال للقوم: «لو قلت له يدع هذه الصفرة».

قال الباجوري: (و المراد أنه لا يكاد يواجه أحدا بمكروه غالبا، فلا ينافي ما ثبت عن عبد الله بن عمرو بن العاصي أنه قال: رأي رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم عليّ ثوبين معصفرين فقال: «إن هذين من ثياب الكفار، فلا تلبسهما».

وفي رواية: قلت: أغسلهما؟ قال: «بل أحرقهما».

ولعل الأمر بالإحراق محمول علي الزجر.

وهذا يدل علي ما عليه بعض العلماء من تحريم المعصفر، و الجمهور علي كراهته) اهـ

وكان رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم لا يواجه أحدا بمكروه، ولا يتعرض في وعظه لأحد معين، بل يتكلم خطابا عاما.

وكان صَلَّى الله عليه و سلم إذا بلغه عن الرجل الشيء.. لم يقل: «ما

بال فلان يقول؟! و لكن يقول: «ما بال أقوام يقولون.. كذا و كذا؟!».

و كانت معاتبته صَلَّى الله عليه و سلّم تعريضا: «ما بال أقوام يشترطون شروطا ليست في كتاب الله تعالى..؟!» و نحو ذلك.

و كان صَلَّى الله عليه و سلّم إذا رأى إنسانا يفعل ما لا يليق.. لم يدع أحدا يبادر إلي الإنكار عليه حتّي يتثبت في أمره، و يعلمه الأدب برفق.

و كان صَلَّى الله عليه و سلّم لا يأخذ بالقرف، و لا يقبل قول أحد علي أحد.

و(القرف): التّهمة.

و كان صَلَّى الله عليه و سلّم كثيرا ما يقول: «لا تبلّغوني عن أصحابي إلاّ خيرا، فإنّي أحبّ أن أخرج إليكم و أنا سليم الصّدر».

و كان صَلَّى الله عليه و سلّم إذا بعث أحدا من أصحابه في بعض أمره..

قال: «بشّروا و لا تنفّروا، و يسّروا و لا تعسّروا».

و كان صَلَّى الله عليه و سلّم إذا لقي أصحابه.. لم يصفحهم حتّي يسلم عليهم.

و كان صَلَّى الله عليه و سلّم إذا لقي أحدا من أصحابه.. صافحه، ثمّ أخذ بيده فشابكه، ثمّ شدّ قبضته عليها.

و كان صَلَّى الله عليه و سلّم إذا لقيه أحد من أصحابه.. صافحه، ثمّ أخذ بيده فشابكه، ثمّ شدّ قبضته عليها.

و كان صَلَّى الله عليه و سلّم إذا لقيه أحد من أصحابه فقام معه.. قام معه، و لم ينصرف حتّي يكون الرّجل هو الذي ينصرف عنه، و إذا لقيه

أحد من أصحابه فتناول يده.. ناوله إيّاها، فلم ينزع يده منه حتّي يكون

ص: 206

الرَّجُلُ هُوَ الَّذِي يَنْزِعُ يَدَهُ مِنْهُ، وَإِذَا لَقِيَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ فَتَنَاوَلَ أُذُنَهُ - أَيْ: لِيَكَلِّمَهُ سِرًّا - . نَاوَلَهُ إِتَابَهَا؛ ثُمَّ لَمْ يَنْزِعْهَا عَنْهُ حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ هُوَ الَّذِي يَنْزِعُهَا عَنْهُ؛ أَيْ: لَا يَنْحِي أُذُنَهُ عَنْ فَمِهِ حَتَّى يَفْرَغَ الرَّجُلُ مِنْ حَدِيثِهِ.

وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا لَقِيَ الرَّجُلَ مِنْ أَصْحَابِهِ.. مَسَحَهُ وَدَعَا لَهُ.

وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَدْعُوهُ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، أَوْ غَيْرِهِمْ..

إِلَّا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيْتِكَ».

وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَكْتَبِي أَصْحَابَهُ وَيَدْعُوهُمْ بِالْكُنْيَةِ، وَبِأَحَبِّ أَسْمَائِهِمْ؛ إِكْرَامًا لَهُمْ، وَاسْتِمَالَةً لِقُلُوبِهِمْ، وَيَكْتَبِي مَنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ كُنْيَةٌ، وَيَكْتَبِي النِّسَاءَ اللَّاتِي لِهِنَّ الْأَوْلَادُ، وَاللَّاتِي لَمْ يَلِدْنَ؛ يَبْتَدِئُ لِهِنَّ الْكُنْيَةَ، وَيَكْتَبِي الصَّبِيَّانَ، فَيَسْتَلِينُ بِهِ قُلُوبَهُمْ.

وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا مَرَّ عَلَى الصَّبِيَّانِ.. سَلَّمَ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ بَاسَطَهُمْ.

وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ.. تَلَقَّى بِصَبِيَّانِ أَهْلِ بَيْتِهِ.

وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْحَمَ النَّاسِ بِالصَّبِيَّانِ وَالْعِيَالِ.

وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُوْتِي بِالصَّبِيَّانِ فَيَبْرِكُ عَلَيْهِمْ، وَيَحْنِكُهُمْ، وَيَدْعُو لَهُمْ.

وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَزُورُ الْأَنْصَارَ، وَيَسَلِّمُ عَلَى صَبِيَّانِهِمْ، وَيَمْسَحُ رُءُوسَهُمْ.

وعن يوسف بن عبد الله بن سلام رضي الله تعالى عنهما قال: سمّاني رسول الله صَلَّى الله عليه و سلّم «يوسف»، وأفعدني في حجره، و مسح علي رأسي.

و كان صَلَّى الله عليه و سلّم يلاعب زينب بنت أم سلمة، و يقول: «يا زينب؛ يا زينب» (مرارا).

و كان صَلَّى الله عليه و سلّم يركب الحسن و الحسين علي ظهره، و يمشي علي يديه و رجله، و يقول: «نعم الجمل جملكما، و نعم العدلان أنتما»، و ربّما فعل ذلك بينهما، و هما علي الأرض.

و دخل الحسن- و هو صَلَّى الله عليه و سلّم قد سجد- فركب علي ظهره، فأبطأ في سجوده حتّي نزل الحسن، فلمّا فرغ.. قال له بعض أصحابه: يا رسول الله؛ قد أطلت سجودك؟

قال: «إنّ ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله»؛ أي: جعلني كالراحلة، فركب علي ظهره.

و عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: كان رسول الله صَلَّى الله عليه و سلّم يصليّ و الحسن و الحسين يلعبان و يقعدان علي ظهره.

و كان أبو هريرة رضي الله تعالى عنه يقول: رأيت رسول الله صَلَّى الله عليه و سلّم و قد أخذ بيد الحسن بن عليّ، و وضع رجله علي ركبتيه و هو يقول: «ترقّ.. ترقّ، عين بقّه... حزقة حزقه».

قال في «لسان العرب»: (و في الحديث أنّ النبيّ صَلَّى الله عليه

وسلم كان يرقص الحسن أو الحسين؛ ويقول: «حزقة.. حزقة، ترق عين بقة».

(الحزقة): الضعيف الذي يقارب خطوه من ضعف، فكان يرقى حتى يضع قدميه علي صدر النبي صلى الله عليه وسلم.

قال ابن الأثير: ذكرها له علي سبيل المداعبة والتأيس له.

و(ترق) بمعني: اصعد.

و(عين بقة): كناية عن صغر العين) اه

و كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرم أهل الفضل في أخلاقهم، ويتألف أهل الشرف بالإحسان إليهم، وكان يكرم ذوي رحمته، و يصلهم من غير أن يؤثرهم علي من هو أفضل منهم.

و كان صلى الله عليه وسلم يكرم بني هاشم.

و كان صلى الله عليه وسلم من أشد الناس لطفًا بالعباس.

و كان صلى الله عليه وسلم يجلل العباس إجلال الولد للوالد.

و كان صلى الله عليه وسلم يبدأ من لقيه بالسّلام، وإذا أخذ بيده..

سايره حتى يكون ذلك هو المنصرف.

و كان صلى الله عليه وسلم إذا ودّع رجلاً.. أخذ بيده، فلا ينزعها حتى يكون الرجل هو الذي يدع يده، ويقول: «أستودع الله دينك، و أمانتك، و خواتيم عملك».

و كان صلى الله عليه وسلم لا يجلس إليه أحد و هو يصلي.. إلا خفف

صلاته وأقبل عليه فقال: «ألك حاجة؟»، فإذا فرغ.. عاد إلي صلته.

وكان صَلَّى الله عليه وسلم يكرم كل داخل عليه، حتى ربما بسط ثوبه لمن ليست بينه وبينه قرابة ولا رضاع، يجلسه عليه.

وكان صَلَّى الله عليه وسلم يؤثر الداخل عليه بالوسادة التي تكون تحته فإن أبي أن يقبلها.. عزم عليه حتى يقبل.

وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: خدمت رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم عشر سنين، فما قال لي: «أفّ» قطّ، وما قال لشيء صنعته: «لم صنعته؟»، ولا لشيء تركته: «لم تركته؟».

وعنه أيضا [رضي الله تعالى عنه] قال: خدمت رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم وأنا ابن ثمان سنين -خدمته عشر سنين- فما لامني علي شيء قطّ، فإن لامني لائم من أهله.. قال: «دعوه، فإنه لو قضي شيء..»

كان..»

وفي «المصابيح»: عن أنس [رضي الله تعالى عنه] أيضا: كان رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم من أحسن الناس خلقا، فأرسلني يوما لحاجة؛ فقلت: والله لا أذهب -وفي نفسي أن أذهب لما أمرني به رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم- فخرجت حتى أمر علي صبيان وهم يلعبون في السوق؛ فإذا رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم قد قبض بقفاي من ورائي. قال: فنظرت إليه وهو يضحك، فقال: «يا أنيس؛ أذهبت حيث أمرتك؟»، قلت: نعم، أنا أذهب يا رسول الله.

وعن أنس [رضي الله تعالى عنه] أيضا قال: كنت أمشي مع النبيّ

صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ وَ عَلَيْهِ بَرْدٌ نَجْرَانِيٍّ غَلِيظٍ الْحَاشِيَةِ، فَادْرَكَهُ اَعْرَابِيٌّ فَجَبَذَهُ بِرِدَائِهِ جَبْذَةً شَدِيدَةً رَجَعَ نَبِيُّ اللّٰهُ فِي نَحْرِ الْاَعْرَابِيِّ، حَتَّى نَظَرَتْ اِلَيْهِ صَفْحَةَ عَاتِقِ رَسُوْلِ اللّٰهُ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ قَدْ اَثَّرَتْ فِيْهِ حَاشِيَةُ الْبَرْدِ مِنْ شِدَّةِ جَبْذَتِهِ.

ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ؛ مَرَّ لِي مِنْ مَالِ اللّٰهِ الَّذِي عِنْدَكَ، فَالْتَفَتْتُ اِلَيْهِ رَسُوْلَ اللّٰهُ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ، ثُمَّ ضَحَكْتُ، ثُمَّ اَمَرَ لَهٗ بِعَطَاءٍ.

وَ كَانَ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ هِيْنَا لِيْنَا، لَيْسَ بِفِظٍّ وَ لَا غَلِيْظٍ.

وَ عَنْ عَائِشَةَ اُمِّ الْمُؤْمِنِيْنَ رَضِيَ اللّٰهُ تَعَالَى عَنْهَا اَنَّهَا قَالَتْ: لَمْ يَكُنْ رَسُوْلَ اللّٰهُ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ فَاحِشًا، وَ لَا مَتَفَحِّشًا، وَ لَا صَخَّابًا فِي الْاَسْوَاقِ، وَ لَا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَ لَكِنْ يَعْفُو وَ يَصْفَحُ.

وَ (الصَّخْبُ): شِدَّةُ الصَّوْتِ.

وَ فِي «الْاِحْيَاءِ»: قَدْ وَصَفَهُ اللّٰهُ تَعَالَى فِي «التَّوْرَةِ» قَبْلَ اَنْ يَبْعَثَهُ فَقَالَ: (مُحَمَّدٌ رَسُوْلَ اللّٰهُ عَبْدِي الْمَخْتَارُ؛ لَا فِظٌّ، وَ لَا غَلِيْظٌ، وَ لَا صَخَّابٌ فِي الْاَسْوَاقِ، وَ لَا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَ لَكِنْ يَعْفُو وَ يَصْفَحُ، مَوْلَدُهُ بِمَكَّةَ، وَ هَجْرَتُهُ بِطَابَةَ، وَ مَلَكَهُ بِالشَّامِ، يَأْتِرُ عَلِيَّ وَ سَطَّهُ، هُوَ مِنْ مَعَهُ دَعَاةٌ لِلْقُرْآنِ وَ الْعِلْمِ، يَتَوَصَّأُ عَلِيَّ اطْرَافَهُ).

وَ كَذَلِكَ نَعْتَهُ فِي «الْاِنْجِيْلِ».

وَ كَانَ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ لَا يَجْفُو عَلِيَّ اَحَدًا، وَ لَوْ فَعَلَ مَعَهُ مَا يُوْجِبُ الْجَفَاءَ.

وكان صَلَّى الله عليه و سلم يقبل معذرة المعتذر إليه، ولو فعل ما فعل.

وكان صَلَّى الله عليه و سلم إذا اذاه أحد.. يعرض عنه، ويقول:

«رحم الله أخي موسى، قد أؤذي بأكثر من هذا فصبر».

وكان صَلَّى الله عليه و سلم يري اللّعب المباح فلا ينكره، وترفع عليه الأصوات بالكلام الجافي، فيحتمله و لا يؤاخذ.

وكان صَلَّى الله عليه و سلم إذا سئل أن يدعو علي أحد.. عدل عن الدّعاء عليه و دعا له.

و ما ضرب رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم بيده امرأة و لا خادما قطّ و لا غيرهما؛ إلا أن يكون في الجهاد.

قال أنس رضي الله تعالى عنه: كان الخادم إذا أغضبه.. يقول صَلَّى الله عليه و سلم: «لو لا خشية القصاص يوم القيامة.. لأوجعتك بهذا السّواك».

ولمّا كسرت ربايعيته (1) صَلَّى الله عليه و سلم و شجّ وجهه يوم أحد..

شق ذلك علي أصحابه شديدا، وقالوا: لو دعوت عليهم، فقال: «إني لم أبعث لّعانا؛ و لكن بعثت داعيا و رحمة، اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون».

و عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: ما رأيت رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم يلهب.

ص: 212

1- هي: السنن التي بين الثنية و التّاب.

عليه و سلّم منتصرا من مظلمة ظلمها قَطّ ما لم ينتهك من محارم الله شيء، فإذا انتهك من محارم الله شيء.. كان من أشدّهم في ذلك غضبا. و ما خيّر بين أمرين إلاّ اختار أيسرهما؛ ما لم يكن إثما، فإن كان إثما.. كان أبعد الناس منه. و كان صلّي الله عليه و سلّم لا يغضب لنفسه، و لا- ينتقم لها، و إنّما يغضب إذا انتهكت حرّامات الله عزّ و جلّ؛ فحينئذ يغضب، و لا يقوم لغضبه شيء حتّى ينتصر للحقّ، و إذا غضب..

أعرض و أشاح.

و القريب و البعيد و القويّ و الضّعيف.. عنده في الحقّ سواء.

قوله (أشاح) أي: أعرض بوجهه.

و عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: استأذن رجل علي رسول الله صلّي الله عليه و سلّم و أنا عنده، فقال: «بس ابن العشيرة»، أو «أخو العشيرة».

ثمّ أذن له، فلمّا دخل.. ألان له القول.

فلمّا خرج.. قلت: يا رسول الله؛ قلت ما قلت، ثمّ ألنت له القول؟

فقال: «يا عائشة؛ إنّ من شرّ الناس من تركه الناس، أو ودعه الناس اتّقاء فحشه».

قال في «المواهب»: (هذا الرّجل هو عيينة بن حصن الفزاريّ، و كان يقال له: (الأحمق المطاع).

و قد كانت منه في حياة النّبويّ صلّي الله عليه و سلّم و بعده أمور تدلّ علي

ص: 213

ضعف إيمانه، فيكون ما وصفه به عليه الصّلاة و السّلام من علامات النّبوة.

وأما إلاة القول بعد أن دخل.. فعلى سبيل الاتتلاف و المداراة.

و هي مباحة، وربّما استحسنّت بخلاف المداهنة.

و الفرق بينهما أنّ المداراة: بذل الدّنيا لصّلاح الدّنيا أو الدّين، أو هما معا.

و المداهنة: بذل الدّين لصّلاح الدّنيا.

و النّبىّ صلّى الله عليه و سلّم إنّما بذل له من دنياه حسن عشرته و الرّفق في مكالمته، و مع ذلك فلم يمدحه بقول، فلم يناقض قوله فيه فعله، فإنّ قوله فيه حقّ، و فعله معه حسن عشرة، و قد ارتدّ عيينة في زمن الصّدّيق و حارب، ثمّ رجع و أسلم، و حضر بعض الفتوح في عهد عمر رضي الله تعالى عنه) اه

و قال ابن الأثير في كتابه «أسد الغابة»، في اخر ترجمة مخرمة بن نوفل رضي الله تعالى عنه: (روي النّضر بن شميل قال: حدّثنا أبو عامر الخرزّان، عن أبي يزيد المدنيّ، عن عائشة قالت: جاء مخرمة بن نوفل، فلمّا سمع النّبىّ صلّى الله عليه و سلّم صوته. قال: «بسّ أخو العشرة». فلمّا جاء.. أدناه، فقلت: يا رسول الله؛ قلت له ما قلت (1)، ثمّ ألنت له القول؟ ي).

ص: 214

1- أي: لأجله و في شأنه، لا أنه خاطبه مباشرة؛ لفساد المعنى.

فقال: «يا عائشة؛ إن من شرِّ النَّاس من تركه النَّاس اتِّقاء فحشه».

أخرجه الثلاثة.

قال: و كان مخرمة هذا من المؤلفة قلوبهم، و كان في لسانه فظاظة، و كان النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ يَتَّقِي لسانه) اه

و الظَّاهر أنَّ ما ذكره ابن الأثير من أنَّ صاحب هذه القصة هو مخرمة بن نوفل هو الصَّحيح، أو: تكررت.

و عن الحسن بن عليٍّ [رضي الله تعالى عنه] قال: قال الحسن بن عليٍّ:

سألت أبي عن سيرة النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ في جلسائه.. فقال:

كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ ولا غليظ، ولا صحَّاب ولا فحاش، ولا عتياب، ولا مشاح، يتغافل عمَّا لا يشتهي؛ و لا- يؤيس منه، و لا- يجيب فيه، قد ترك نفسه من ثلاث: المراء، و الإكثار، و ما لا يعنيه، و ترك النَّاس من ثلاث: كان لا يذمُّ أحدا، و لا يعيبه؛ و لا يطلب عورته، و لا يتكلَّم إلا فيما رجا ثوابه، و إذا تكلم.. أطرق جلساؤه كأنما علي رءوسهم الطَّير، فإذا سكت.. تكلموا، لا يتنازعون عنده الحديث، و من تكلم عنده..

أنصتوا له حتَّى يفرغ، حديثهم عنده حديث أولهم، يضحك ممَّا يضحكون منه، و يتعجب ممَّا يتعجبون منه، و يصبر للغريب علي الجفوة في منطقته و مسألته حتَّى أن كان أصحابه ليستجلبونهم، و يقول: «إذا رأيتم طالب حاجة يطلبها.. فارفدوه» (1). ا.

ص: 215

1- ارفدوه: أعينوه علي حاجته و ساعدوه حتي يصل إليها.

ولا يقبل الثناء إلا من مكافئ، ولا يقطع علي أحد حديثه حتى يجوز (1) فيقطعه بنهي، أو قيام.

حلم رسول الله صلى الله عليه وآله

وأما حلم رسول الله صلى الله عليه وسلم:

فقد كان صلى الله عليه وسلم أحلم الناس، وأرغبهم في العفو مع القدرة، حتى أتى بقلائد من ذهب أو فضة، فقسّمها بين أصحابه، فقال أعرابي: ما أراك تعدل، قال: «ويحك فمن يعدل عليك بعدي؟!»، فلمّا ولي.. قال: «ردّوه عليّ رويداً».

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبض للناس يوم [حين] (2)، من فضة في ثوب بلال، فقال له رجل: يا رسول الله؛ اعدل.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ويحك؛ فمن يعدل إذا لم أعدل؟! فقد خبت إذا وخسرت إن كنت لا أعدل».

فقام عمر فقال: ألا أضرب عنقه؟ فإنه منافق.

فقال: «معاذ الله أن يتحدّث الناس أنّي أقتل أصحابي».

وقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قسمة، فقال رجل من الأنصار: هذه قسمة ما أريد بها وجه الله تعالى.

فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم.. فاحمرّ وجهه وقال:

«رحم الله أخي موسى، قد أؤذي بأكثر من هذا فصبر».

ص: 216

1- أي: يتجاوز الحد أو الحق.

2- في نسخة: خير.

وبال أعرابي في المسجد بحضرته، فهمم به أصحابه، فقال صَلَّى اللهُ عليه و سلم: «لا ترموه»؛ أي: لا تقطعوا عليه البول.

ثم قال له: «إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من القذر والبول والخلاء».

وفي رواية: «قربوا ولا تنفروا».

وجاء أعرابي يطلب منه شيئا، فأعطاه صَلَّى اللهُ عليه و سلم، ثم قال له: «احسنت إليك؟».

قال الأعرابي: لا، ولا أجملت.

فغضب المسلمون، وقاموا إليه. فأشار إليهم أن كفوا.

ثم قام ودخل منزله، وأرسل إلي الأعرابي وزاده شيئا، ثم قال له:

«احسنت إليك؟».

قال: نعم، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا.

فقال له النبي صَلَّى اللهُ عليه و سلم: «إنك قلت ما قلت وفي نفس أصحابي شيء من ذلك، فإن أحببت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي

حتى يذهب من صدورهم ما فيها عليك».

قال: نعم.

فلما كان الغد أو العشي.. جاء فقال النبي صَلَّى اللهُ عليه و سلم: «إن هذا الأعرابي قال ما قال، فزدناه فزعم أنه رضي ذلك، أ كذلك؟».

قال: نعم، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا.

ص: 217

فقال صَلَّى اللهُ عليه و سلم: «إنّ مثلي و مثل هذا الأعرابيّ كمثل رجل كانت له ناقة شرّدت عليه فاتّبعها النّاس؛ فلم يزيدها إلاّ نفورا فناداهم صاحب النّاقة: خلّوا بيني و بين ناقتي، فإنّي أرفق بها و أعلم، فتوجّه لها صاحب النّاقة بين يديها، فأخذ لها من قمام الأرض فردّها هونا هونا حتّى جاءت و استناخت و شدّ عليها رحلها و استوي عليها، و إنّّي لو تركتكم حيث قال الرّجل ما قال فقتلتموه دخل النّار».

و عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: كنت مع النّبيّ صَلَّى اللهُ عليه و سلم و عليه برد غليظ الحاشية، فجذبته أعرابيّ بردائه جبذة شديدة حتّى أثرت حاشية البرد علي صفحة عاتقه، ثمّ قال: يا محمّد؛ أحمل لي علي بعيريّ هذين من مال الله الذي عندك، فإنّك لا تحمل لي من مالك و لا من مال أبيك.

فسكت النّبيّ صَلَّى اللهُ عليه و سلم ثمّ قال: «المال مال الله، و أنا عبده»، ثمّ قال: «و يقاد منك يا أعرابيّ (1) ما فعلت بي». قال:

لا. قال: «لم؟»، قال: لأنّك لا تكافئ بالسّيئة السّيئة.

فضحك النّبيّ صَلَّى اللهُ عليه و سلم، ثمّ أمر أن يحمل له علي بعير شعير و علي الآخر تمر.

و روي الطّبرانيّ و ابن حبان و الحاكم و البيهقيّ عن زيد بن سعة -و هو كما قال النّوويّ رحمه الله تعالى: أجلّ أخبار اليهود الذين أسلموا- أنّهم.

ص: 218

1- أي: أتجازي علي ترك أدبك.

قال: لم يبق من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفته في وجه محمد صلى الله عليه وسلم حين نظرت إليه، إلا اثنتين لم أخبرهما (1) منه:

1- يسبق حلمه جهله، 2- ولا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلما.

فكنت أتلف له لأن أخالطه فأعرف حلمه و جهله، فابتعت منه تمرا إلي أجل، فأعطيته الثمن، فلما كان قبل محل (2) الأجل بيومين أو ثلاثة.. أتيت فأخذت بمجامع قميصه وردائه [علي عنقه]، ونظرت إليه بوجه غليظ، ثم قلت: ألا تقضيني يا محمد حقي؟! [فو الله] إنكم يا بني عبد المطلب مطل.

فقال عمر: أي عدو الله؛ أ تقول لرسول الله ما أسمع، فو الله لو لا ما أحاذر [فوته] (3).. لضربت بسيفي رأسك.

ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر إلي عمر بسكون و تودة، و تبسم.

ثم قال: «أنا و هو كئنا أحوج إلي غير هذا منك يا عمر؛ أن تأمرني بحسن [الأداء]، و أن تأمره بحسن [التباعة]، اذهب به يا عمر؛ فافضه حقه و زده عشرين صاعا مكان ما روعته». ففعل.

فقلت: يا عمر؛ كل علامات النبوة قد عرفتها في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما نظرت إليه، إلا اثنتين لم أخبرهما: يسبقه.

ص: 219

1- في نسخة: لم أجدهما.

2- أي: وقت.

3- و هو: بقاء الصلح بين المسلمين و بين قومه.

حلّمه جهله، ولا يزيده شدّة الجهل [عليه] إلاّ حلّما، فقد اختبرتهما، فأشهدك أنّي قد رضيت بالله ربّاً؛ وبالإسلام ديناً، وبمحمّد صلّي الله عليه وسلّم نبياً.

قال القاضي عياض في «الشفا»: (و حسبك ما ذكرناه ممّا في «الصّحيح» والمصنّفات الثّابتة، ممّا بلغ متواتراً مبلغ اليقين: من صبره عليّ مقاساة قريش، وأذي الجاهليّة، ومصابرة السّدائد الصّعبة معهم، إليّ أن أظفره الله تعالى عليهم- يعني: بفتح مكّة- و حكمه فيهم وهم لا يشكّون في استئصال شأفتهم (1)، وإبادة خضرائهم- أي: إهلاك جماعتهم- فما زاد عليّ أن عفا و صرح، وقال: «ما تقولون أنّي فاعل بكم؟»، قالوا: خيراً؛ أخ كريم، وابن أخ كريم، فقال: «اذهبوا؛ فأنتم الطّلقاء».

وقال أنس رضي الله تعالى عنه: هبط ثمانون رجلاً من التّميم صلاة الصّبح ليقتلوا رسول الله صلّي الله عليه وسلّم، فأخذوا، فأعتقهم رسول الله صلّي الله عليه وسلّم، فأنزل الله تعالى: وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَ أَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا [الفتح: 24].

وقال [صلّي الله عليه وسلّم] لأبي سفيان- وقد سبق إليه بعد أن جلب عليه الأحزاب، وقتل عمّه وأصحابه ومثّل بهم، فعفا عنه، ولاطفه في القول- وقال: «ويحك يا أبا سفيان! ألم يأن لك أن تعلم ألاّ إلهم».

ص: 220

1- أي: إزالتهم من أصلهم.

إِلَّا اللَّهُ؟!»، فقال: بأبي أنت وأمي، ما أحلمك، وأوصلك، وأكرمك).

وقال الإمام التّوويّ في «التهذيب»: (قد جمع الله سبحانه وتعالى له صلّي الله عليه وسلّم كمال الأخلاق، ومحاسن الشّيم، واتاه علم الأولين والآخرين، وما فيه النّجاة والفوز؛ وهو أمّي لا يقرأ ولا يكتب، ولا معلّم له من البشر، واتاه ما لم يؤت أحدا من العالمين، واختاره علي جميع الأولين والآخرين، وأعطاه مفاتيح خزائن الأرض كلّها؛ فأبي أن يأخذها، واختار الآخرة عليها، وكان كما وصفه الله تعالى: لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَّحِيمٌ [التوبة: 128] اه

ص: 221

الفصل الثاني: في صفة عشرته صَلَّى اللهُ عليه و سَلَّمَ مع نسائه رضي اللهُ تعالى عنهن

كان رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و سَلَّمَ إذا خلا بنسائه..ألين النَّاسِ، و أكرم النَّاسِ، ضحَّكا بسَّامًا.

و كان صَلَّى اللهُ عليه و سَلَّمَ من أفكهِ النَّاسِ.

قال المناوي: (أي: من أمزحهم إذا خلا بنحو أهله).

و عن عائشة رضي اللهُ تعالى عنها قالت: حدَّث رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و سَلَّمَ ذات ليلة نساءه حديثًا، فقالت امرأة منهنّ: كأنَّ الحديث حديث خرافة.

فقال: «أ تدرّون ما خرافة؟ إنَّ خرافة كان رجلا من عذرة، أسرته الجنّ في الجاهليّة، فمكث فيهم دهرا، ثمّ ردّوه إليّ الإنس، فكان يحدث النَّاس بما رأي من الأعاجيب، فقال النَّاس: (حديث خرافة)».

و كان صَلَّى اللهُ عليه و سَلَّمَ كثيرا ما يقبّل عرف ابنته فاطمة الزَّهراء،

وكان صَلَّى الله عليه و سلم كثيرا ما يقبلها في فمها أيضا.

و(العرف):أعلي الرأس، و يطلق علي الرقبة.

وكان صَلَّى الله عليه و سلم مع أصحابه و أزواجه كواحد منهم، و كان حسن المعاشرة.

و كانت عائشة رضي الله تعالى عنها تقول: كنت إذا هويت شيئا..

تابعتني صَلَّى الله عليه و سلم عليه. و كنت إذا شربت من الإناء..أخذه فوضع فمه علي موضع فمي و شرب، و كان ينهش فضلتي من اللحم الذي علي العظم، و كان يتكئ في حجري و يقرأ القرآن.

و حدثت عائشة رضي الله تعالى عنها رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم بحديث أم زرع؛ و هو: أن إحدى عشرة امرأة تعاهدن و تعاقدن أن لا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئا، فوصفت كل واحدة زوجها، فكانت أحسنهن وصفا لزوجها و أكثرهن تعدادا لنعمه عليها: زوجة أبي زرع.

قالت عائشة رضي الله تعالى عنها: فقال لي رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم: «كنت لك كأبي زرع لأم زرع».

و كان صَلَّى الله عليه و سلم يسرب (1)إلي عائشة رضي الله تعالى عنها بنات الأنصار يلعبن معها.

و كان صَلَّى الله عليه و سلم يريها الحبشة؛ و هم يلعبون في المسجد، و هي متكئة علي منكبه ل.

ص: 223

1- يسرب: يرسل.

و روي: أنه صَلَّى الله عليه و سلّم سابقها، فسبقته، ثمّ سابقها بعد ذلك، فسبقها و قال: «هذه بتلك».

و عن أنس رضي الله تعالى عنه: أنهم كانوا يوماً عند رسول الله صَلَّى الله عليه و سلّم في بيت عائشة رضي الله تعالى عنها، إذ أتى بصحفة خبز و لحم من بيت أم سلمة، فوضعت بين يدي رسول الله صَلَّى الله عليه و سلّم، فقال: «ضعوا أيديكم»، فوضع نبيّ الله صَلَّى الله عليه و سلّم [يده]، و وضعنا أيدينا، فأكلنا و عائشة تصنع طعاماً عجّلتها، و قد رأت الصّحفة التي أتى بها، فلمّا فرغت من طعامها.. جاءت به فوضعت، و رفعت صحفة أم سلمة فكسرتها، فقال رسول الله صَلَّى الله عليه و سلّم:

«كلوا باسم الله؛ غارت أمكم». ثمّ أعطي صحفتها أم سلمة؛ فقال:

«طعام مكان طعام، و إناء مكان إناء». رواه الطبراني في «الصّغير».

و هو عند البخاريّ بلفظ: كان صَلَّى الله عليه و سلّم عند بعض نسائه، فأرسلت إحدى أمّهات المؤمنين بصحفة فيها طعام، فضربت التي [النبيّ] في بيتها يد الخادم، فسقطت الصّحفة فانفلقت، فجمع صَلَّى الله عليه و سلّم فلق الصّحفة، ثمّ جعل يجمع فيها الطّعام الذي كان في الصّحفة و يقول: «غارت أمكم»، ثمّ حبس الخادم، حتّى أتى بصحفة من عند التي هو في بيتها، فدفع الصّحفة إلي التي كسرت صحفتها، و أمسك المكسورة في بيت التي كسرت.

و عن عائشة رضي الله تعالى عنها: أتيت النبيّ صَلَّى الله عليه و سلّم بخزيرة طبختها له، و قلت لسودة و النبيّ صَلَّى الله عليه و سلّم بيني

وبينها؛ فقلت لها: كلي، فأبت، فقلت لها: كلي، فأبت، فقلت لها: لتأكلين، أو لألطخن بها وجهك، فأبت، فوضعت يدي في الخزيرة فلطخت بها وجهها، فضحك رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم.

و(الخبزيرة): لحم يقطع قطعاً صغاراً، ويصب عليه ماء كثير، فإذا نضج ذرّ عليه الدقيق.

وكان صَلَّى الله عليه و سلم إذا غضبت عائشة.. عرك بأنفها وقال:

«يا عويش؛ قلبي: اللهم رب محمد اغفر لي ذنبي، وأذهب غيظ قلبي، وأجرني من مضلات الفتن».

وكان صَلَّى الله عليه و سلم إذا أتى بهديّة قال: «أذهبوا بها إلي بيت فلانة، فإنّها كانت صديقة لخديجة-رضي الله تعالى عنها-إنّها كانت تحبّ خديجة».

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: ما غرت علي امرأة ما غرت علي خديجة رضي الله تعالى عنها لما كنت أسمعها يذكرها، وإن كان ليذبح الشاة فيهديها إلي خلّائها، واستأذنت عليه أختها فارتاح لها، ودخلت عليه امرأة فهشّ لها وأحسن السؤال عنها، فلما خرجت قال:

«إنّها كانت تأتينا أيّام خديجة، وإنّ حسن العهد من الإيمان».

قال القسطلاني: (وهكذا كانت أحواله عليه الصّلاة و السّلام مع أزواجه، لا يأخذ عليهنّ ويعذرهنّ، وإن أقام عليهنّ قسطاس عدل أقامه من غير قلق، ولا غضب).

وبالجملة: فمن تأمل سيرته عليه الصّلاة و السّلام مع أهله وأصحابه

وغيرهم من الفقراء، والأيتام، والأرامل، والأضياف، والمساكين..

علم أنه قد بلغ من رقة القلب ولينه الغاية التي لا مرمي وراءها لمخلوق، وإنه كان يشدد في حدود الله وحقوقه ودينه؛ حتى قطع يد السارق...

إلي غير ذلك).

ص: 226

الفصل الثالث: في صفة أمانته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَدَقَهُ

كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمن النَّاسِ، وأصدقهم لهجة منذ كان.

قال تعالى: مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ [التكوير: 21].

أكثر المفسرين علي أنه محمّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وكانت تسمّيه قريش قبل نبوّته: (الأمين).

ولمّا اختلفوا عند بناء الكعبة فيمن يضع الحجر.. حكّموا أوّل داخل عليهم، فإذا بالنبّي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ داخل، وذلك قبل نبوّته، فقالوا: (هذا محمّد الأمين.. قد رضينا به).

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «والله إنّني لأمين في السّماء، أمين في الأرض».

وورد أنّ أبا جهل قال للنبّي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إنّنا لا نكذبك، وما أنت فينا بمكذب، ولكن نكذب بما جئت به. فأنزل اللهُ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَ لَكِنَّ الظَّالِمِينَ بآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ [الأنعام: 33].

وقيل: إن الأحنس بن شريق لقي أبا جهل يوم بدر فقال له: يا أبا الحكم؛ ليس هنا غيري وغيرك يسمع كلامنا، تخبرني عن محمد:

صديق، أم كاذب؟ فقال أبو جهل: والله إن محمداً لصديق، وما كذب محمد قطّ.

وسأل هرقل عنه صلّي الله عليه وسلّم أبا سفيان فقال: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قال: لا.

وقال التّضر بن الحارث لقريش: قد كان محمد فيكم غلاماً حدثاً؛ أرضاكم فيكم (1)، وأصدقكم حديثاً، وأعظمكم أمانة، حتّي إذا رأيتم في صدغيه الشّيب و جاءكم بما جاءكم به.. قلتم ساحر؟! لا والله ما هو بساحر.

وفي حديث عليّ رضي الله عنه-في وصفه عليه الصّلاة والسّلام:-

أصدق النّاس لهجة.ه.

ص: 228

1- أي: ترضون أفعاله و أحواله.

الفصل الزايع: في صفة حياته صَلَّى اللهُ عليه و سلم و مزاحه

حياء رسول الله صلى الله عليه وآله

عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و سلم أشدَّ حياءً من العذراء في خدرها.

و كان إذا كره شيئاً.. عرف في وجهه.

و كان صَلَّى اللهُ عليه و سلم أشدَّ النَّاس حياءً، لا يثبت بصره في وجه أحد.

و كان صَلَّى اللهُ عليه و سلم يكتفي عمّا اضطرّه الكلام إليه ممّا يكره.

و كان صَلَّى اللهُ عليه و سلم إذا أراد الحاجة.. أبعد.

و كان صَلَّى اللهُ عليه و سلم إذا أراد الحاجة.. لم يرفع ثوبه حتّى يدنو من الأرض.

و كان صَلَّى اللهُ عليه و سلم إذا دخل المرفق.. لبس حذاءه و غطّى رأسه.

و عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: ما رأيت فرج رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و سلم قطّ.

مزاح رسول الله صلى الله عليه وآله

وأما مزاح رسول الله صلى الله عليه وسلم:

فقد كان صلى الله عليه وسلم يمزح مع النساء والصبيان وغيرهم، ولا يقول إلا حقا.

وكان صلى الله عليه وسلم من أفكه الناس مع صبي.

وكان صلى الله عليه وسلم إذا مزح.. غَضَّ بصره.

وكان صلى الله عليه وسلم فيه دعابة قليلة.

وعن أنس رضي الله تعالى عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: «يا ذا الأذنين»؛ يعني: يمازحه (1).

وعن أنس [رضي الله تعالى عنه] أيضا قال: إن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخالطنا حتى يقول لأخ لي: «يا أبا عمير؛ ما فعل التغير؟».

قال أبو عيسى الترمذي: ووقعه هذا الحديث: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يمازح.

وفيه: أنه كني غلاما صغيرا فقال له: «يا أبا عمير».

وفيه: أنه لا بأس أن يعطي الصبي الطير ليلعب به-أي: لعبا لا عذاب فيه-وإلا.. حرم تمكينه منه؛ للتهي عن تعذيب الحيوان.

وإنما قال له النبي صلى الله عليه وسلم: «يا أبا عمير؛ ما فعل

ص: 230

1- أي: يا صاحب الأذنين السميعتين الواعيتين الضابطتين لما سمعتا.

التَّغْيِيرِ»..لأنَّه كان له نغير يلعب به، فمات، فحزن الغلام عليه، فمأزحه النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «يا أبا عمير؛ ما فعل النَّغِير».

و(التَّغْيِيرِ): طائر كالعصفور، أحمر المنقار.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قالوا: يا رسول الله؛ إنَّك تداعبنا، فقال: «نعم، غير أنَّي لا أقول إلاَّ حقًّا».

وعن أنس رضي الله تعالى عنه: أنَّ رجلاً استحمل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: «إني حاملك علي ولد ناقة»، فقال: يا رسول الله؛ ما أصنع بولد النَّاقَة؟! فقال: «و هل تلد الإبل إلاَّ التَّوْق؟!» (1).

وعن أنس أيضا رضي الله تعالى عنه: أنَّ رجلاً من أهل البادية- وكان اسمه زاهرا (2)- وكان يهدي إلي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هديَّة من البادية، فيجّهزه النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا أراد أن يخرج، فقال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنَّ زاهرا باديتنا؛ ونحن حاضرتة»، وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحبُّه، وكان رجلاً- دميماً، فأتاه النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوماً، وهو يبيع متاعه فاحتضنه من خلفه وهو لا يبصره، فقال من هذا؟ أرسلني، فالتفت فعرف النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فجعل لا يألوي.

ص: 231

1- المقصود أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أراد أن يحمله علي راحلة كبيرة، وهي بالأصل ولد الناقة فلو تدبر الرجل اللفظ لما قال ذلك.

2- ابن حرام الأشجعي.

ما ألصق ظهره بصدر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين عرفه، فجعل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «من يشتري هذا العبد؟»، فقال: يا رسول الله؛ إذن والله تجدني كاسدا، فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«لكن عند الله لست بكاسد»، أو قال: «أنت عند الله غال».

و(الدميم): قبيح الوجه.

وعن زيد بن أسلم رضي الله تعالى عنه: أن رجلا (1) كان يهدي للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العكّة (2) من السمن والعسل، فإذا جاء صاحبه يتقاضاه.. جاء به إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: أعط هذا حقّ متاعه، فما يزيد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علي أن يتبسّم، و يأمر به فيعطي.

وفي رواية: كان لا يدخل المدينة طرفة (3) إلا اشترى منها، ثم جاء فقال: يا رسول الله؛ هذا هديّة لك، فإذا جاء صاحبه يطلب ثمنه..

جاء به، فيقول: أعط هذا الثمن، فيقول: «ألم تهده لي؟!»، فيقول: ليس عندي، فيضحك و يأمر لصاحبه بثمنه.

وعن الحسن رضي الله تعالى عنه قال: أتت عجوز (4) النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهَا.

ص: 232

1- هو عبد الله الملقب ب(حمار) بلفظ الحيوان المعروف.

2- انية السمن أصغر من القربة.

3- أي: ما يستملح ويعجب.

4- قيل: إنها صفية بنت عبد المطلب، أم الزبير بن العوام رضي الله عنهما.

عليه وسلم فقالت: يا رسول الله؛ ادع الله أن يدخلني الجنة، فقال:

«يا أم فلان؛ إن الجنة لا يدخلها عجوز». قال: فولت تبكي، فقال:

«أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز؛ إن الله تعالى يقول: إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً. فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً. غُرُباً أَتْرَاباً» [الواقعة: 35-37].

ص: 233

الفصل الخامس: في صفة تواضعه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ و جلوسه و تكائه

تواضع رسول الله صلى الله عليه وآله

كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أشدَّ النَّاسِ تواضعا، وأسكنهم من غير كبر، وأبلغهم من غير تطويل، وأحسنهم بشرا، لا يهوله شيء من أمر الدنيا.

و كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ متواضعا في غير مذلة.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد فقولوا: (عبد الله ورسوله)».

و(الإطراء): هو مجاوزة الحد في المدح.

و كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يدفع عنه النَّاسِ، ولا يضربوا عنه.

و كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يأتيه أحد من حرّ و لا عبد، و لا أمة و لا مسكين.. إلّا قام معه في حاجته.

و كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يستكبر عن إجابة الأمة و المسكين.

و كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكثر الذكر و يقلّ اللغو، و يطيل الصلاة

و يقصر الخطبة، وكان لا يأنف ولا يستكبر أن يمشي مع الأرملة والمسكين والعبد حتّى يقضي له حاجته.

وعن أنس رضي الله تعالى عنه: كانت الأمة من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله صلّي الله عليه وسلّم فتنتطق به حيث شاءت.

وعن أنس أيضا رضي الله تعالى عنه: أنّ امرأة جاءت إلي النبي صلّي الله عليه وسلّم فقالت له: إنّ لي إليك حاجة، فقال: «اجلسي في أيّ طرق المدينة شئت أجلس إليك».

وكان صلّي الله عليه وسلّم إذا صلّي بالناس الغداة أقبل عليهم بوجهه فقال: «هل فيكم مريض أعوده؟»، فإن قالوا: لا.. قال: «فهل فيكم جنازة أتبعها؟»، فإن قالوا: لا.. قال: «من رأي منكم رؤيا يقصّها علينا».

وكان صلّي الله عليه وسلّم يجلس علي الأرض، ويأكل علي الأرض، ويعتقل الشاة، ويجيب دعوة المملوك علي خبز الشعير.

وكان صلّي الله عليه وسلّم يعود مرضي المساكين الذين لا يؤبه لهم، ويخدمهم بنفسه صلّي الله عليه وسلّم، وكان صلّي الله عليه وسلّم يجيب من دعاه؛ من غني أو فقير أو شريف، ولا يحتقر أحدا.

وكان صلّي الله عليه وسلّم يجيب إلي الوليمة، ويشهد الجنائز.

وكان صلّي الله عليه وسلّم يأتي ضعفاء المسلمين ويزورهم، ويعود مرضاهم، ويشهد جنائزهم.

وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله صلّي الله عليه وسلّم

وسلم يعود المرضى، ويشهد الجنائز ويركب الحمار، ويجيب دعوة العبد.

وكان يوم نبي قريظة علي حمار مخطوم بحبل من ليف وعليه إكاف.

و(الخطام): الزّمام.

و(الإكاف): البرذعة (1).

وعن أنس أيضا رضي الله تعالى عنه: كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعي إلي خبز الشعير والإهالة السنخة، فيجيب، ولقد كان له درع عند يهودي فما وجد ما يفكها حتى مات.

و(الإهالة السنخة) وفي رواية: الزنخة؛ هي: الدهن المتغير الريح من طول المكث.

وعن أنس أيضا رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لو أهدى إلي كراع.. لقبلت، ولو دعيت عليه..

لأجبت».

وعنه أيضا [رضي الله تعالى عنه] قال: حجّ رسول الله صلى الله عليه وسلم علي رحل رثّ، وعليه قطيفة لا تساوي أربعة دراهم، فقال:

«اللهم! اجعله حجًا لا رياء فيه ولا سمعة».

و(القطيفة): كساء له خمل.

هذا.. وقد فتحت عليه الأرض، وأهدى في حجّه ذلك مائة بدنة.س.

ص: 236

1- أي: ما يوضع علي الحمار ليركب عليه، كالسرج للفرس.

ولمّا فتحت عليه مكّة ودخلها بجيوش المسلمين.. طأطأ علي رحله رأسه حتّى كاد يمسّ قادمته (1)؛ تواضعا لله تعالى.

وكان صلّي الله عليه وسلّم يركب ما يمكنه، فمَرّة فرسا، ومَرّة بعيرا، ومَرّة بغلة، ومَرّة حمارا، ومَرّة يمشي راجلا- حافيا، بلا- رداء ولا قنسوة، ليعود المرضي في أقصى المدينة.

وكان صلّي الله عليه وسلّم يركب الحمار عربا، ليس عليه شيء.

وركب صلّي الله عليه وسلّم الفرس مسرّجة تارة، وعريانة أخرى، وكان يجري بها في بعض الأحيان.

وكان صلّي الله عليه وسلّم يخرج إلي العيد ماشيا، ويرجع ماشيا.

وكان صلّي الله عليه وسلّم يتوكأ إذا مشي.

وعن جابر رضي الله تعالى عنه قال: جاءني رسول الله صلّي الله عليه وسلّم ليس براكب بغل ولا برذون (2).

وكان صلّي الله عليه وسلّم يردف خلفه عبده أو غيره، وتارة يردف خلفه وقدامه، وهو في الوسط.

ولمّا قدم صلّي الله عليه وسلّم مكّة استقبله أغيلمة بني عبد المطلب، فحمل واحدا بين يديه، وخر خلفه.

وعن قيس بن سعد بن عبادة رضي الله تعالى عنهما قال: زارناي.

ص: 237

1- أي: مقدمة رحله.

2- البرذون: الفرس الأعجمي.

رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم، فلمّا أراد الانصراف..قرب له سعد حمارا وطأ عليه بقطيفة، فركب صَلَّى الله عليه و سلم، ثم قال سعد: يا قيس؛ اصحب رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم، قال قيس: فقال لي رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم: «اركب»، فأبيت، فقال: «إمّا أن تركب، و إمّا أن تنصرف»، فانصرفت. وفي رواية أخرى: «اركب أمامي؛ فصاحب الدابة أولي بمقدمها».

وفي «المواهب»: (عن المحب الطبري: أنه صَلَّى الله عليه و سلم ركب حمارا عريا إلي قباء (1)، وأبو هريرة معه، قال: «يا أبا هريرة؛ أ أحملك؟»، قال: ما شئت يا رسول الله، قال: «اركب»، فوثب أبو هريرة ليركب فلم يقدر، فاستمسك برسول الله صَلَّى الله عليه و سلم، فوقع [جميعا]، ثم ركب صَلَّى الله عليه و سلم، ثم قال: «يا أبا هريرة؛ أ أحملك؟»، قال: ما شئت يا رسول الله، فقال: «اركب»، فلم يقدر أبو هريرة علي ذلك، فتعلّق برسول الله صَلَّى الله عليه و سلم، فوقع جميعا، فقال: «يا أبا هريرة؛ أ أحملك؟»، فقال: لا، والذي بعثك بالحق لا رميتك ثالثا.

و ذكر الطبري أيضا: أنه عليه الصّلاة و السّلام كان في سفر و أمر أصحابه بإصلاح شاة، فقال رجل: يا رسول الله؛ عليّ ذبحها، وقال اخر: يا رسول الله؛ عليّ سلخها، وقال اخر: يا رسول الله؛ عليّ.

ص: 238

1- يؤنث و يذكر، ويمدّ و يقصر، و يصرف و يمنع، و الأفتح: التذكير و الصرف مع المدّ.

طبخها، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عليّ جمع الحطب»، فقالوا: يا رسول الله؛ نكفيك العمل، فقال: «قد علمت أنكم تكفوني، و لكن أكره أن أتميّز عليكم، فإنّ الله سبحانه و تعالي يكره من عبده أن يراه متميّزا بين أصحابه».

وقال في «الشفا»: (عن أبي قتادة رضي الله تعالى عنه [قال]: وفد وفد النجاشي، فقام النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخدمهم، فقال له أصحابه: نكفيك، قال: «إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين، وأنا أحب أن أكافئهم».

ولمّا جيء بأخته من الرضاعة الشيماء في سبأها هوازن، و تعرّفت له.. بسط لها رداءه، وقال لها: «إن أحببت أقمت عندي مكرمة محرّمة، أو متّعتك و رجعت إلي قومك»، فاخترت قومها، فمتّعتها (1).

وقال أبو الطّيفيل رضي الله تعالى عنه (2): رأيت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنا غلام، إذ أقبلت امرأة حتّي دنت منه، فبسط لها رداءه، فجلست عليه، فقلت: من هذه؟ قالوا: أمّه التي أرضعته.

و عن عمرو بن السائب: أنّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان جالسا يوما، فأقبل أبوه من الرضاعة (3)، فوضع له بعض ثوبه، فقعهده.

ص: 239

1- أي: أعطها زادا و مالا.

2- عامر بن وائلة الكناني.

3- وهو: الحارث بن عبد العزي رضي الله عنه.

عليه. ثم أقبلت أمه (1)، فوضع لها شقّ ثوبه من جانبه الآخر، فجلست عليه. ثم أقبل أخوه من الرضاعة (2)، فقام رسول الله صلّي الله عليه و سلّم فأجلسه بين يديه.

و كان صلّي الله عليه و سلّم يبعث إلي ثوبية- مولاة أبي لهب- مرضعته بصلّة و كسوة، فلما ماتت.. سأل: «من بقي من قرابتها؟»، فقيل: لا أحد).

و كان صلّي الله عليه و سلّم يستفتح و يستنصر بصعاليك المسلمين (3).

و كان له صلّي الله عليه و سلّم عبيد و إماء، و كان لا يرتفع عليهم في مآكل و لا ملبس.

و كان صلّي الله عليه و سلّم يأكل مع خدمه.

و كان صلّي الله عليه و سلّم يجلس مع الفقراء.

و كان صلّي الله عليه و سلّم يؤاكل الفقراء و المساكين، و يفلي ثيابهم (4).

و كان صلّي الله عليه و سلّم يخيط ثوبه، و يخصف نعله (5)، و يعمل ما يعمل الرّجال في بيوتهم (6). ر.

ص: 240

1- أي: حليلة السعدية رضي الله عنها.

2- و هو: عبد الله بن الحارث بن عبد العزي رضي الله عنهما.

3- أي: بدعاء فقرائهم لقربه من الإجابة.

4- أي: يزيل ما فيها من القمل.

5- أي: يخرز طاقا علي طاق.

6- من الاشتغال بمهنة الأهل و النفس؛ إرشادا للتواضع و ترك التكبر.

و عن عائشة رضي الله تعالى عنها: أنه قيل لها: ما ذا كان يعمل رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم في بيته؟ قالت: كان بشرا من البشر، يفلي ثوبه، و يحلب شاته، و يخدم نفسه.

و عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم أوسع الناس خلقا، و كان إذا دخل بيته يكون أكثر عمله فيه الخياطة، و كان يصنع كما يصنع احاد الناس، يشيل هذا، و يحطّ هذا، و يقيم البيت، و يقطع اللحم، و يعين الخادم.

و كان صَلَّى الله عليه و سلم يركب الحمار، و يخصف النعل، و يرفع القميص، و يلبس الصوف، و يقول: «من رغب عن سنتي.. فليس مني».

و كان صَلَّى الله عليه و سلم يعقل البعير، و يعلف ناضحه، و يأكل مع الخادم، و يعجن معها، و يحمل بضاعته من السوق.

و(التأصح): البعير يستقي عليه، ثم استعمل في كلّ بعير.

و عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: دخلت السوق مع رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم، فاشتري سراويل و أخذته، فذهبت لأحمله، فقال: «صاحب الشيء أحقّ بشيئه أن يحمله».

و عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: لم يكن شخص أحبّ إليهم من رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم، قال: و كانوا إذا رأوه.. لم يقوموا؛ لما يعلمون من كراهته لذلك.

وَأَمَّا جُلُوسُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

فَعَنْ خَارِجَةَ بِنِ زَيْدِ رَضِيَ اللَّهُ [تَعَالَى] عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْقَرَ النَّاسِ فِي مَجْلِسِهِ؛ لَا يَكَادُ يَخْرُجُ شَيْئًا مِنْ أَطْرَافِهِ (1).

وَكَانَ مَجْلِسُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَجْلِسَ حِلْمٍ وَحَيَاءٍ، وَأَمَانَةٍ وَصِيَانَةٍ، وَصَبْرٍ وَسَكِينَةٍ، لَا تَرْفَعُ فِيهِ الْأَصْوَاتُ، وَلَا تُؤْتِنُ فِيهِ الْحَرَمُ، يَتَعَاطَفُونَ فِيهِ بِالتَّقْوَى، وَيَتَوَاضَعُونَ، وَيُوقِّرُ الْكِبَارَ، وَيُرْحَمُ الصَّغَارَ، وَيُؤَثِّرُونَ الْمُحْتَاجَ، وَيَحْفَظُونَ الْغَرِيبَ، وَيَخْرُجُونَ أُدْلَةَ عَلِيِّ الْخَيْرِ.

قَوْلُهُ: (لَا تُؤْتِنُ فِيهِ الْحَرَمُ) أَي: لَا تَذُكُرُ فِيهِ النِّسَاءَ بِقَبِيحٍ، وَيَصَانُ مَجْلِسُهُ عَنِ الرَّفْثِ، وَمَا يَقْبَحُ ذَكَرَهُ.

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَجْلِسُ بَيْنَ أَصْحَابِهِ كَأَنَّهُ أَحَدُهُمْ، فَيَأْتِي الْغَرِيبَ فَلَا يَدْرِي أَيُّهُمْ هُوَ حَتَّى يَسْأَلَ عَنْهُ. فَطَلَبَ أَصْحَابَهُ مِنْهُ أَنْ يَجْلِسَ مَجْلِسًا رَفِيعًا لِيَعْرِفَهُ الْغَرِيبَ فَقَالَ: «افْعَلُوا مَا بَدَأَ لَكُمْ»، فَبَنَوْنَا لَهُ دَكَّانًا مِنْ طِينٍ، فَكَانَ يَجْلِسُ عَلَيْهَا.

و(الدَّكَّانُ) - كَالدَّكَّةِ -: الْمَكَانُ الْمُرْتَفِعُ يَجْلِسُ عَلَيْهِ، وَهُوَ الْمَسْطَبَةُ.

وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا جَلَسَ.. جَلَسَ إِلَيْهِ أَصْحَابُهُ حَلْقًا حَلْقًا.

وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَتَنَخَّمُ نَخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْ

ص: 242

أصحابه، فيدلك بها وجهه و جلده. و كان صلّي الله عليه و سلّم إذا توضّأ.. كادوا يقتتلون علي وضوئه؛ أي: الماء الذي يتوضّأ به.

و كان صلّي الله عليه و سلّم إذا تكلموا عنده.. يخفضون أصواتهم، و إذا نظروا إليه.. لا يحدّون النظر؛ تعظيماً له صلّي الله عليه و سلّم.

و كان صلّي الله عليه و سلّم يتخوّل (1) أصحابه بالموعظة.

و عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله صلّي الله عليه و سلّم إذا جلس في المسجد.. احتبي يديه.

قوله: (احتبي) الاحتباء: أن يجلس علي ألييه و يضمّ رجليه إلي بطنه بنحو عمامة يشدّها عليهما و علي ظهره.

و (اليدان) بدل عمّا يحتبي به؛ من نحو عمامة.

و كان أكثر جلوسه: أن ينصب ساقيه جميعاً، و يمسك يديه عليهما شبه الحبوة.

و كان لا يعرف مجلسه صلّي الله عليه و سلّم من مجالس أصحابه؛ لأنّه كان حيث انتهى به المجلس جلس.

و ما رئي صلّي الله عليه و سلّم قطّ مادّا رجليه يضيق بهما علي أصحابه؛ إلا أن يكون المكان واسعاً.

و كان أكثر جلوسه صلّي الله عليه و سلّم إلي القبلة.

و عن قبيلة بنت مخرمة رضي الله تعالى عنها: أنّها رأت رسول الله صلّي الله عليه و سلّم.

ص: 243

1- أي: يتعهد أصحابه بالنصائح المفيدة؛ حيناً بعد حين؛ مخافة السامة عليهم.

صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ فِي الْمَسْجِدِ، وَ هُوَ قَاعِدُ الْقَرْفِصَاءِ، قَالَتْ: فَلَمَّا رَأَيْتَ رَسُولَ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ الْمَتَخَشِّعَ فِي الْجَلْسَةِ.. أُرْعِدْتَ مِنْ الْفَرْقِ.

قَوْلُهُ: (الْقَرْفِصَاءُ) هِيَ: أَنْ يَجْلِسَ عَلَيَّ أَلْيِيهِ، وَ يَلْصِقُ فِخْذِيهِ بِبَطْنِهِ، وَ يَضَعُ يَدَيْهِ عَلَيَّ سَاقِيهِ، وَ هِيَ: جَلْسَةُ الْمُحْتَبِيِّ. وَ قِيلَ: أَنْ يَجْلِسَ عَلَيَّ رِكْبَتِيهِ مِنْكَبًّا، وَ يَلْصِقُ بَطْنَهُ بِفِخْذِيهِ، وَ يَتَأَبَّطُ كَفِّيهِ.

وَ (الْفَرْقِ): الْخَوْفُ.

وَ عَنْ أَنَسِ رَضِيَ اللّٰهُ تَعَالَى عَنْهُ: أَتَى صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ بِرَجُلٍ فَأُرْعِدَ مِنْ هَيْبَتِهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ، فَقَالَ لَهُ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ: «هُوَ نَ عَلَيْكَ، فَلَسْتُ بِمَلِكٍ، إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ»، فَنَطَقَ الرَّجُلُ بِحَاجَتِهِ، فَقَامَ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ؛ إِنِّي أَوْحِيَ إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا، أَلَا فَتَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَيَّ أَحَدٌ، وَ لَا يَفْخَرُ أَحَدٌ عَلَيَّ أَحَدٌ، وَ كُونُوا عِبَادَ اللّٰهِ إِخْوَانًا».

وَ عَنْ عَبْدِ اللّٰهِ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللّٰهُ تَعَالَى عَنْهُمَا: أَنَّهُ رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ مُسْتَلْقِيًا فِي الْمَسْجِدِ، وَاضِعًا إِحْدَى رِجْلَيْهِ عَلَيَّ الْأُخْرَى.

وَ رَوَى أَبُو دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ: أَنَّ رَسُولَ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ كَانَ إِذَا صَلَّى الْفَجْرَ.. تَرَبَّعَ فِي مَجْلِسِهِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ حَسَنًا؛ أَي:

بِإِضَاءَةِ نَقِيَّةٍ.

وَ كَانَ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ لَا يَقُومُ مِنْ مَجْلِسٍ إِلَّا قَالَ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَ بِحَمْدِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَ أَتُوبُ إِلَيْكَ»، وَ قَالَ:

ص: 244

«لا يقولهنَّ أحد حيث يقوم من مجلسه..إلا غفر له ما كان منه في ذلك المجلس».

وكان صَلَّى الله عليه وسلّم إذا جلس مجلسا، فأراد أن يقوم..استغفر عشرا إلي خمس عشرة، وروي ابن السنّي:عشرين مرّة.

وكان صَلَّى الله عليه وسلّم إذا انصرف..انحرف بجانبه.

وكان صَلَّى الله عليه وسلّم إذا قام..اتكأ علي إحدى يديه.

اتكاء رسول الله صلي الله عليه وآله

وأمّا اتكاء رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم:

فعن جابر بن سمرة رضي الله تعالى عنه قال:رأيت رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم متكئا علي وسادة علي يساره.

وعن أبي بكره رضي الله تعالى عنه وأرضاه قال:قال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم:«ألا أحدثكم بأكبر الكبائر؟»،قالوا:بلي يا رسول الله،قال:«الإشراك بالله،وعقوق الوالدين»،قال:وجلس رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم-وكان متكئا-قال:«وشهادة الزور»؛ أو:«قول الزور».قال:فما زال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم يقولها حتّي قلنا:ليته سكت.

كرم رسول الله صلي الله عليه وآله

عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما أنه قال: ما سئل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شيئاً قطّ فقال: (لا).

وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يسأل شيئاً إلا أعطاه، ثم يعود علي قوت عامه فيؤثر منه، حتى لربّما احتاج قبل انقضاء العام إن لم يأتته شيء.

وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يكاد يسأل شيئاً إلا فعله.

وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يكاد يقول لشيء: (لا)، فإذا هو سئل فأراد أن يفعل.. قال: (نعم). وإن لم يرد أن يفعل.. سكت.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في شهر رمضان حتى ينسلخ فيأتيه جبريل فيعرض عليه القرآن، فإذا لقيه جبريل.. كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أجود بالخير من الريح المرسلة.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: أن رجلاً جاء إلي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسأله أن يعطيه، فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«ما عندي شيء، ولكن ابتع علي؛ فإذا جاءني شيء.. قضيت». فقال

عمر: يا رسول الله؛ [قد أعطيته]، فما كلفك الله ما لا تقدر عليه. فكره صَلَّى الله عليه و سلم قول عمر.

فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله؛ أنفق ولا تخف من ذي العرش إقلالا.

فتبسّم رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم، وعرف في وجهه البشر لقول الأنصاريّ، ثم قال: «بهذا أمرت».

و كان صَلَّى الله عليه و سلم إذا جاءه مال.. لم يبيته، و لم يقيله؛ أي: إذا جاءه آخر النهار.. لم يمسه إلى الليل، أو أول النهار.. لم يمسه إلى وقت القيلولة، بل يعجل قسمته.

و كان صَلَّى الله عليه و سلم أسخي الناس، لا يبيت عنده دينار و لا درهم، و إن فضل شيء و لم يجد من يعطيه له، و فجأه الليل.. لم يأو إلى منزله حتى يبرأ منه إلى من يحتاج إليه.

و أتاه صَلَّى الله عليه و سلم رجل فسأله، فأعطاه غنما سدّت ما بين جبلين، فرجع إلى قومه و قال: أسلموا، فإنّ محمّدا يعطي عطاء من لا يخشي الفقر.

و أعطي [صَلَّى الله عليه و سلم] غير واحد مائة من الإبل.

و أعطي [صَلَّى الله عليه و سلم] صفوان مائة ثمّ مائة ثمّ مائة.

و هذه كانت حاله صَلَّى الله عليه و سلم قبل أن يبعث، و قد قال له ورقة بن نوفل: إنك تحمل الكلّ و تكسب المعدوم، و قالت له خديجة

رضي الله تعالى عنها؛ أبشر؛ فوالله لا يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين علي نواب الحق.

و(الكل) هنا: الثقل من كل ما يتكلف؛ كما في «لسان العرب».

وأعطي [صلي الله عليه وسلم] العباس رضي الله تعالى عنه ما لم يطق حمله.

وحمل إليه [صلي الله عليه وسلم] تسعون ألف درهم، فوضعت علي حصير، ثم قام إليها يقسمها، فما رد سائلا حتى فرغ منها.

ولما قفل [صلي الله عليه وسلم] من حنين وجاءت الأعراب يسألونه حتى اضطرّوه إلي شجرة فخطفت رداءه، فوقف رسول الله صلي الله عليه وسلم وقال: «أعطوني ردائي؛ لو كان لي عدد هذه العضاه نعما..

لقسمته بينكم، ثم لا تجدوني بخيلا، ولا كذابا، ولا جبانا».

و(العضاه): شجر له شوكة، واحدها: عضاهة.

ورد [صلي الله عليه وسلم] علي هوازن سبائها، وكانوا ستّة آلاف.

وفي «المواهب»: (ذكر ابن فارس في كتابه في «أسماء النبي صلي الله عليه وسلم» [\(1\)](#): أنه في يوم حنين جاءته امرأة؛ فأنشدت شعرا تذكّره أيام رضاعته في هوازن، فردّ عليهم ما أخذ وأعطاهم عطاء كثيرا حتى قوّم ما أعطاهم ذلك اليوم، فكان خمس مائة ألف ألف م.

ص: 248

1- أي: كتابه المؤلف في ذكر أسماء النبي صلي الله عليه وسلم.

قال ابن دحية: وهذا نهاية الجود الذي لم يسمع بمثله في الوجود).

وعن عائشة رضي الله [تعالى] عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقبل الهدية ويثيب عليها.

وأنته صلى الله عليه وسلم امرأة بريدة، فقالت: يا رسول الله؛ أكسوك هذه؟ فأخذها صلى الله عليه وسلم محتاجا إليها، فلبسها، فراها عليه رجل من الصحابة فقال: يا رسول الله؛ ما أحسن هذه! فاكسنيها، فقال: «نعم»، فلما قام عليه الصلاة والسلام.. لأمه أصحابه، وقالوا: ما أحسنت حين رأيت النبي صلى الله عليه وسلم أخذها محتاجا إليها، ثم سألته إياها، وقد عرفت أنه لا يسأل شيئا فيمنعه. رواه البخاري.

وكان صلى الله عليه وسلم رحيما، وكان لا يأتيه أحد إلا وعده وأنجز له؛ إن كان عنده.

شجاعة رسول الله صلى الله عليه وآله

وأما شجاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم:

فقد كان صلى الله عليه وسلم أنجد الناس وأشجعهم.

قال علي رضي الله تعالى عنه: لقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه وسلم، وهو أقرب إلي العدو. وكان من أشد الناس يومئذ بأسا.

وقال أيضا [رضي الله تعالى عنه]: كنا إذا حمي (1) البأس ولقي القوم

ص: 249

1- في نسخة: احمر.

القوم.. أتقينا برسول الله صَلَّى الله عليه و سلم، فما يكون أحد أقرب إلي العدو منه.

وقيل: كان رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم قليل الكلام، قليل الحديث، فإذا أمر الناس بالقتال.. تشمّر.

وكان [صَلَّى الله عليه و سلم] من أشد الناس بأساً، وكان الشجاع هو الذي يقرب منه في الحرب؛ لقربه من العدو.

وقال عمران بن حصين رضي الله تعالى عنهما: ما لقي النبي صَلَّى الله عليه و سلم كتيبة إلا كان أول من يضرب.

وقالوا: وكان قوي البطش.. ولما غشيه المشركون.. نزل عن بغلته، فجعل يقول: «أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب»، فما رئي يومئذ أحد أشد منه.

و سأل رجل البراء رضي الله تعالى عنه: أفررتم يوم حنين عن رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم؟ أقال: نعم، لكن رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم لم يفرّ، كان هوازن رماة، وإنا لما حملنا عليهم انكشفوا؛ فأكبنا علي الغنائم، فاستقبلتنا بالسهام.

ثم قال: ولقد رأيت علي بغلته البيضاء- وأبو سفيان بن الحارث اخذ بلجامها- وهو يقول: «أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب»، فما رئي يومئذ أحد كان أشد منه.

و عن العباس رضي الله تعالى عنه قال: لما التقى المسلمون و الكفار.. ولي المسلمون مدبرين، فطفق رسول الله صَلَّى الله عليه

وسلم يركض بغلته نحو الكفار، وأنا اخذ بلجامها أكفها إرادة أن لا تسرع، وأبو سفيان اخذ بركابه.

وقد كان أبي بن خلف يقول للنبي صلى الله عليه وسلم حين افتدي يوم بدر: عندي فرس أعلفها كل يوم فرقا من ذرة أقتلك عليها، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «أنا أقتلك إن شاء الله تعالى». فلمّا راه يوم أحد شدّ أبي علي فرسه علي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاعترضه رجال من المسلمين، فقال النبي صلى الله عليه وسلم هكذا: أي: خلّوا طريقه، و تناول الحربة من الحارث بن الصّمة [رضي الله تعالى عنه]؛ فانتفض بها انتفاضة تطايروا عنه تطاير الشعراء عن ظهر البعير إذا انتفض.

ثمّ استقبله النبي صلى الله عليه وسلم فطعنه في عنقه طعنة تدأدا منها عن فرسه مرارا- وقيل: بل كسر ضلعا من أضلاعه- فرجع إلي قريش يقول:

قتلني محمّد. وهم يقولون: لا بأس بك.

فقال: لو كان ما بي بجميع الناس لقتلهم، أليس قد قال: «أنا أقتلك»؟! والله لو بصق عليّ.. لقتلني. فمات بسرف في قفولهم إلي مكّة.

و(الفرق): مكيال يسع [ستّة عشر] رطلا؛ كلّ رطل مائة و ثلاثون درهما (1).

و(الشعراء): ذباب أحمر- وقيل: أزرق- يقع علي الإبل فيؤذيها أذي شديدا. ا.

ص: 251

1- أي أن الفرق يعادل (6500) غراما. أما الدرهم فيعادل (3، 125) غراما.

وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: كان النبي صَلَّى اللهُ عليه و سلم أحسن الناس، وأجود الناس، وأشجع الناس. ولقد فرغ أهل المدينة ذات ليلة، فانطلق الناس قبل الصّوت، فاستقبلهم النبي صَلَّى اللهُ عليه و سلم قد سبق الناس إلي الصّوت، وهو يقول: «لن تراعوا.. لن تراعوا»، وهو علي فرس لأبي طلحة عري، ما عليه سرج، والسيف في عنقه، فقال: «لقد وجدته بحرا».

و هذا الفرس اسمه: (المندوب).

وفي رواية للبخاري: إنّ أهل المدينة فرعوا مرّة، فركب النبي صَلَّى اللهُ عليه و سلم فرسا لأبي طلحة كان يقطف، فلمّا رجع.. قال:

«وجدنا فرسكم هذا بحرا»، فكان بعد لا يجاري.

قوله (بحرا) البحر: الفرس الجواد الواسع الجري.

و(يقطف): يقال قطف الفرس في مشيه: إذا تضايق خطوه.

و(القطوف من الدّوابّ و غيرها): البطيء.

ص: 252

الباب السادس: في صفة عبادة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ و صلّاته، و صومه، و قراءته

إشارة

و فيه ثلاثة فصول

ص: 253

الفصل الأول: في صفة عبادته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ و صلّاته

قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أنا أتقاكم لله تعالى، وأشدّكم له خشية».

وفي «صحيح البخاري»: «إنّي لأعلمكم بالله، وأشدّكم له خشية».

وفيه: عن أبي هريرة رضي الله [تعالى] عنه: «لو تعلمون ما أعلم..

لضحكتكم قليلا و لبكيتم كثيرا».

وفي «صحيح مسلم»: عن أنس رضي الله [تعالى] عنه أنّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «والذي نفس محمد بيده، لو رأيتم ما رأيتم.. لضحكتكم قليلا و لبكيتم كثيرا». قالوا: وما رأيتم يا رسول الله؟ قال: «رأيت الجنة والنار».

وعن المغيرة بن شعبة وأبي هريرة رضي الله تعالى عنهما قالوا: صَلَّى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتّى انتفخت قدماه، فقيل له: أ تتكلّف هذا وقد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك و ما تأخر؟ قال: «أفلا أكون عبدا شكورا؟!».

ص: 255

قال الباجوري: (و استشكل هذا قديما و حديثا..بأنه صَلَّى الله عليه و سلم لا ذنب عليه؛ لكونه معصوما.

و أحسن ما قيل فيه: أنه من باب (حسنات الأبرار..سيئات المقرّبين)، إذ الإنسان لا يخلو عن تقصير، من حيث ضعف العبوديّة مع عظمة الرّبوبيّة، وإن كان صَلَّى الله عليه و سلم في أعلي المقامات و أرفع الدّرجات في عباداته و طاعاته.

وقد قال صَلَّى الله عليه و سلم: «سبحانك ما عبدناك حقّ عبادتك، لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت علي نفسك».

ولذلك قيل: المغفرة قسمان:

مغفرة للعوامّ، وهي: مسامحتهم من الذّنوب.

و مغفرة للخواصّ، وهي: مسامحتهم من التّقصير) ١٥

و عن الأسود بن يزيد [رحمه الله تعالى] قال: سألت عائشة رضي الله تعالى عنها عن صلاة رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم بالليل فقالت: كان ينام أول الليل، ثمّ يقوم، فإذا كان من السّحر..أوتر، ثمّ أتى فراشه، فإذا كان له حاجة..ألّم بأهله، فإذا سمع الأذان..وثب، فإن كان جنبا..أفاض عليه من الماء، وإلا..توضّأ و خرج إلي الصّلاة.

و عن ابن عبّاس رضي الله تعالى عنهما: أنه بات عند ميمونة أمّ المؤمنين و هي خالته رضي الله تعالى عنها قال: فاضطجعت في عرض الوسادة، و اضطجع رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم في طولها، فنام رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم، حتّي إذا انتصف الليل، أو قبله بقليل،

ص: 256

أو بعده بقليل.. فاستيقظ رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم، فجعل يمسح النوم عن وجهه، ثم قرأ العشر الآيات الخواتيم من سورة (آل عمران)؛ أي: التي أولها: إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَيَّ آخِرُ السُّورَةِ ثُمَّ قَامَ إِلَى شَيْءٍ مَعْلُوقٍ فَتَوَضَّأَ مِنْهَا، فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ قَامَ يَصَلِّي.

قال عبد الله بن عباس: فقامت إلي جنبه، فوضع رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم يده اليمنى على رأسي، ثم أخذ بأذني اليمنى ففتلها- وفي رواية: فأخذ بأذني؛ فأدارني عن يمينه- فصلّي ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين (ستّ مرّات)، ثم أوتر، ثم اضطجع حتّى جاء المؤذن، فقام فصلّي ركعتين خفيفتين، ثم خرج فصلّي الصّبح.

وفي «الصحيح»: عن أنس [رضي الله تعالى عنه]: أنّ رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم كان يتوضّأ عند كلّ صلاة.

وعن ابن عباس أيضا (1) [رضي الله تعالى عنه]: قال: كان النبي صَلَّى الله عليه و سلم يصلّي من اللّيل ثلاث عشرة ركعة.

وعن عائشة رضي الله عنها: أنّ النبي صَلَّى الله عليه و سلم كان إذا لم يصلّ بالليل؛ منعه من ذلك النوم، أو غلبته عيناه.. صلّي من النهار ثنتي عشرة ركعة. ا.

ص: 257

1- غير مناسب الإتيان به هنا بعد حديث أنس، إذ يوهم أن حديث أنس من حديث ابن عباس، ومحل الحديث-والله أعلم- بعد حديث بيتوته صَلَّى الله عليه و سلم عند ميمونة رضي الله تعالى عنها.

و عن عائشة أيضا رضي الله تعالى عنها: أن رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم كان يصلي من الليل إحدى عشرة ركعة يوتر منها بواحدة، فإذا فرغ منها.. اضطجع علي شقه الأيمن.

و عن عائشة أيضا [رضي الله تعالى عنها] قالت: كان رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم يصلي من الليل تسع ركعات. أي: في بعض الأوقات.

و عن حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنهما: أنه صَلَّى مع النبي صَلَّى الله عليه و سلم من الليل، قال: فلما دخل في الصلاة.. قال:

«الله أكبر ذو الملكوت و الجبروت و الكبرياء و العظمة».

قال: ثم قرأ (البقرة)، ثم ركع؛ فكان ركوعه نحواً من قيامه، و كان يقول: «سبحان ربّي العظيم، سبحان ربّي العظيم»، ثم رفع رأسه؛ فكان قيامه نحواً من ركوعه، و كان يقول: «لربّي الحمد، لربّي الحمد»، ثم سجد؛ فكان سجوده نحواً من قيامه، و كان يقول:

«سبحان ربّي الأعلى، سبحان ربّي الأعلى»، ثم رفع رأسه فكان ما بين السجدين نحواً من السجود، و كان يقول: «رب اغفر لي، رب اغفر لي» حتى قرأ (البقرة)، (آل عمران)، و (النساء)، و (المائدة)، أو (الأنعام)؛ أي: أنه صَلَّى أربع ركعات قرأ في الأولى: (البقرة)، و في الثانية: (آل عمران)، و في الثالثة: (النساء)، و في الرابعة:

(المائدة) أو (الأنعام). و الشك فيهما من شعبة راوي هذا الحديث.

و عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قام رسول الله صَلَّى الله عليه و سلمّ بآية من القرآن ليلة.

و عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: صلّيت ليلة مع رسول الله صَلَّى الله عليه و سلمّ، فلم يزل قائماً حتّي هممت بأمر سوء، قيل له: و ما هممت به؟ قال: هممت أن أقعد و أدع النبي صَلَّى الله عليه و سلمّ.

و عن عائشة رضي الله تعالى عنها: أنّ النبي صَلَّى الله عليه و سلمّ كان يصليّ جالساً فيقرأ و هو جالس، فإذا بقي من قراءته قدر ما يكون ثلاثين - أو أربعين - آية.. قام فقرأ و هو قائم، ثم ركع و سجد، ثم صنع في الرّكعة الثّانية مثل ذلك.

و عن عبد الله بن شقيق [رحمه الله تعالى] قال: سألت عائشة رضي الله تعالى عنها عن صلاة رسول الله صَلَّى الله عليه و سلمّ في تطوّعه؟ فقالت:

كان يصليّ ليلاً طويلاً قائماً، و ليلاً طويلاً قاعداً، فإذا قرأ و هو قائم.. ركع و سجد و هو جالس، و إذا قرأ و هو جالس.. ركع و سجد و هو جالس.

و عن حفصة [رضي الله تعالى عنها] زوج النبي صَلَّى الله عليه و سلمّ قالت: كان رسول الله صَلَّى الله عليه و سلمّ يصليّ في سبّحته - أي: نافلته قاعداً، و يقرأ بالسّورة و يرتّلها حتّي تكون أطول من أطول منها (1).

و عن أمّ سلمة رضي الله تعالى عنها أنّها قالت: و الذي نفسي بيده،

ص: 260

1- أي حتّي يصير وقت قراءة السورة القصيرة - كالأنفال مثلاً - لاشتمالها علي الترتيل و الوقوف عند معاني الآيات أطول من الوقت الذي تقرأ فيه السورة الطويلة كالآعراف - في الأحوال العادية.

ما مات رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم حتّي كان أكثر صلواته قاعدا، إلا المكتوبة.

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها: كان رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم لا يدع قيام اللّيل، و كان إذا مرض أو كسل.. صلّي قاعدا.

وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: صلّيت مع رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم ركعتين قبل الظّهر، و ركعتين بعده، و ركعتين بعد المغرب في بيته، و ركعتين بعد العشاء في بيته.

وعن حفصة رضي الله تعالى عنها: أنّ رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم كان يصلّي ركعتين خفيفتين حين يطلع الفجر.

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها: كان رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم لا يدع ركعتي الفجر في السّفر و لا في الحضر، و لا في الصّحّة و لا في السّقم.

وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: حفظت من رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم ثماني ركعات: ركعتين قبل الظّهر، و ركعتين بعده، و ركعتين بعد المغرب، و ركعتين بعد العشاء.

قال ابن عمر: و حدّثني حفصة بركعتي الغداة، و لم أكن أراهما من النّبّي صَلَّى الله عليه و سلم.

و عن معاذة [رحمها الله تعالى] قالت: قلت لعائشة رضي الله تعالى عنها: أ كان النّبّي صَلَّى الله عليه و سلم يصلّي الصّحّي؟ قالت: نعم..

أربع ركعات، و يزيد ما شاء الله عزّ و جلّ.

و عن أنس رضي الله تعالى عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي الضحي ست ركعات.

و عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي الضحي حتى نقول لا يدعها، و يدعها حتى نقول لا يصلّيها.

و عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله تعالى عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدمن أربع ركعات عند زوال الشمس، فقلت: يا رسول الله؛ إنك تدمن هذه الأربع ركعات عند زوال الشمس؟ فقال:

«إن أبواب السماء تفتح عند زوال الشمس، فلا ترتج حتى يصلي الظهر، فأحب أن يصعد لي في تلك الساعة خير»؛ قلت: أفي كلهن قراءة؟ قال: «نعم»، قلت: هل فيهن تسليم فاصل؟ قال: «لا».

و معني (لا ترتج): لا تغلق.

و عن أم هانئ رضي الله تعالى عنها: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل بيتها يوم فتح مكة فاغتسل، فسبح-أي: صلى ثمان ركعات ما رأته صلى الله عليه وسلم صلى صلاة قط أخف منها، غير أنه كان يتم الركوع و السجود.

و عن أنس رضي الله تعالى عنه: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أخف الناس صلاة في تمام.

و عن أبي واقد الليثي رضي الله تعالى عنه: كان رسول الله صلى الله

عليه و سلم أخفّ النَّاس صلاة علي النَّاس، و أطول النَّاس صلاة لنفسه.

و عن عبد الله بن سعد رضي الله تعالى عنه قال: سألت رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم عن الصَّلَاة في بيتي، و الصَّلَاة في المسجد؟ قال:

«قد تري ما أقرب بيتي من المسجد، فلأن أصلي في بيتي أحب إليّ من أن أصلي في المسجد؛ إلا أن تكون صلاة مكتوبة»؛ أي: لتحصل البركة للبيت و أهله، و تنزل الملائكة، و ليذهب عنه الشيطان.

و عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم إذا اشتدَّ البرد.. بكرَّ بالصَّلَاة، و إذا اشتدَّ الحرّ.. أبرد بالصَّلَاة.

و عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: كان رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم لا يكون في المصلين إلا كان أكثرهم صلاة، و لا يكون في الذاكرين إلا كان أكثرهم ذكراً.

و عن حذيفة رضي الله تعالى عنه: كان رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم إذا حزبه- و في رواية: حزنه- أمر.. صَلَّى؛ أي: إذا نزل به همّ، و أصابه غمّ.

و عن أنس رضي الله تعالى عنه: كان رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم إذا نزل منزلاً.. لم يرتحل منه حتّي يصلي فيه ركعتين.

و كان صَلَّى الله عليه و سلم يحبّ أن يليه المهاجرون و الأنصار في الصَّلَاة؛ ليحافظوا عنه.

و كان صَلَّى الله عليه و سلم لا يفارق مصلاًه سواكه و مشطه.

وروي الإمام أحمد، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا انصرف من صلاته.. استغفر (ثلاثاً)، ثم قال: «اللهم أنت السلام، ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام».

ص: 264

الفصل الثاني: في صفة صومه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

عن عبد الله بن شقيق [رحمه الله تعالى] قال: سألت عائشة رضي الله تعالى عنها عن صيام رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قالت: كان يصوم حتّى نقول قد صام-أي: داوم الصّوم-فلا يفطر، ويفطر حتّى نقول قد أفطر-أي: داوم الإفطار-فلا يصوم.

قالت: وما صام رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شهرا كاملا منذ قدم المدينة.. إلا رمضان.

وسئل أنس رضي الله تعالى عنه عن صوم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: كان يصوم من الشهر حتّى نري ألا يريد أن يفطر منه، ويفطر حتّى نري ألا يريد أن يصوم منه شيئا، وكنت لا تشاء أن تراه من الليل مصليا إلا رأيتَه مصليا، ولا نائما إلا رأيتَه نائما.

وعن أم سلمة رضي الله تعالى عنها قالت: ما رأيت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصوم شهرين متتابعين إلا شعبان ورمضان.

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: لم أر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصوم في شهر أكثر من صيامه في شعبان، كان يصوم شعبان إلا قليلا، بل كان يصومه كلّهُ.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم من غرة كل شهر ثلاثة أيام، وكلما كان يفطر يوم الجمعة (1).

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم يتحرى صوم الاثنين والخميس.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس، فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم».

وعن أبي هريرة [رضي الله تعالى عنه] أيضا قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر ما يصوم الاثنين والخميس، ف قيل له.. فقال:

«الأعمال تعرض كل اثنين وخميس؛ فيغفر لكل مسلم.. إلا المتهاجرين (2)، فيقول: أخر وهما [حتي يصطلحا]».

وعن أم سلمة رضي الله تعالى عنها: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر صومه السبت والأحد (3)، ويقول: «هما يوم عيد المشركين فأحب أن أخالفهم».

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم عليه.

ص: 266

-
- 1- لكنه صلى الله عليه وسلم كان يضمه إلي الخميس أو السبت؛ فلا يخالف هذا حديث النهي عن إفراده بالصوم.
 - 2- أي: المسلمين المتقاطعين.
 - 3- أي: معا؛ لأن إفرادهما كيوم الجمعة مكروه.

وسلم يصوم من الشهر السبت والأحد والاثنين، ومن الشهر الآخر الثلاثاء والأربعاء والخميس.

وعن معاذة [رحمها الله تعالى] قالت: قلت لعائشة: أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم ثلاثة أيام من كل شهر؟ قالت: نعم، قلت:

من أيها كان يصوم؛ أي: من أي أيامه؟ قالت: كان لا يبالي من أيها صام؛ أي: من أوله، ومن وسطه، ومن آخره.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدع صوم أيام البيض في سفر ولا حضر.

و(أيام البيض): اليوم الثالث عشر من الشهر، والرابع عشر، والخامس عشر. وسميت بيضا؛ لأن القمر يطلع فيها من أولها إلى آخرها.

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: كان عاشوراء (1) يوما تصومه قريش في الجاهلية، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه، فلما قدم المدينة.. صامه وأمر بصيامه، فلما افترض رمضان.. كان رمضان هو الفريضة، وترك عاشوراء، فمن شاء.. صامه، ومن شاء.. تركه.

وعن علي رضي الله تعالى عنه: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم يوم عاشوراء، ويأمر به.

وعن حفصة رضي الله تعالى عنها: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم يوم عاشوراء، ويأمر به.

ص: 267

1- هو اليوم العاشر من المحرم.

وسلم يصوم تسع ذي الحجة و يوم عاشوراء، و ثلاثة أيام من كل شهر:

أول اثنين من الشهر، و الخميس، و الاثنين من الجمعة الأخرى.

و عن جابر رضي الله تعالى عنه: كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يعجبه أن يفطر علي الرطب ما دام الرطب، و علي التمر إذا لم يكن رطب، و يختم بهن، و يجعلهنّ و ترا؛ ثلاثا، أو خمسا، أو سبعا.

و عن أنس رضي الله تعالى عنه: كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يحبّ أن يفطر علي ثلاث تمرات، أو شيء لم تصبه النار.

و عن أنس [رضي الله تعالى عنه] أيضا: كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يفطر علي رطبات قبل أن يصلي، فإن لم يكن رطبات.. فتمرات، فإن لم يكن تمرات.. حسا حسوات من ماء.

و عن أنس [رضي الله تعالى عنه] أيضا قال: كان رسول الله صلى الله عليه و سلم إذا أفطر عند قوم.. قال: «أفطر عندكم الصائمون، و أكل طعامكم الأبرار، و تنزلت عليكم الملائكة».

و عن ابن الزبير رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه و سلم إذا أفطر عند قوم.. قال: «أفطر عندكم الصائمون، و صلّت عليكم الملائكة».

و عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: كان رسول الله صلى الله عليه و سلم إذا أفطر.. قال: «ذهب الظّمأ، و ابتلت العروق، و ثبت الأجر إن شاء الله تعالى».

و عن معاذ بن زهرة [رحمه الله تعالى]: كان رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم إذا أفطر.. قال: «اللَّهُمَّ؛ لك صمت، و علي رزقك أفطرت».

و عن معاذ رضي الله تعالى عنه (1) قال: كان رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم إذا أفطر.. قال: «الحمد لله الذي أعانني فصمت، و رزقني فأفطرت».

و عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كان رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم إذا أفطر.. قال: «اللَّهُمَّ؛ لك صمت، و علي رزقك أفطرت، فتقبّل مني إنك أنت السميع العليم».

و عن علقمة [رحمه الله تعالى] قال: سألت عائشة رضي الله تعالى عنها: أ كان رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم يخصّ من الأيتام شيئاً؟

قالت: كان عمله ديمة (2)، و أيكم يطيق ما كان رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم يطيق؟

و عن عائشة أيضا رضي الله تعالى عنها قالت: دخل علي رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم و عندي امرأة، فقال: «من هذه؟»، قلت:

فلانة؛ لا- تنام الليل. فقال رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم: «عليكم من الأعمال ما تطيقون؛ فوالله لا يملّ [الله] حتّي تملّوا»، و كان أحبّ ذلك إلي رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم الذي يدوم عليه صاحبه. ا.

ص: 269

1- و هو معاذ بن زهرة التابعي المعروف، و كان ينبغي هنا الترحم لا الترضي، كما هي عادة المؤلف -رحمه الله تعالى- في الترضي علي الصحابة و الترحم علي من بعدهم.

2- أي: دائما.

و عن أبي صالح [رحمه الله تعالى] (1) قال: سألت عائشة و أم سلمة رضي الله [تعالى] عنهما: أي العمل كان أحب إلي رسول الله صلى الله عليه و سلم؟ قالتا: ما ديم عليه، و إن قلّ.

و روي البخاريّ: عن عائشة رضي الله تعالى عنها: أنه كان أحبّ الدّين إلي رسول الله صلى الله عليه و سلم ما داوم عليه صاحبه. ت.

ص: 270

1- و اسمه: ذكوان السمان و الزييات.

الفصل الثالث: في صفة قراءة ته صلي الله عليه و سلم

عن عوف بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: كنت مع رسول الله صلي الله عليه و سلم ليلة، فاستأثرتك، ثم توضأ، ثم قام يصلي، فقامت معه، فبدأ فاستفتح (البقرة)، فلا يمرّ بآية رحمة.. إلا وقف فسأل، ولا يمرّ بآية عذاب.. إلا وقف فتعوذ، ثم ركع فمكث راكعاً بقدر قيامه، ويقول في ركوعه: «سبحان ذي الجبروت و الملكوت، و الكبرياء و العظمة»، ثم سجد بقدر ركوعه، ويقول في سجوده: «سبحان ذي الجبروت و الملكوت، و الكبرياء و العظمة»، ثم قرأ (آل عمران)، ثم سورة سورة. يفعل مثل ذلك في كلّ ركعة.

و عن حذيفة رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله صلي الله عليه و سلم إذا مرّ بآية خوف.. تعوذ، وإذا مرّ بآية رحمة.. سأل، وإذا مرّ بآية فيها تنزيه الله.. سبح.

و عن أبي ليلى رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله صلي الله عليه و سلم إذا مرّ بآية فيها ذكر التّار.. قال: «ويل لأهل التّار، أعوذ بالله من التّار».

و عن يعلي بن مملك [رحمه الله تعالى]: أنه سأله أم سلمة رضي الله تعالى عنها: عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هي تنعت قراءة مفسرة حرفا حرفا.

و عن قتادة [رحمه الله تعالى] قال: قلت لأنس بن مالك رضي الله تعالى عنه: كيف كانت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: مدا.

و عن أم سلمة رضي الله تعالى عنها قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم يقطع قراءته؛ يقول: «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ»، ثم يقف، ثم يقول: «الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ»، ثم يقف، وكان يقرأ:

« مالِكِ يَوْمَ الدِّينِ » (1).

و عن عبد الله بن قيس [رحمه الله تعالى] قال: سألت عائشة رضي الله تعالى عنها: عن قراءة النبي صلى الله عليه وسلم: أكان يسر بالقراءة أم يجهر؟ قالت: كل ذلك قد كان يفعل؛ قد كان ربما أسر، وربما جهر.

فقلت: الحمد لله الذي جعل في الأمر سعة.

و عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرأ من الليل.. رفع طورا، وخفض طورا.

و عن أم هانئ رضي الله تعالى عنها قالت: كنت أسمع قراءة النبي.

ص: 272

1- أي بالألف؛ أحيانا، وهي قراءة متواترة مشهورة، كما أن قراءة (ملك) بدون ألف متواترة أيضا.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِاللَّيْلِ، وَأَنَا عَلِيٌّ عَرِيشِي.

وعن معاوية بن قرة [رحمه الله تعالى] قال: سمعت عبد الله بن مغفل رضي الله تعالى عنه يقول: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم علي ناقته يوم الفتح وهو يقرأ: **إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا. لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَ مَا تَأَخَّرَ [الفتح: 1-2].**

قال: فقرأ ورجع (1).

قال: وقال معاوية بن قرة: لو لا أن يجتمع الناس علي.. لأخذت لكم في ذلك الصوت، أو قال: اللحن.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كان قراءة النبي صلى الله عليه وسلم ربما سمعها من في الحجرة، وهو في البيت؛ أي: كان إذا قرأ في بيته.. ربما يسمع قراءته من في حجرة البيت من أهله، ولا يتجاوز صوته إلي ما وراء الحجرات.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرأ: **أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَيَّ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتِيَ..** قال: «بلي»، وإذا قرأ: **أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ..** قال: «بلي».

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرأ: **سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى..** قال: «سبحان ربي الأعلى».

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يردد صوته بالقراءة.

ص: 273

1- أي: ردد صوته بالقراءة.

وسلم إذا تلا: غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ..قال: «امين»؛ حتى يسمع من يليه من الصف الأول.

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقرأ القرآن في أقل من ثلاث (1).

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ختم.. جمع أهله ودعا.

وكان صلى الله عليه وسلم إذا ختم.. يقرأ من أول القرآن خمس آيات.ه.

ص: 274

1- أي: لا يقرأه كاملاً في أقل من ثلاثة أيام؛ لأنها أقل مدة يمكن فيها تدبره وترتيله، هذا كله في تفهم معانيه. أما الثواب علي قراءته: فحاصل لمن قرأه سواء فهمه أم لا، للتعبد بلفظه بخلاف غيره من الأذكار.. فلا ثواب فيه إلا إن فهمه ولو بوجه.

الباب السابع: في أخبار شتي من أحوال رسول الله صلي الله عليه و سلم

إشارة

و بعض أذكار و أدعية كان يقولها في أوقات مخصوصة و ثلاث مائة و ثلاثة عشر حديثا من جوامع كلمه صلي الله عليه و سلم و فيه ثلاثة فصول

ص: 275

في «الشفاء» للقاضي عياض رحمه الله تعالى: (ولد رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و سلم محتونا، مقطوع السرة.

وقد روي عن أمه آمنة أنها قالت: ولدته نظيفا ما به قدر.

وفي حديث عكرمة، عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: أنه صَلَّى اللهُ عليه و سلم نام حتّي سمع له غطيط (1)، فقام فصلي، و لم يتوضأ. قال عكرمة: لأنه صَلَّى اللهُ عليه و سلم كان محفوظا.

و كان صَلَّى اللهُ عليه و سلم إذا أراد أن يتعوّط... انشقت الأرض فابتلعت غائطه و بوله، و فاحت لذلك رائحة طيبة.

و عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت للتبّي صَلَّى اللهُ عليه و سلم: إنك تأتي الخلاء فلا نري منك شيئا من الأذي؟! فقال لها: «يا عائشة؛ أو ما علمت أن الأرض تبتلع ما يخرج من الأنبياء، فلا يري منه شيء».

و قال قوم من أهل العلم بطهارة هذين الحديثين منه صَلَّى اللهُ عليه

وسلم، وشاهد هذا أنه صَلَّى الله عليه وسلم لم يكن منه شيء يكره، ولا غير طيب.

ومن هذا حديث علي رضي الله [تعالى] عنه: غَسَلَت النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَهَبَتْ أَنْظُرُ مَا يَكُونُ مِنَ الْمَيْتِ، فَلَمْ أَجِدْ شَيْئًا، فَقُلْتُ:

طَبْتُ حَيًّا وَمَيْتًا. وَسَطَعَتْ مِنْهُ رِيحٌ طَيِّبَةٌ لَمْ يَجِدُوا مِثْلَهَا قَطُّ.

ومثله قال أبو بكر حين قَبِلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد موته.

ومن شرب مالك بن سنان دمه يوم أحد، ومصّه إياه، وتسويغه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك له، وقوله: «لن تصيبه النار».

ومثله شرب عبد الله بن الزبير دم حجامته، وقال له عليه الصلّاة والسلام: «ويل لك من الناس، وويل لهم منك»، ولم ينكره.

وقد روي نحو من هذا عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في امرأة شربت بوله، فقال لها: «لن تشتكي وجع بطنك أبدا».

ولم يأمر واحدا منهم بغسل فم، ولا نهاه عن عوده) اه ملخصا.

وَأَمَّا رِيْقُهُ الشَّرِيفُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

فقد بصق في بئر دار أنس، فلم يكن في المدينة بئر أعذب منها.

وأتي بدلو من ماء فشرب من الدلو، ثم صبّ في البئر، ففاح منها مثل رائحة المسك. رواه أحمد وابن ماجه.

وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم عاشوراء يدعو برضعائه ورضعاء ابنته

فاطمة فيتفل في أفواههم؛ ويقول للأمهات: «لا ترضعنهنّ إلي الليل»، فكان ريقه يجزيهم. رواه البيهقي.

ودخلت عليه عميرة بنت مسعود هي وأخواتها يبايعنه-وهنّ خمس- فوجدنه يأكل قديدا، فمضغ لهنّ قديدا فمضغنّها، كلّ واحدة قطعة، فلقين الله و ما وجد لأفواههنّ خلوف. رواه الطبراني.

و(الخلوف): تغيّر رائحة فم الصائم.

ومسح صلي الله عليه و سلّم بيده الشريفة بعد أن نفث فيها من ريقه علي ظهر عتبة-و كان به شري-فما كان يشمّ أطيب منه رائحة. رواه الطبراني.

و أعطي الحسن لسانه؛ و كان قد اشتدّ ظمؤه، فمصّه حتّي روي.

و روي القاضي عياض في «الشفا» بسنده إلي عبد الله بن أبي الحمساء: (قال: بايعت النبيّ صلي الله عليه و سلّم ببيع قبل أن يبعث، و بقيت له بقيّة، فوعده أن آتبه بها في مكانه، فنسيت، ثمّ ذكرت بعد ثلاث، فجئت، فإذا هو في مكانه. فقال: «يا فتى؛ لقد شققت عليّ، أنا هنا منذ ثلاث أنتظرك».

و عن عائشة أمّ المؤمنين رضي الله تعالى عنها، قالت: كان أبغض الأشياء إلي رسول الله صلي الله عليه و سلّم الكذب.

و كان صلي الله عليه و سلّم إذا اطّلع علي أحد من أهل بيته كذب كذبة.. لم يزل معرضا عنه حتّي يحدث توبة.

وكان صَلَّى الله عليه وسلم إذا أتى باب قوم.. لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه، ولكن من ركنه الأيمن أو الأيسر، ويقول: «السَّلَامُ عليكم.. السَّلَامُ عليكم».

وكان صَلَّى الله عليه وسلم إذا أتاه الفيء (1).. قسمه في يومه، فأعطي الأهل حظين، وأعطى العزب حظًا.

وكان صَلَّى الله عليه وسلم إذا أتى بالسبي.. أعطي أهل البيت جميعًا؛ كراهية أن يفرق بينهم.

وكان صَلَّى الله عليه وسلم إذا أتاه رجل فرأى في وجهه بشرا.. أخذ بيده.

وكان صَلَّى الله عليه وسلم إذا سمع بالاسم القبيح.. حوَّله إلي ما هو أحسن منه.

وكان صَلَّى الله عليه وسلم يتفاءل ولا يتطير.. وكان يحب الاسم الحسن.

وكان صَلَّى الله عليه وسلم إذا وجد الرجل راقدًا علي وجهه ليس علي عجزه شيء.. ركضه برجله، وقال: «هي أبغض الرقدة إلي الله تعالى».

وكان صَلَّى الله عليه وسلم يأمر بالباه، وينهي عن التبتل نهيا شديدا؛ أي: يأمر بالتزوّج وينهي عن تركه. ل.

ص: 280

1- المراد به هنا: ما يشمل خراج الأرض، وما أخذ من الكفار بلا قتال.

وكان صَلَّى اللهُ عليه و سلم يأمر من أسلم أن يختن، وإن كان ابن ثمانين سنة.

وكان صَلَّى اللهُ عليه و سلم يضمّر الخيل (1).

وكان صَلَّى اللهُ عليه و سلم يكره الشكال من الخيل.

قال العزيميّ: فسره في بعض طرق الحديث عند مسلم: بأن يكون في رجله اليمني و في يده اليسري بياض، أو في يده اليمني و رجله اليسري.

و كرهه لكونه كالمشكول، لا يستطيع المشي. وقيل: يحتمل أن يكون جرب ذلك الجنس فلم يكن فيه نجابة.

وقال بعض العلماء: إذا كان مع ذلك أغرّ.. زالت الكراهة.

وكان صَلَّى اللهُ عليه و سلم إذا صعد المنبر.. سلم.

وكان صَلَّى اللهُ عليه و سلم إذا خطب.. قال: «أما بعد».

وكان صَلَّى اللهُ عليه و سلم إذا خطب.. يعتمد علي عنزة؛ أو عصا.

و(العنزة): العصا الصّغيرة.

وكان صَلَّى اللهُ عليه و سلم لا يعود مريضاً إلا بعد ثلاث.

وكان صَلَّى اللهُ عليه و سلم لا يضيف الخصم إلا و خصمه معه. ي.

ص: 281

1- هو أن يعلف الفرس حتي يسمن، ثم يرده إلي القلّة ليشد لحمه، وقيل: هو أن يقلل علف الفرس مدة و يدخل بيتا مغلقا و يجلل ليعرق و يجف عرقه فيجف لحمه، فيقوي علي الجري.

و كان صلّي الله عليه و سلّم يأمر بالهدية؛ صلة بين الناس.

و كان صلّي الله عليه و سلّم يأمر بقطع المراجيح (1).

و كان صلّي الله عليه و سلّم يحب هذه السورة: (سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى).

و كان صلّي الله عليه و سلّم يحثّ علي الصدقة، و ينهي عن المسألة.

و كان صلّي الله عليه و سلّم يسمر عند أبي بكر الليلة في الأمر من أمور المسلمين.

و كان صلّي الله عليه و سلّم يعجبه الرؤيا الحسنة.

و كان صلّي الله عليه و سلّم يقول: «اشتدي أزمة تنفرجي».

و كان صلّي الله عليه و سلّم يبيع و يشتري، و لكن كان شراؤه أكثر.

و اجر نفسه قبل التبوّة في رعاية الغنم، و لخديجة في سفر التجارة.

و استدان برهن، و بغير رهن، و استعار، و ضمن، و وقف أرضا كانت له.

و حلف في أكثر من ثمانين موضعا، و أمره الله تعالى بالحلف في ثلاثة مواضع، في قوله تعالى: قُلْ إِي وَ رَبِّي، و قوله تعالى: قُلْ بَلِي وَ رَبِّي، و قوله: قُلْ بَلِي وَ رَبِّي لَتُبْعَنَّ ك.

ص: 282

1- يعني: الأراجيح، و الترحح: التذبذب بين شيئين، و علي هذا فالأرجوحة: آلة معروفة يلهو بها العجم أيام النيروز تلهيها عن الغموم التي تراكت علي قلوبهم من رين الذنوب و كره لهم أن يتزيوا بزّي من اشتري الحياة الدنيا بالآخرة، فلا خلاق له هناك.

وكان صلّي الله عليه وسلّم يستثني في يمينه تارة، ويكفرها تارة، ويمضي فيها تارة أخرى.
ومدحه بعض الشعراء فأثاب عليه، ومنع الثواب في حق غيره، وأمر أن يحثي في وجه المدّاحين التراب.

وكان صلّي الله عليه وسلّم إذا حلف..قال:«والذي نفس محمّد بيده».

وكان صلّي الله عليه وسلّم أكثر أيمانه:«لا ومصرف القلوب».

وكان صلّي الله عليه وسلّم إذا اجتهد في اليمين..قال:«لا والذي نفس أبي القاسم بيده».

وكان صلّي الله عليه وسلّم يحلف:«لا ومقلب القلوب».

وكان صلّي الله عليه وسلّم إذا حلف علي يمين..لا يحنث؛ حتّى نزلت كفارة اليمين.

وكان صلّي الله عليه وسلّم إذا استرث الخبر؛ أي:استبطأ..تمثّل بيت طرفة:

..... ويأتيك بالأخبار من لم تزود (1)

وكان صلّي الله عليه وسلّم يتمثّل بهذا البيت:..

ص: 283

1- و صدر البيت: ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا

كفي بالإسلام والشَّيب للمرء ناهيا

وأصل هذا الشَّطر (1):

كفي الشَّيب والإسلام للمرء ناهيا

ولكنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَمَثَّلَ بِهِ عَلِيُّ الْوَجْهِ الْمَذْكُورِ.

قال تعالى: وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحِبُّ أَنْ يَسَافِرَ يَوْمَ الْخَمِيسِ.

وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ سَفْرًا..أَقْرَعَ بَيْنَ نِسَائِهِ، فَأَيَّتَهُنَّ خَرَجَ سَهْمَهَا خَرَجَ بِهَا مَعَهُ.

وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَخَلَّفُ فِي الْمَسِيرِ، فَيُزْجِي الضَّعِيفَ وَيُرْدِفُ، وَيَدْعُو لَهُمْ.

ومعني (يزجي الضَّعِيفَ): يسوقه سوقا رفيقا.

وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ..بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ، فَصَلَّى فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ يَثْنِي بِفَاطِمَةَ، ثُمَّ يَأْتِي أَزْوَاجَهُ.

وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَطْرُقُ أَهْلَهُ لَيْلًا (2).

وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحِبُّ أَنْ يَخْرُجَ إِذَا غَزَا يَوْمَ الْخَمِيسِ.

وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُوَدِّعَ الْجَيْشَ..قال:

«أَسْتَوْدِعُ اللهُ دِينَكُمْ، وَأَمَانَتَكُمْ، وَخَوَاتِيمَ أَعْمَالِكُمْ»..ة.

ص: 284

1- يعني: موزونا.

2- أي: لا يقدم عليهم من سفر ولا غيره في الليل علي غفلة.

وكان صلّي الله عليه وسلّم إذا بعث سرية أو جيشاً..بعثهم من أول النهار.

وكان صلّي الله عليه وسلّم إذا بعث أميراً قال:«أقصر الخطبة، وأقل الكلام، فإنّ من البيان لسحرا» (1).

وكان صلّي الله عليه وسلّم إذا أراد غزوة..ورّي بغيرها.

وكان صلّي الله عليه وسلّم يعجبه أن يلقي العدو عند الزوال (2).

وكان صلّي الله عليه وسلّم يكره رفع الصّوت عند القتال.

وكان صلّي الله عليه وسلّم إذا خرج يوم العيد في طريق..رجع في غيره.

وكان صلّي الله عليه وسلّم إذا نزل عليه الوحي..نكّس رأسه، ونكّس أصحابه رءوسهم، فإذا ألق عنه..رفع رأسه.

وكان صلّي الله عليه وسلّم إذا دخل رمضان..أطلق كلّ أسير، وأعطى كلّ سائل.

وكان صلّي الله عليه وسلّم إذا دخل [شهر] رمضان شدّ منزره، ثمّ لم يأت فراشه حتّي ينسلخ.

وكان صلّي الله عليه وسلّم إذا دخل رمضان..تغيّر لونه، وكثرت).

ص: 285

1- في نسخة: (فإنّ من الكلام سحرا).

2- في نسخة: (عند زوال الشمس).

صلاته، وابتهل في الدعاء، وأشفق لونه؛ أي: تعيّر و صار كلون الشفق.

و كان صلّي الله عليه و سلّم إذا دخل العشر الأخير من رمضان.. شدّ مئزره، وأحيا ليله، وأيقظ أهله.

و كان صلّي الله عليه و سلّم إذا كان مقيما.. اعتكف العشر الأواخر من رمضان، وإذا سافر.. اعتكف من العام المقبل عشرين.

و كان صلّي الله عليه و سلّم إذا كانت ليلة الجمعة.. قال: «هذه ليلة غزاء، و يوم أزهرا».

و كان صلّي الله عليه و سلّم إذا جاء الشتاء.. دخل البيت ليلة الجمعة، وإذا جاء الصيف.. خرج ليلة الجمعة.

قال العزيميّ: الظاهر أنّ المراد ما اعتاده الناس من دخولهم البيوت في الشتاء، والخروج منها في الصيف.

الفصل الثاني: في بعض أذكار و أدعية كان يقولها صَلَّى الله عليه و سَلَّم في أوقات مخصوصة

كان رسول الله صَلَّى الله عليه و سَلَّم إذا سأل الله تعالى.. جعل باطن كَفْيِهِ إليه، و إذا استعاذ.. جعل ظاهرهما إليه.

و كان صَلَّى الله عليه و سَلَّم إذا أصابته شدة فدعا.. رفع يديه حتَّى يري بياض إبطيه.

و كان صَلَّى الله عليه و سَلَّم إذا رفع يديه في الدعاء.. لم يحطهما حتَّى يمسح بهما وجهه.

و كان صَلَّى الله عليه و سَلَّم إذا ذكر أحدا فدعا له.. بدأ بنفسه.

و كان صَلَّى الله عليه و سَلَّم إذا دعا لرجل.. أصابته الدعوة، و ولده و ولد ولده.

و كان صَلَّى الله عليه و سَلَّم أكثر دعائه: «يا مقلب القلوب؛ ثبت قلبي علي دينك»، فقيل له في ذلك؟ قال: «إنه ليس آدمي إلا و قلبه بين إصبعين من أصابع الله؛ فمن شاء.. أقام، و من شاء.. أزاغ».

و كان صَلَّى الله عليه و سَلَّم أكثر دعوة يدعو بها: «ربنا؛ آتنا في الدنيا

حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار».

وكان صَلَّى الله عليه وسلم يتعوّذ من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء.

وكان صَلَّى الله عليه وسلم يتعوّذ من خمس: من الجبن، والبخل، وسوء العمر، وفتنة الصدر، وعذاب القبر.

وكان [صَلَّى الله عليه وسلم] يتعوّذ من الجانّ، وعين الإنسان.. حتّى نزلت المعوّدتان، فأخذ بهما وترك ما سواهما.

وكان صَلَّى الله عليه وسلم يتعوّذ من موت الفجاءة، وكان يعجبه أن يمرض قبل أن يموت.

وكان صَلَّى الله عليه وسلم إذا أصبح وإذا أمسى.. يدعو بهذه الدعوات: «اللهم؛ إنّي أسألك من فجاءة الخير، وأعوذ بك من فجاءة الشرّ؛ فإنّ العبد لا يدري ما يفجؤه إذا أصبح وإذا أمسى».

وكان صَلَّى الله عليه وسلم إذا أصبح وإذا أمسى.. قال: «أصبحنا على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص ودين نبيّنا محمّد صَلَّى الله عليه وسلم، وملة أبينا إبراهيم حنيفا مسلما وما كان من المشركين».

وكان صَلَّى الله عليه وسلم إذا أصابه غمّ أو كرب.. يقول: «حسبي الرّب من العباد، حسبي الخالق من المخلوقين، حسبي الرّازق من المرزوقين، حسبي الذي هو حسبي، حسبي الله ونعم الوكيل، حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو ربّ العرش العظيم».

وكان صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم إذا أهَمَّهُ الأمرُ..رفع رأسه إلى السَّماء وقال:«سبحان الله العظيم»، وإذا اجتهد في الدَّعاء..قال:«يا حيِّ يا قيِّوم».

وكان صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم إذا نزل به همٌّ أو غمٌّ..قال:«يا حيِّ يا قيِّوم؛ برحمتك أستغيث».

وكان صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم يدعو عند الكرب:«لا إله إلاَّ الله العظيم الحليم، لا إله إلاَّ الله ربَّ العرش العظيم، لا إله إلاَّ الله ربَّ السَّماوات السَّبع وربَّ الأرض وربَّ العرش الكريم».

وكان صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم إذا راعه شيءٌ..قال:«الله..الله ربِّي لا شريك له».

وكان صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم إذا أراد أمراً..قال:«اللَّهم؛ خر لي و اختر لي».

وكان صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم إذا نزل به أمرٌ..فوض الأمر فيه إلى الله عزَّ وجلَّ، وتبرأ من الحول والقوَّة، وسأله الهدى و اتَّباعه، وسأله البعد عن الضَّلالة.

وكان صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم إذا جاءه أمرٌ يسرُّ به..خرَّ ساجداً شكراً لله تعالى.

وكان صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم إذا خرج من بيته..قال:«باسم الله، التَّكْلان على الله، لا حول ولا قوَّة إلاَّ بالله»..رواه أبو هريرة رضي الله تعالى عنه.

وكان صَلَّى الله عليه وسلم إذا خرج من بيته.. قال: «باسم الله، توكلت على الله، اللهم؛ إنا نعوذ بك من أن نزل أو نضل، أو نظلم أو نظلم، أو نجهل أو يجهل علينا». روته أم سلمة رضي الله تعالى عنها.

وكان صَلَّى الله عليه وسلم إذا دخل المسجد.. قال: «أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وسلطانه القديم؛ من الشيطان الرجيم».

وقال: «إذا قال ذلك.. حفظ منه سائر اليوم».

وكان صَلَّى الله عليه وسلم إذا دخل المسجد.. يقول: «باسم الله، والسلام على رسول الله، اللهم؛ اغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب رحمتك».

وإذا خرج.. قال: «باسم الله، والسلام على رسول الله، اللهم؛ اغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب فضلك». روته فاطمة الزهراء رضي الله تعالى عنها.

وكان صَلَّى الله عليه وسلم إذا دخل المسجد.. قال: «باسم الله، اللهم؛ صلّ على محمد، وأزواج محمد». رواه أنس رضي الله تعالى عنه.

وكان صَلَّى الله عليه وسلم إذا دخل السوق.. قال: «باسم الله، اللهم؛ إني أسألك من خير هذه السوق وخير ما فيها، وأعوذ بك من شرّها وشرّ ما فيها، اللهم؛ إني أعوذ بك أن أصيب يمينًا فاجرة، أو صفقة خاسرة».

وكان صَلَّى الله عليه وسلم إذا دخل الخلاء.. قال: «اللهم؛ إني

أعوذ بك من الرجس النجس، الخبيث المخبث، الشيطان الرجيم».

وإذا خرج.. قال: «الحمد لله الذي أذاقني لذته، وأبقي في قوته، وأذهب عني أذاه».

وكان صَلَّى الله عليه وسلم إذا دخل الجبَّانة (1).. يقول: «السَّلام عليكم أيُّتها الأرواح الفانية، والأبدان البالية، والعظام التَّخرة التي خرجت من الدُّنيا وهي بالله مؤمنة، اللَّهُمَّ؛ أدخل عليهم روحاً منك وسلاماً منّا».

قوله: (الأرواح الفانية) أي: الفانية أجسادها.

و(الروح): السَّعة.

وكان صَلَّى الله عليه وسلم إذا مرَّ بالمقابر.. قال: «السَّلام عليكم أهل الدِّيَار من المؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، و الصَّالحين و الصَّالحات، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون».

وكان صَلَّى الله عليه وسلم إذا فرغ من دفن الميت.. وقف عليه فقال: «استغفروا لأخيكم، وسلوا له التَّثبيت؛ فإنه الآن يسأل».

وكان صَلَّى الله عليه وسلم إذا شيع جنازة.. علا كربه، وأقلَّ الكلام، وأكثر حديث نفسه.

وكان صَلَّى الله عليه وسلم ينهي النَّساء عن اتِّباع الجنائز.ه.

ص: 291

1- محل الدفن؛ سمي به لأنه يجبن ويفزع عند رؤيته.

وكان صلّي الله عليه وسلّم إذا عزّي.. قال: «يرحمه الله ويؤجركم».

وكان صلّي الله عليه وسلّم إذا هنأ.. قال: «بارك الله لكم، وبارك عليكم».

وكان صلّي الله عليه وسلّم إذا دخل علي مريض يعوده.. قال: «لا بأس، طهور إن شاء الله تعالى».

وكان صلّي الله عليه وسلّم إذا أتاه قوم بصدقتهم.. قال: «اللهم؛ صلّ علي ال فلان».

وكان صلّي الله عليه وسلّم إذا أراد سفرا.. قال: «اللهم؛ بك أصول، وبك أحول، وبك أسير».

وكان صلّي الله عليه وسلّم إذا غزا.. قال: «اللهم؛ أنت عضدي، وأنت نصيري، بك أحول، وبك أصول، وبك أقاتل».

وكان صلّي الله عليه وسلّم إذا قفل من غزو، أو حجّ، أو عمرة..

يكبر علي كلّ شرف من الأرض ثلاث تكبيرات، ثمّ يقول: «لا إله إلاّ الله واحده لا شريك له، له الملك وله الحمد؛ وهو علي كلّ شيء

قدير، آتبون (1)، تائبون، عابدون، ساجدون، لربّنا حامدون، صدق الله وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب واحده». ن.

ص: 292

1- أي: راجعون.

وكان صَلَّى الله عليه وسلم إذا دخل رجب.. قال: «اللَّهُمَّ؛ بارك لنا في رجب وشعبان، وبلغنا رمضان».

وكان صَلَّى الله عليه وسلم إذا سمع المؤذّن.. قال مثل ما يقول؛ حتّى إذا بلغ (حيّ علي الصلّاة.. حيّ علي الفلاح).. قال: «لا حول ولا قوّة إلاّ بالله».

وكان صَلَّى الله عليه وسلم إذا سمع المؤذّن يتشّهّد.. قال: «وأنا..

وأنا».

وكان صَلَّى الله عليه وسلم إذا سمع المؤذّن قال: (حيّ علي الفلاح).. قال: «اللَّهُمَّ؛ اجعلنا مفلحين».

وكان صَلَّى الله عليه وسلم إذا نظر إلي البيت.. قال: «اللَّهُمَّ؛ زد بيتك هذا تشريفا وتعظيما وتكريما وبرّا ومهابة».

وكان صَلَّى الله عليه وسلم إذا رأى ما يحبّ.. قال: «الحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصّالحات»، وإذا رأى ما يكره.. قال: «الحمد لله علي كلّ حال، ربّ أعوذ بك من حال أهل النّار».

وكان صَلَّى الله عليه وسلم إذا سمع صوت الرّعد والصّواعق.. قال:

«اللَّهُمَّ؛ لا تقتلنا بغضبك، ولا تهلكنا بعذابك، وعافنا قبل ذلك».

وكان صَلَّى الله عليه وسلم إذا سمع الرّعد.. قال: «سبحان الذي يسبّح الرّعد بحمده».

وكان صَلَّى الله عليه وسلم إذا رأى المطر.. قال: «اللَّهُمَّ؛ صبّيا نافعا».

ص: 293

وكان صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم إذا سال السَّيْلُ..قال:«أخرجوا بنا إلي هذا الوادي الذي جعله اللهُ طهوراً،فنتطهَّر منه،ونحمد اللهُ عليه».

وكان صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم إذا اشتدَّ الرِّيحُ الشَّمالُ(1)..قال:

«اللَّهُمَّ؛إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا أُرْسَلْتُ بِهَا»(2).

وكان صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم إذا اشتدت الرِّيحُ..قال:«اللَّهُمَّ؛اجعلها لقحاً لا عقيماً»؛أي:حاملاً للماء كاللَّقْحَةِ مِنَ الْإِبِلِ(3).

وكان صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم إذا عصفت الرِّيحُ..قال:«اللَّهُمَّ؛إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا وَخَيْرَ مَا فِيهَا؛وَخَيْرَ مَا أُرْسَلْتُ بِهِ،وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ مَا فِيهَا،وَشَرِّ مَا أُرْسَلْتُ بِهِ»..روته عائشة رضي اللهُ تعالى عنها.

وروي ابن عَبَّاسٍ رضي اللهُ تعالى عنهما:كان رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم إذا هاجت ريحٌ..استقبلها بوجهه،وجثا علي ركبتيه،ومدَّ يديه،وقال:«اللَّهُمَّ؛إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذِهِ الرِّيحِ وَخَيْرَ مَا أُرْسَلْتُ بِهِ،وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ مَا أُرْسَلْتُ بِهِ،اللَّهُمَّ؛اجعلها رحمةً،ولا تجعلها عذاباً،اللَّهُمَّ؛اجعلها رياحاً،ولا تجعلها ريحاً»(4).

وكان صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم إذا رأى الهلال..قال:«هلال خير».

ص: 294

1- الشَّمالُ:مقابل الجنوب.

2- فِي نَسْخَةِ:(فيها).

3- أَي:الناقة من الإبل القريبة العهد بالنتاج.

4- لَأَنَّ الرِّيحَ مَعْتَدِلَةٌ،وَتَأْتِي بِالْخَيْرِ،أَمَّا الرِّيحُ شَدِيدَةٌ،وَتَأْتِي بِالْعَذَابِ.

ورشد، آمنت بالذي خلقك» (ثلاثا). ثم يقول: «الحمد لله الذي ذهب بشهر كذا و جاء بشهر كذا».

وكان صَلَّى الله عليه و سلم إذا رأى الهلال.. قال: «اللهم؛ أهله علينا باليمن والإيمان و السلامة و الإسلام، ربّي و ربّك الله». وفي رواية: «بالأمن» بدل «اليمن».

وكان اخر كلامه صَلَّى الله عليه و سلم: «الصلاة... الصلاة، اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم».

وكان اخر ما تكلم به صَلَّى الله عليه و سلم أن قال: «قاتل الله اليهود و النصارى؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، لا يبقين دينان بأرض العرب».

وكان اخر ما تكلم به صَلَّى الله عليه و سلم: «جلال ربّي الرفيع، فقد بلغت»، ثم قضى.

الفصل الثالث: في ثلاث مائة و ثلاثة عشر حديثنا من جوامع كلمه صَلَّى الله عليه و سلم

اشارة

وهي علي عدد الرّسل الكرام، وأهل بدر شמוש الإسلام.

اخترتها من «الشفا» للقاضي عياض، و: «المواهب اللدنيّة» للعلامة القسطلاني، و: «الجامع الصغير» و: «الدّرر المنشرة في الأحاديث المشتهرة» كلاهما للحافظ السيوطي، و: «كنوز الحقائق» و: «طبقات الأولياء» كلاهما للعلامة المناوي.

و من المعلوم عند النَّاس كافّة، موافقين و مخالفين، مسلمين و غير مسلمين.. أن رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم أفصح النَّاس علي الإطلاق، و لم يخالف في ذلك أحد.

و هاكها مرتبة علي الحروف (1):

ص: 296

1- من أراد الوقوف علي تخريج الأحاديث فإنّما نحيله إلي كتاب «منتهي السؤل علي وسائل الوصول» للشيخ عبد الله بن سعيد اللّحجي رحمه الله تعالى، ويقع في أربعة مجلدات ضخام و هو من منشورات دارنا دار المنهاج. فإن فيه الغنية إن شاء الله تعالى.

حرف الهمزة

قال رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم:

- 1- «أوتيت جوامع الكلم».
- 2- «اتق الله فيما تعلم».
- 3- «اتق الله في عسرك و يسرك».
- 4- «اتقوا مواضع التّهم».
- 5- «أتمّم عقلا..أشدّكم لله خوفا».
- 6- «اجتنبوا الخمر؛ فإنّها مفتاح كلّ شرّ».
- 7- «الأجر علي قدر التّصب» (1).
- 8- «أجملوا في طلب الدّنيا؛ فإنّ كلاًّ ميّسر لما خلق له» (2).
- 9- «الإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه..فإنّه يراك».
- 10- «اختلاف أمّتي رحمة».
- 11- «اخزن لسانك إلاّ من خير».
- 12- «أخلص العمل..يجزك منه القليل».

ص: 297

-
- 1- يعني: علي قدر المشقّة.
 - 2- في نسخة: (فإنّ كلاًّ ميّسر لما كتب له منها).

13-«أدّ الأمانة إلي من ائتمنك، ولا تخن من خانك».

14-«أدبني ربّي فأحسن تأديبي».

15-«إذا أراد الله بعبد خيرا..فقّفه في الدّين، وزهّده في الدّنيا، و بصّره بعيوب نفسه» (1).

16-«إذا أسأت..فأحسن» (2).

17-«إذا لم تستح..فاصنع ما شئت» (3).

18-«إذا نزل القضاء..عمي البصر» (4).

19-«ارحموا ترحموا».

20-«ازهد في الدّنيا..يحبّبك الله، و ازهد فيما في أيدي النّاس..

يحبّبك النّاس».

21-«استعينوا علي الحاجات بالكتمان؛ فإنّ كلّ ذي نعمة محسود».

22-«استعينوا علي كلّ صنعة بأهلها».

23-«استفت قلبك و إن أفتاك النّاس و أفتوك».

24-«أسلم..تسلم».

ص: 298

1- في نسخة: (و بصّره عيوبه).

2- كما قال صلّي الله عليه و سلّم: «أتبع السيئة الحسنة تمحها».

3- الأمر للتهديد و التوبيخ.

4- أي: غطّي عنه نور العقل حتي لا يري بنوره المنافع فيطلبها، و لا المضارّ فيجتنبها.

- 25- «اسمح..يسمح لك».
- 26- «أصحابي كالتَّجوم (1)؛ فبأيِّهم اقتديتم اهتديتم».
- 27- «أعجل الأشياء عقوبة..البغي».
- 28- «أعدي عدوك..نفسك التي بين جنبيك».
- 29- «أعظم النَّاس خطايا..أكثرهم خوضاً في الباطل».
- 30- «أعظم النَّاس خطايا (2)..اللِّسان الكذوب».
- 31- «أعمى العمي..الصَّلالة بعد الهدى».
- 32- «اعمل بوجه (3) واحد..يكفك الوجه كلّها».
- 33- «أفضل الأعمال (4)..سرور تدخله علي مسلم».
- 34- «أفضل الأعمال..العلم بالله تعالى».
- 35- «أفضل الجهاد..أن تجاهد نفسك و هوأك».
- 36- «افتضحوا فاصطلحوا» (5).
- 37- «أفضل الدِّين..الورع».
- 38- «أفضل الصِّدقة..جهد المقلّ، و ابدأ بمن تعول».

ص: 299

-
- 1- أي: في الهداية؛ لأنّ كلا منهما يهتدي به.
- 2- في نسخة: (أعظم الخطايا).
- 3- في نسخة: (اعمل لوجه).
- 4- أي: بعد الفرائض.
- 5- من الأمثال السائرة التي في معناها: (تعالوا نقتبح ساعة و نصطلح).

39-«أفضل الناس.. أتقاهم لله، وأوصلهم للرحم».

40-«أفلح من رزق لبا».

41-«الاقتصاد في الثقة (1). نصف المعيشة، والتودد إلي الناس نصف العقل، وحسن السؤال نصف العلم».

42-«الله في عون العبد.. ما دام العبد في عون أخيه المسلم».

43-«أمت أمر الجاهلية إلا ما حسنه الإسلام».

44-«أمرنا أن نكلّم الناس علي قدر عقولهم».

45-«إنّ الله تعالي بعثني رحمة مهداة، بعثت برفع أقوام وخفض آخرين».

46-«إنّ الله تجاوز لأمتي عن التسيان، وما أكرهوا عليه».

47-«إنّ الله جعل الحقّ علي لسان عمر وقلبه».

48-«إنّ الله لا ينظر إلي أجسامكم ولا إلي صوركم، ولكن ينظر إلي قلوبكم».

49-«إنّ الله يحبّ معالي الأمور، ويكره سفاسفها».

50-«إنّ الله يحبّ الرفق في الأمر كلّ».

51-«إنّ الله ينزل الرزق علي قدر المئونة» (2). ه.

ص: 300

1- أي: التوسط في الإنفاق.

2- وهو من المشهور علي الألسنة؛ ومعناه: أنّ الله يعين الإنسان علي قدر ما يحتاج إليه من المئونة، بحسب حاله و ما يناسبه.

52- «إِنَّ أَخْسَرَ النَّاسِ صَفْقَةً.. مَنْ أَذْهَبَ آخِرَتَهُ بَدْنِيَا غَيْرِهِ».

53- «إِنَّ الدِّينَ يَسْرُ، وَلَنْ يَشَادَ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ».

54- «إِنَّ الصَّبْرَ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى» (1).

55- «إِنَّكَ لَنْ تَدَعَ لِلَّهِ شَيْئًا.. إِلَّا عَوَّضَكَ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهُ».

56- «إِنَّكُمْ لَنْ تَسْعُوا النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ.. فَسَعَوْهُمْ بِأَخْلَاقِكُمْ».

57- «إِنَّ لِمَا حَقَّ مَقَالًا».

58- «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ».

59- «إِنَّمَا الْبَيْعُ عَنِ التَّرَاضِ».

60- «إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَإِنَّمَا الْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ» (2).

61- «إِنَّمَا الْمَرْءُ بِخَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرِ الْمَرْءُ مَنْ يَخَالِلُ».

62- «إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لِسِحْرًا».

63- «أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ، وَعَلِيٌّ بَابُهَا».

64- «أَنْتَ وَمَالِكٌ لِأَيِّكَ».

65- «أَنْ تَفْعَلَ الْخَيْرَ خَيْرٌ لَكَ».

66- «أَنْزَلُوا النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ».. هـ.

ص: 301

1- أي: إنَّ الصَّبْرَ الكَامِلَ المَحْبُوبَ.. عِنْدَ زَمَنِ ابْتِدَاءِ المَصِيبَةِ وَشِدَّتِهَا، بِخِلَافِ زَمَنِ آخِرِهَا؛ فَإِنَّهُ وَإِنْ كَانَ فِيهِ ثَوَابٌ إِلَّا أَنَّهُ دُونَ الْأَوَّلِ؛ لِأَنَّ آخِرَ المَصِيبَةِ يَهْوَنُ الْأَمْرَ شَيْئًا فَشَيْئًا، فَيَحْصُلُ لَهُ التَّسْلِي.

2- أي: بِحَمْلِ النَّفْسِ عَلَيْهِ.

67-«انظري أين أنت منه، فإنّما هو جنتك و نارك»؛ يعني: الزوج.

68-«أنهاكم عن قيل، وقال، وكثرة السؤال».

69-«ألا لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق».

70-«الإسلام حسن الخلق».

71-«الإسلام يجبّ ما قبله، والهجرة تجبّ ما قبلها».

72-«الإسلام يعلو ولا يعلى».

73-«إيّاك و دعوة المظلوم».

74-«إيّاك و قرين السوء، فإنّك به تعرف».

75-«إيّاك و الخيانة، فإنّها بنّست البطانة» (1).

76-«إيّاك و ما يسوء الأذن» (2).

77-«إيّاكم و خضراء الدّمن؛ المرأة الحسناء في المنبت السوء».

78-«الإيمان نصفان؛ فنصف في الشّكر، و نصف في الصّبر».

حرف الباء

79-«البرّ حسن الخلق، و الإثم ما حاك في صدرك و كرهت أن يطلع عليه النَّاس».

ص: 302

1- أي: بئس الشيء الذي يستبطنه من أمره، و يجعله صفة لازمة له.

2- و هو نهى عن الغيبة.

80- «برّوا آباءكم.. تبرّكم أبنائكم، وعفّوا.. تعفّ نساؤكم».

81- «بعثت بمداراة النَّاسِ» (1).

82- «البلاء موكل بالمنطق» (2).

83- «البينة علي المدعي، واليمين علي من أنكر».

حرف التاء

84- «ترك الشّرّ صدقة».

85- «تعرف إلي الله في الرّخاء.. يعرفك في الشّدّة، واعلم أنّ ما أخطأك.. لم يكن ليصيبك، و ما أصابك.. لم يكن ليخطئك، واعلم أنّ التّصرّ مع الصّبر، وأنّ الفرج مع الكرب، وأنّ مع العسر يسرا».

86- «تعس عبد الزّوجة».

ص: 303

1- كلين الكلام، وخفض الجناح، وترك الإغلاظ عليهم، والقيام لمن يحصل له حقد إذا لم يقم له، وذلك من أسباب الألفة واجتماع الكلمة، وانتظام الأمر، ولهذا قيل: من لانت كلمته.. وجبت محبته، وحسنت أحوثته، وطمّت القلوب إلي لقائه، وتنافس في مودته. والمداراة غير المداهنة؛ فالمداراة بذل الدنيا لسلامة الدين، والمداهنة بذل الدين لسلامة الدنيا.

2- يعني: أنّ العبد في سلامة ما سكت، فإذا تكلم.. عرف ما عنده بمحنة النطق، فيتعرّض للخطر أو للظفر؛ ولذا قال صلّي الله عليه وسلّم لسيدنا معاذ رضي الله تعالي عنه: «أنت في سلامة ما سكت، فإذا تكلمت.. فلك أو عليك».

87- «تمسكوا بالعروة الوثقى؛ قول: (لا إله إلا الله)».

88- «تهادوا تحابوا».

حرف التاء

89- «ثلاث من كنّ فيه.. وجد حلاوة الإيمان (1): 1- أن يكون الله ورسوله أحبّ إليه ممّا سواهما، 2- وأن يحبّ المرء لا يحبه إلاّ لله، 3- وأن يكره أن يعود في الكفر- بعد إذ أنقذه الله منه- كما يكره أن يلقي في النار».

90- «ثلاث من كنّ فيه حاسبه الله حسابا يسيرا، وأدخله الجنة برحمته: 1- تعطي من حرمك، 2- وتعفو عمن ظلمك، 3- وتصل من قطعك».

91- «ثلاث منجيات: 1- خشية الله تعالى في السرّ والعلانية، 2- والعدل في الرضا والغضب، 3- والقصد (2) في الفقر والغني. وثلاث مهلكات: 1- هوى متبع، 2- وشحّ مطاع، 3- وإعجاب المرء بنفسه».

ص: 304

1- أي: التلذذ بالطاعة؛ وتحمل المشقة في سبيل رضا الله عزّ وجلّ ورسوله صلّي الله عليه وسلّم، وإيثار ذلك علي عرض الدنيا.

2- أي: التوسط في الإنفاق.

حرف الجيم

92- «الجار قبل الدار، والرقيق قبل الطريق».

93- «الجماعة رحمة، والفرقة عذاب» (1).

94- «جفّ القلم بما أنت لاق» (2).

95- «الجنة تحت أقدام الأمهات» (3).

96- «الجنة تحت ظلال السيوف» (4).

حرف الحاء

97- «حبّ الدنيا.. رأس كلّ خطيئة».

98- «الحبّ في الله و البغض في الله من أفضل الأعمال».

99- «حبّك الشيء يعمي ويصم».

100- «الحرب خدعة».

ص: 305

1- أي: لزوم جماعة المسلمين موصل إلي الرحمة أو سبب لها، والفرقة عن جماعة المسلمين؛ بأن لا ينصرهم ببدنه أو اعتقاده.. سبب للعذاب.

2- أي: نفذ المقدور بما كتب في اللوح المحفوظ، فبقي القلم الذي كتب به جافاً لا مداد فيه؛ ل فراغ ما كتب به.

3- يعني: أنّ برّ الأم سبب لدخول الجنة.

4- يعني: أنّ الجهاد سبب لدخول الجنة.

101-«الحسب..المال، والكرم..التقوي».

102-«حسبك بالصّحة و السّلامة داء قاتلا لابن آدم» (1).

103-«حفت الجنّة بالمكاره، وحفت النار بالشّهوات».

104-«الحكمة ضالّة المؤمن» (2).

105-«الحلال بين و الحرام بين».

حرف الخاء

106-«خذ الحكمة، ولا يضرك من أيّ وعاء خرجت».

107-«خصلتان لا يجتمعان إلاّ في مؤمن: السّخاء، و حسن الخلق».

108-«خصلتان لا يجتمعان في مؤمن: البخل، و سوء الخلق».

109-«الخلق كلّهم عيال الله، و أحبّهم إليّ الله أنفعهم لعياله».

110-«خير الأمور..أوساطها».

ص: 306

1- لأنّ ذلك يدعوه إليّ الغرور و ارتكاب الشرور، و يورثه البطر و العجب، و ينسيه الآخرة، و يحبب إليه الدنيا، و(حب الدنيا رأس كلّ خطيئة)، و إذا أحبّ الله عبدا..ابتلاه ليعلم تضرّعه. و هذا لا ينافي طلب العافية المأمور به في كثير من الأحاديث الشريفة؛ لأنّ المطلوب العافية السليمة العاقبة ممّا ذكر.

2- فإذا وجدها..فهو أحقّ بها.

111-«خير الرزق.. ما لا يطغيك ولا يلهيك».

112-«خير العمل.. أن تفارق الدنيا ولسانك رطب من ذكر الله».

113-«خيركم.. خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي».

114-«خيركم.. خيركم لأهلي من بعدي».

115-«خير الناس.. أنفعهم للناس».

حرف الدال

116-«الدالّ علي الخير.. كفاعله، والدالّ علي الشرّ..

كفاعله» (1).

117-«الدعاء.. مخّ العبادة».

118-«دع ما يريبك إلي ما لا يريبك، فإنّ الصّدق.. طمأنينة، وإنّ الكذب.. ريبة».

119-«الدنيا.. سجن المؤمن (2) وجنّة الكافر (3)».

120-«الدنيا.. عرض حاضر، يأكل منها البرّ و الفاجر، و الآخرة.. وعد صادق، يحكم فيها ملك عادل، يحقّ الحقّ و يبطل

ص: 307

1- يعني: في حصول الثواب أو العقاب.

2- بالنسبة لما أعدّ له في الآخرة من النعيم المقيم.

3- بالنسبة لما أمامه من عذاب الجحيم.

الباطل، فكونوا أبناء الآخرة، ولا تكونوا أبناء الدنيا، فإنّ كلّ أمّ يتبعها ولدها».

121- «الدنيا.. كلّها متاع (1)، وخير متاعها: المرأة الصّالحة».

122- «الدنيا.. مزرعة الآخرة».

123- «دوروا مع كتاب الله حيثما دار».

124- «الدّين.. التّصيحة».

125- «دين المرء.. عقله، ومن لا عقل له لا دين له» (2).

حرف الدّال

126- «ذكر الله.. شفاء القلوب».

127- «الدّنب لا ينسي، والبرّ لا يبلي (3)، والدّيّان لا يموت».

فكن كما شئت (4).

ص: 308

1- أي: شيء يتمتع به. أي: ينتفع به أمدا قليلا.

2- لأنّ العقل هو الكاشف عن مقادير العبوديّة، و محبوب الله و مكروهه، و هو الدليل علي الرّشد، و النّاهي عن الغي؛ فالعقل من عقل عن الله عزّ و جلّ أمره و نهيه فأطاعه بما أمر، و انزجر عمّا نهاه؛ فتلك علامة العقل.

3- يعني: أنّ الخير و الفضل لا يتقطع ثوابه و لا يضيع.

4- و في رواية: اعمل ما شئت كما تدين تدان.

128-«ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة» (1).

129-«ذو الوجهين (2) لا يكون عند الله وجيها».

حرف الزاء

130-«رأس الحكمة..مخافة الله».

131-«رأس الدين..الورع».

132-«رأس العقل بعد الإيمان بالله تعالى..التوّدّد إلي الناس».

133-«رحم الله عبدا قال خيرا..فغنم، أو سكت..فسلم».

134-«رضيت لأمتي ما رضي الله لها» (3).

135-«رياض الجنة..المساجد».

حرف الزاي

136-«زر غبّا (4)..تردد حبّا».

ص: 309

1- و ذلك لعظيم فضله.

2- هو الذي يأتي كلّ قوم بما يرضيهم، خيرا كان أو شرا.

3- في نسخة: (رضيت لأمتي ما رضي لها ابن أم عبد).

4- أي: وقتا بعد وقت، بغير دوام.

حرف السّين

137- «السّعيد..من وعظ بغيره».

138- «السّفْر..قطعة من العذاب».

139- «سيّد القوم..خادمهم».

140- «السّيوف..مفاتيح الجنّة».

حرف الشّين

141- «الشّاهد..يري ما لا يري الغائب».

حرف الصّاد

142- «الصّبْر..خير مركب».

143- «الصّبْر..مفتاح الفرج، والرّهد..غني الأبد».

144- «الصّلاة..عماد الدّين».

145- «الصّلاة..مفتاح كلّ خير، والتّيذ..مفتاح كلّ شرّ».

146- «صوموا..تصحّوا».

ص: 310

حرف الصاد

147- «ضالّة المؤمن.. العلم».

حرف الطاء

148- «طاعة المرأة.. ندامة».

149- «طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس».

150- «طوبى لمن طال عمره و حسن عمله».

حرف الظاء

151- «ظهر المؤمن.. حمي؛ إلا بحقّه» (1).

حرف العين

152- «العدة.. دين» (2).

ص: 311

1- أي: محميّ، معصوم من الإيذاء.

2- روي بلفظ: «العدة دين، ويل لمن وعد ثمّ أخلف، ويل ثمّ ويل له».

153-«العزلة..سلامة».

154-«العرق..دَسَّاس» (1).

155-«عفو المملوك..أبقي للملك».

156-«علي اليد ما أخذت حتّي تؤدّيه» (2).

157-«العين..حقّ» (3).

حرف الغين

168-«الغني..غني النَّفس، والفقر..فقر النَّفس».

حرف الفاء

159-«الفتنة..نائمة، لعن الله من أيقظها».

160-«فعل المعروف..يقي مصارع السّوء».

161-«في كلّ ذات كبد حرّي..أجر» (4).

ص: 312

1- أي: دخّال؛ لأنه ينزع في خفاء و لطف.

2- أي: علي صاحبها ضمان.

3- يعني: الضرر الحاصل عنها ثابت وجوديّ مقضيّ به في الوضع الإلهيّ، لا شبهة في تأثيره في النفوس و الأموال.

4- حرّي: من الحرّ، و المراد: حرارة الحياة، و في رواية: «كلّ كبد رطبة»-أي: حيّة-يعني: رطوبة الحياة. و المعني: إنّ في سقي كلّ ذي كبد حرّي أجرا عاما، مخصوص بحيوان محترم، و هو ما لم يؤمر بقتله.

حرف القاف

162- «القريب.. من قرّبه المودّة، وإن بعد نسبه».

163- «قل: آمنت بالله.. ثم استقم».

164- «قلّة العيال.. أحد اليسارين».

165- «قل الحقّ، وإن كان مرّا».

166- «قليل تؤدّي شكره.. خير من كثير لا تطيقه».

167- «القناعة.. كنز لا يفني».

168- «قيّد.. وتوكّل».

حرف الكاف

169- «كفي بالمرء إثما.. أن يضيّع من يقوت» (1).

170- «كفي بك إثما.. ألا تزال مخاصما».

171- «كفي بالدّهر واعظا، وبالموت مفرّقا».

172- «كلّ آت.. قريب».

ص: 313

1- أي: من يلزمه قوته و نفقته، ولا سيما الزوجة.

173- «كَلَّ الصَّيْدَ فِي جَوْفِ الْفَرَاءِ» (1).

174- «كَلَّكُمْ..رَاعٍ، وَكَلَّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ».

175- «كَلَّ الْمُسْلِمَ..عَلِي الْمُسْلِمَ حَرَامٌ؛ دَمُهُ، وَ مَالُهُ، وَ عَرْضُهُ».

176- «كَلَّ مَعْرُوفٌ..صَدَقَةٌ».

177- «كَلَّ مَوْذُؤٌ..فِي النَّارِ».

178- «كَلَّ..مَيْسَّرٌ لِمَا خَلَقَ لَهُ».

179- «كَلَّمُوا النَّاسَ..بِمَا يَعْرِفُونَ، وَ دَعَا مَا يَنْكُرُونَ».

180- «كَمَا تَدِينُ..تَدَانُ».

181- «كَمَا تَكُونُوا..يُؤَلِّي عَلَيْكُمْ».

182- «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ، وَ عَدَّ نَفْسَكَ مِنْ أَهْلِ الْقُبُورِ».

ص: 314

1- الفراء: حمار الوحش، وهذا في الأصل مثل عربي قديم، قاله أحد العرب لما تأخر صيده عن صيد رفقائه، ثم اصطاد حمار وحش فكان أكبر من صيد رفقائه، فكأنه يقول: إن الحمار الوحشي من أعظم ما يصاد و كل صيد دونه. و سبب قول النبي الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ هذا المثل ما ورد أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ أذن لقرشيٍّ و آخرَ أبا سفيان ابن الحارث بن عبد المطلب رضي الله عنه. ثم أذن له فقال: ما كدت أن تأذن لي حتي كدت أن تأذن لحجارة الجلهمتين قبلي، وبكي. فقال له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ: «و ما أنت و ذاك يا أبا سفيان؟! إنما أنت كما قال الأول: كَلَّ الصَّيْدَ فِي جَوْفِ الْفَرَاءِ».

183-«الكيس.. من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز..

من أتبع نفسه هواها، وتمني على الله الأمانى».

حرف الّام

184-«لدوا (1) للموت، و ابنوا للخراب (2)».

185-«لست من الباطل، ولا الباطل مني».

186-«ليس الخبر.. كالمعاينة» (3).

حرف الميم

187-«ماء زمزم.. لما شرب له».

188-«ما آمن بالقرآن.. من استحلّ محارمه».

189-«ما أعطي عبد شيئاً.. شراً من طلاقة في لسانه».

190-«ما تشاور قوم.. إلّا هدوا».

191-«ما جمع شيء إلي شيء.. أحسن من حلم إلي علم».

ص: 315

1- أي: توالدوا.

2- واللام هنا لام العاقبة، فهو تسمية للشيء باسم عاقبته، وتبّه بذلك علي أنه لا ينبغي للمرء أن يا بني من المساكن إلا ما تقتضيه الضرورة.

3- وفي رواية كالعيان، وكلاهما بمعنى المشاهدة.

192- «ما خاب.. من استخار، ولا ندم.. من استشار، ولا عال.. من اقتصد» (1).

193- «ما راه المسلمون حسنا.. فهو حسن عند الله».

194- «ما ضاق مجلس بمتحائين».

195- «ما قلّ وكفي.. خير ممّا كثر وألهي».

196- «ما كان الرّفق في شيء.. إلاّ زانه».

197- «ما كان الفحش في شيء.. إلاّ شانته».

198- «ما هلك امرؤ.. عرف قدره» (2).

199- «ما هو بمؤمن.. من لا يأمن جاره بوائقه».

200- «مت مسلما ولا تبال».

201- «المجالس.. بالأمانة» (3).

202- «محزّم الحلال.. كمحلّ الحرام» (4).

203- «المرء.. كثير بأخيه». م.

ص: 316

1- أي: ما افتقر من توسط في النفقة علي عياله.

2- يعني: أن من عرف مقدار نفسه ونزلها منزلتها.. نجى في الدنيا والآخرة من الهلاك، و من تعدي طوره فتكبر، ورفع نفسه فوق حدّه.. هلك.

3- أي: يجب حفظ ما يقع في المجالس من قول أو فعل؛ فلا يشيع أحد حديث جليسه.

4- يعني: في الإثم.

204-«مداراة النَّاسِ..صدقة» (1).

205-«المرء..مع من أحب».

206-«المستشار..مؤتمن».

207-«المسلم..أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه».

208-«المسلم..من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر..

من هجر ما حرّم الله».

209-«مع كلّ فرحة..ترحة» (2).

210-«مفتاح الجنّة..لا إله إلاّ الله».

211-«ملاك الدين..الورع».

212-«المكر والخديعة..في النَّار».

213-«من أبطأ به عمله..لم يسرع به نسبه».

214-«من اتقى الله..كلّ لسانه، ولم يشف غيظه».

215-«من اتقى الله..وقاه كلّ شيء».

216-«من أحبّ أن يعلم منزلته عند الله..فلينظر منزلة الله عنده».

217-«من أحبّ دنياه..أضرّ بآخرته، ومن أحبّ آخرته..أضرّ بدنياه؛ فأثروا ما يبقي علي ما يفني».

ص: 317

1- يعني: لين الجانب لهم، والتلطف في معاشرتهم.

2- أي: جرت عادة الله بأنّ كلّ سرور يعقبه حزن؛ لئلا تسكن نفوس العقلاء إلي نعيمها.

- 218- «من أحبَّ شيئاً.. أكثر من ذكره».
- 219- «من أحبَّ قوماً.. حشره الله في زمرة».
- 220- «من أحبَّ لقاء الله.. أحبَّ الله لقاءه».
- 221- «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه (1).. فهو رد».
- 222- «من أرضي الناس بسخط الله.. وكله الله إلي الناس».
- 223- «من أطاع الله.. فاز».
- 224- «من أعان ظالماً.. سلَّطه الله عليه».
- 225- «من بثَّ (2).. لم يصبر».
- 226- «من بورك له في شيء.. فليلزمه».
- 227- «من تأني.. أصاب أو كاد، و من عجل.. أخطأ أو كاد».
- 228- «من تشبَّه بقوم.. فهو منهم».
- 229- «من تعلَّق بشيء.. وكل إليه».
- 230- «من حسن إسلام المرء.. تركه ما لا يعنيه».
- 231- «من رتع حول الحمي.. يوشك أن يواقع».
- 232- «من رضي بقسمة الله.. استغني».
- 233- «من رضي عن الله.. رضي الله عنه».

ص: 318

-
- 1- في نسخة: (منه).
- 2- أي: من أذاع ونشر وشكا مصيبتة للناس.

234- «من سرّته حسنته و ساءته سيّئته.. فهو مؤمن».

235- «من صمت.. نجا» (1).

236- «من ضمن لي ما بين لحييه (2)، و ما بين رجله (3) ضمنت له علي الله الجنة».

237- «من عمل بما علم.. ورثه الله علم ما لم يعلم».

238- «من غشنا.. فليس منا».

239- «من فارق الجماعة شبرا.. فقد خلع ربقة الإسلام».

240- «من كثّر سواد قوم.. فهو منهم».

241- «من كنت مولا.. فعليّ مولا».

242- «من لا يرحم.. لا يرحم».

243- «من لم يكن ذنباً.. أكلته الذئاب» (4).

244- «من مزح.. استخفّ به».

245- «من نوقش الحساب.. عذب».

246- «منهومان لا يشبعان: طالب علم، و طالب دنيا».

ص: 319

1- أي: من سكت عن النطق بما لا ثواب فيه.. نجا من العقاب و العتاب يوم المآب.

2- المراد: اللسان، و ما يتأتى به النطق.

3- المراد: الفرج، و ترك صلّي الله عليه و سلّم التصريح به استهجانا و استحياء؛ لأنه صلّي الله عليه و سلّم أشدّ حياء من العذراء في خدرها.

4- الحديث مقيد بآخر الزمان، حيث يغلب الشر و يقل الخير و أهله، فعلي المؤمن حينئذ الحذر من أن يصيبه الضرر.

247-«المؤمن..مرآة المؤمن».

248-«المؤمن..من أمنه الناس علي أنفسهم وأموالهم».

249-«المؤمن..يسير المئونة».

250-«المؤمنون كرجل واحد».

251-«من كان اخر كلامه(لا إله إلا الله)..دخل الجنة».

حرف التّون

252-«النّاس بزمانهم..أشبه منهم بآبائهم» (1).

253-«النّاس..كأسنان المشط».

254-«النّاس..معادن في الخير و الشر».

255-«نحن..أهل بيت لا يقاس بنا أحد».

256-«نحن..بنو عبد المطّلب سادات أهل الجنة».

257-«الندم..توبة».

258-«النّساء..حبائل الشيطان» (2).

ص: 320

1- من قول سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال ملا علي القاري رحمه الله تعالى: الأظهر والأشهر أنه من قول سيدنا علي ابن أبي طالب رضي الله عنه.

2- أي: مصانده، والمراد: أنهم آلات للشيطان يتوصّل بهنّ إلي إغواء الفسقة، ولا سيما المتبرجات منهمّ.

259-«نعم الصّهر..القبر» (1).

260-«نّية المؤمن..خير من عمله».

حرف الهاء

261-«الهدية..تعور عين الحكيم» (2).

262-«هما..جنتك و نارك» يعني:والدين.

263-«الهمم..نصف الهرم» (3).

حرف الواو

264-«وجدت النَّاس..اخبر تقله»؛ يعني:جرب تكره.

265-«الواحدة..خير من جليس السّوء».

266-«الودّ و العداوة..يتوارثان».

267-«الورع..سيّد العمل».

ص: 321

1- لأنه ستر للعورة، وكفاية للمثونة.

2- أي: تصيره أعور لا يبصر إلا بعين الرّضا فقط، و تعمي عين السّخط، و لهذا كان دعاء السّلف رحمهم الله تعالى:اللّهم لا تجعل لفاجر عندي نعمة، يرعاه بها قلبي.

3- أي: لأنّ الهمم يورث الضعف و الأسقام.

268-«الولد..ثمرة القلب».

269-«الولد..مبخلة، مجبنة، محزنة» (1).

270-«الولد..للفراش (2)، و للعاهر..الحجر» (3).

271-«ويل للشاكّين في الله».

حرف الّأم ألف

272-«لا إله إلاّ الله..كنز من كنوز الجنة».

273-«لا إيمان..لمن لا أمانة له».

274-«لا تجتمع أمتي..علي ضلالة».

275-«لا تختلفوا..فتختلف قلوبكم» (4).

276-«لا تسبّوا الدنيا..فإنّها مطيّة المؤمن».

277-«لا تصحب..إلاّ مؤمنا، ولا يأكل طعامك..إلاّ تقّي».

278-«لا خير..في صحبة من لا يري لك مثل ما تري له».

279-«لا ضرر..ولا ضرار».

ص: 322

1- أي: يحمل والديه علي ذلك خشية عليه.

2- أي: لصاحب الفراش؛ زوجا كان أو سيّدا، ما لم ينفه بلعان.

3- أي: لا حظ للزاني من ذلك إلاّ الحدّ.

4- أي: لا يتقدم بعضكم علي بعض في الصّلاة؛ لأنّ تقدم البعض علي البعض مظنة للكبر المفسد للقلوب.

280- «لا طاعة لمخلوق..في معصية الخالق».

281- «لا عقل كال்தببير، ولا ورع كالكتف، ولا حسب..كحسن الخلق».

282- «لا فقر..أشد من الجهل، ولا مال..أعز من العقل، ولا وحشة..أشد من العجب».

283- «لا يجني علي المرء..إلا يده» (1).

284- «لا يحل لمسلم..أن يروع مسلما».

285- «لا يزال الرجال بخير..ما لم يطيعوا النساء».

286- «لا يشكر الله..من لا يشكر الناس».

287- «لا يغني حذر..من قدر».

288- «لا يلدغ المؤمن..من جحر مرتين».

289- «لا يكون الرجل من المتقين..حتي يدع ما لا بأس فيه، حذرا ممّا به بأس».

290- «لا يؤمن أحدكم..حتي يحب لأخيه ما يحب لنفسه».

291- «لا يؤمن أحدكم..حتي يكون هواه تبعاً لما جئت به».

292- «لا يؤمن عبد..حتي يكون قلبه ولسانه سواء».ا.

ص: 323

1- لأنه يذنب، فيعاقب من الله تعالى. فكأنه المعاقب لنفسه؛ لتسببه في إيصال العقاب لها.

293- «يا ابن آدم؛ ارض من الدنيا.. بالقوت؛ فإنّ القوت لمن يموت كثير».

294- «يا أبا بكر؛ ما ظنّك باثنين الله ثالثهما». قاله له في الغار.

295- «يا أبا ذرّ؛ جدّد السفينة، فإنّ البحر عميق» (1).

296- «يا أنس؛ أطب كسبك.. تستجب دعوتك».

297- «يا حرملة؛ اتّ المعروف و اجتنب المنكر».

298- «يا حبّذا كلّ ناطق عالم، وكلّ مستمع واع».

299- «يا حذيفة؛ عليك بكتاب الله».

300- «يا عبادة؛ اسمع و أطع في عسرك و يسرك».

301- «يا عقبة؛ صل من قطعك، و أعط من حرمك».

302- «يا عليّ؛ لا ترج إلّا ربّك، و لا تخف إلّا ذنبك».

303- «يا عمرو؛ نعمّا بالمال الصّالح للرجل الصّالح».

304- «يا عمّ رسول الله؛ أكثر من الدّعاء بالعافية»، قاله للعبّاس.

ص: 324

1- شبّه الأعمال الصّالحة بالسفينة، و شبّه يوم القيامة بالبحر العميق؛ لما فيه من أهوال، بحيث لا ينجيه منه إلّا السفينة السليمة المتينة، أمّا غيرها.. فيخشي عليه الهلاك، و هذا من أبدع الكلام و أحسن الاستعارة.

305- «يا فاطمة؛ كوني له أمة.. يكن لك عبدا» (1).

306- «يبصر أحدكم القذي في عين أخيه.. وينسي الجذع في عينه» (2).

307- «يسرّوا ولا تعسّروا، وبشّروا ولا تنفّروا».

308- «اليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع» (3).

309- «اليوم.. الرّهان، وغدا.. السّباق، والغاية.. الجنّة، والهالك.. من دخل النّار».

310- «يا أيّها النّاس؛ ألا تستحيون؟! تجمعون ما لا تأكلون، و تبنون ما لا تسكنون».

311- «يا أيّها النّاس؛ أفشوا السّلام، وأطعموا الطّعام، وصلّوا الأرحام، وصلّوا و النّاس نيام.. تدخلوا الجنّة بسلام».

312- «يا معاذ»، قال: لبيك يا رسول الله و سعديك. قال: ه.

ص: 325

1- أي: كوني لزوجك مطيعة؛ كطاعة الأمة لسيدّها.. يكن لك موافقا منقادا كانقياد العبد لسيدّه.

2- القذاة: ما يقع في العين و الماء و الشراب من نحو تراب و تبن و وسخ، و هذا مثل ضرب لمن يري الصغير من عيوب الناس و يعيرهم به، و فيه من العيوب ما نسبته إليه كنسبة الجذع إلي القذاة، و ذلك من أقبح القبائح، فرحم الله من حفظ قلبه و لسانه و لزم شأنه، و كفّ عن عرض أخيه، و أعرض عما لا يعنيه.

3- البلاقع- جمع بلقع- و هي: الأرض القفراء التي لا شيء فيها، و المراد: أن الحالف كاذبا يفتقر، و يذهب ما في بيته من الرزق، و قيل: هو أن يفرق الله شمله، و يغير عليه ما أولاه من نعمه.

«يا معاذ»، قال: لبيك يا رسول الله وسعديك، قال: «يا معاذ»، قال: لبيك يا رسول الله وسعديك، (ثلاثا)، قال: «ما من عبد يشهد ألا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله صدقا من قلبه.. إلا حرمه الله علي الدار». قال: يا رسول الله؛ أفلا أخبر بها الناس فيستبشروا؟ قال: «إذا يتكلموا». فأخبر بها معاذ-عند موته- تأثما.

رواه الشيخان: البخاري و مسلم.

قوله: (تأثما) أي: خوفا من الإثم في كتم هذا العلم.

ص: 326

الباب الثامن: في طَبِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَفَاتِهِ، وَرُؤْيَيْهِ فِي الْمَنَامِ

إشارة

وفيه ثلاثة فصول

ص: 327

كان رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم إذا اشتكى..نفث علي نفسه بالمعوذات، و مسح عنه بيده.

قوله:(المعوذات)يعني:المعوذتين، و الإخلاص (1).

و كان صَلَّى الله عليه و سلم إذا اشتكى..رقاه جبريل؛قال:باسم الله يبريك، من كلّ داء يشفيك، و من شرّ حاسد إذا حسد، و شرّ كلّ ذي عين.

و كان صَلَّى الله عليه و سلم إذا اشتكى..اقتمّح كفاً من شونيز، و شرب عليه ماء و عسلاً.

و معني(اقتمّح)أي:استنّف.و(الشونيز):الحبّة السوداء.

و كان صَلَّى الله عليه و سلم يشرب العسل بالماء علي الرّيق.

و كان صَلَّى الله عليه و سلم إذا أصابه رمد، أو أحدا من أصحابه..

دعا بهؤلاء الكلمات:«اللهمّ؛ متّعني ببصري، و اجعله الوارث منّي،

ص: 329

وأرني في العدو ثأري، وانصرتني علي من ظلمني».

قال في «لسان العرب»: (وفي الحديث في دعاء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «اللَّهُمَّ؛ أمتعني (1) بسمعي و بصري، واجعلهما الوارث مني»).

قال ابن شميل: أي أبقهما معي صحيحين سليمين حتى أموت.

وقيل: أراد بقاءهما وقوتهما عند الكبر و انحلال القوى النفسانية، فيكون السمع و البصر وارثي سائر القوى، و الباقيين بعدها.

ثم قال: وفي رواية: «(و اجعله الوارث مني)»، فردّ الهاء إلي الإمتاع، فلذلك وحده) اه

و كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا حمّ.. دعا بقربة من ماء، فأفرغها علي قرنه، فاغتسل. و(القرن): الرأس.

و كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يصيبه قرحة (2) ولا شوكة.. إلّا وضع عليها الحنّاء.

وفي «الصّحاحين»: عن أبي حازم: أنه سمع سهل بن سعد يسأل عمّا دووي به جرح رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم أحد؟ فقال: جرح وجهه، و كسرت رباعيته، و هشّمت البيضة (3) علي رأسه، و كانت فاطمة بنت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تغسل الدّم، و كان عليّ ابن أبي طالبه.

ص: 330

1- وفي رواية: متّعني.

2- خراج في البدن.

3- أي: الخوذة.

رضي الله تعالى عنه يسكب عليها بالمجنّ (1)، فلَمَّا رأت فاطمة الدّم لا يزيد إلاّ كثرة..أخذت قطعة [من] حَصِير فأحرقتها، حتّى إذا صارت رمادا ألصقتها بالجرح، فاستمسك الدّم.

و كان رسول الله صلّي الله عليه و سلّم يحتجم علي هامته، و بين كتفيه، و يقول: «من أهرق (2) من هذه الدّماء.. فلا يضرّه أن لا يتداوي بشيء لشيء».

و كان صلّي الله عليه و سلّم يحتجم في رأسه، و يسمّيها (3): أمّ مغيث.

و كان صلّي الله عليه و سلّم يحتجم في الأخدعين و الكاهل (4)، و كان يحتجم لسبع عشرة، و تسع عشرة، و إحدى و عشرين.

و(الأخدعان): عرقان في جانبي العنق.

و كان صلّي الله عليه و سلّم يكتحل كلّ ليلة، و يحتجم كلّ شهر، و يشرب الدّواء كلّ سنة.

و في «الصّحّاحين»: عن ابن عبّاس رضي الله تعالى عنهما: أنّ النّبّي صلّي الله عليه و سلّم احتجم و أعطى الحجّام أجره. ن.

ص: 331

1- المجنّ: الترس.

2- أي: أراق.

3- أي: الحجّامة.

4- الكاهل: هو مقدّم أعلي الظهر مما يلي العنق، و هو الثلث الأعلى، و فيه ست فقرات، و قيل: ما بين الكتفين.

وفي «الصَّحِيحِينَ» أيضاً: عن أنس رضي الله تعالى عنه: أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَجَمَهُ أَبُو طَيْبَةَ؛ فَأَمَرَ لَهُ بِصَاعِينَ مِنْ طَعَامٍ، وَكَلَّمَ مَوَالِيَهُ، فَحَقَّقُوا عَنْهُ مِنْ ضَرِيْبَتِهِ (1)، وَقَالَ: «خَيْرٌ مَا تَدَاوَيْتُمْ بِهِ.. الْحَجَامَةُ».

وَرَوَى ابْنُ مَاجَةَ فِي «سُنَنِهِ»: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا صَدَّعَ.. غَلَّفَ رَأْسَهُ بِالْحَنَاءِ، وَيَقُولُ: «إِنَّهُ نَافِعٌ يَا ذَنُ اللهِ تَعَالَى مِنَ الصَّدَاعِ».

وَذَكَرَ أَبُو دَاوُدَ فِي «سُنَنِهِ»: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَعَطَّ (2).

استطراد:

قد خطر لي أن أذكر هنا جملة أحاديث من طَبِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي وَصَفَهُ لغيره؛ لِتَمَّ بِذَلِكَ الْفَائِدَةَ. وَجَلَّهَا مِنْ «الْهَدْيِ النَّبَوِيِّ» لِلْعَلَّامَةِ ابْنِ الْقَيْمِ:

رَوَى مُسْلِمٌ فِي «صَحِيْحِهِ»: عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «لِكُلِّ دَاءٍ.. دَوَاءٌ، فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ.. بَرَأَ يَا ذَنُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ».

ص: 332

1- وَهِيَ: الْخِرَاجُ الْمَضْرُوبُ عَلَيْهِ.

2- أَي: اسْتَعْمَلَ السَّعُوطَ؛ بِأَنَّهُ اسْتَلْقَى عَلِيَّ ظَهْرَهُ وَقَطَرَ فِي أَنْفِهِ مَا تَدَاوَى بِهِ لِيَصِلَ إِلَى دِمَاغِهِ، لِيَخْرُجَ مَا فِيهِ مِنَ الدَّاءِ بِالْعَطَاسِ.

وفي «الصحيحين»: عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم: «ما أنزل الله من داء.. إلا أنزل له شفاء».

وفي «مسند الإمام أحمد»: عن أسامة بن شريك رضي الله تعالى عنه قال: كنت عند النبي صَلَّى الله عليه و سلم و جاءت الأعراب، فقالوا: يا رسول الله؛ أتداوي؟ قال: «نعم؛ يا عباد الله، تداووا، فإن الله عزّ و جلّ لم يضع داء.. إلاّ وضع له شفاء، غير داء واحد»، قالوا: و ما هو؟ قال: «الهرم».

وفي لفظ: «إنّ الله تعالى لم ينزل داء.. إلاّ أنزل له شفاء؛ علمه من علمه، و جهله من جهله».

وفي «المسند» و«السنن»: عن أبي خزيمة قال: قلت:

يا رسول الله؛ أ رأيت رقي نسترقبها، و دواء نتداوي به، و تقاة نتقيها..

هل تردّ من قدر الله شيئاً؟ قال: «هي من قدر الله».

و ذكر البخاريّ في «صحيحه»: عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: إنّ الله تعالى لم يجعل شفاءكم فيما حرّم عليكم.

وفي «السنن»: عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: نهى رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم عن الدّواء الخبيث.

وفي «صحيح مسلم»: عن طارق بن سويد الجعفيّ رضي الله تعالى عنه: أنّه سأل رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم عن الخمر؟ فنهاه، أو كره

أن يصنعها، فقال: إنما أصنعها للدواء، فقال: «إنّ ذلك ليس بدواء؛ ولكنّه داء».

وفي «السنن»: «أنه صلّي الله عليه وسلّم سئل عن الخمر تجعل في الدّواء؟ فقال: «إنّها داء، وليست بالدّواء».

ويذكر عنه صلّي الله عليه وسلّم أنّه قال: «من تداوى بالخمر.. فلا شفاه الله تعالى».

وروي البخاريّ: عن عائشة رضي الله تعالى عنها: أنّه كان رسول الله صلّي الله عليه وسلّم إذا أتى مريضاً، أو أتى به.. قال: «أذهب الباس ربّ الناس، اشف و أنت الشافي، لا شفاء إلاّ شفاؤك، شفاء لا يغادر سقماً».

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها أيضاً قالت: كان رسول الله صلّي الله عليه وسلّم إذا أخذ أهله الوعك.. أمر بالحساء فصنع، ثمّ أمرهم فحسوا. وكان يقول: «إنّه ليرتو فؤاد الحزين، ويسرو عن فؤاد السّقيم، كما تسرو إحداكّنّ الوسخ بالماء عن وجهها».

وقوله: (الوعك): هو الحمّي، أو ألمها.

و(الحساء)-بالفتح والمدّ-: طبيخ يتّخذ من دقيق و ماء و دهن.

و(يرتو): يشدّ ويقوّي.

و(يسرو): يكشف الألم و يزيله.

وفي «السنن»: «عنها [رضي الله تعالى عنها] أيضاً: «عليكم بالبغيض

التَّافِعُ: التَّلْبِينُ». قالت: وكان رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم إذا اشتكى أحد من أهله.. لم تزل البرمة علي النَّارِ حتَّى ينتهي أحد طرفيه- يعني: يبرأ- أو يموت.

وعنها [رضي الله تعالي عنها] أيضا: كان رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم إذا قيل له: إن فلانا وجع.. لا- يطعم الطَّعام، قال: «عليكم بالتَّلبينة، فأحسوه إياها»، ويقول: «و الذي نفسي بيده؛ إنَّها تغسل بطن أحدكم كما تغسل إحدَاكنَّ وجهها من الوسخ».

و(التَّلْبِينُ و التَّلْبِينَةُ): الحساء الرقيق الذي هو في قوام اللَّبن.

قال الهروي: سميت تلبينة؛ لشبهها باللبن لبياضها و رقتها، وهذا هو الغذاء النَّافع للعليل، وهو الرقيق النَّضيج، لا الغليظ النَّبيء، وإذا شئت أن تعرف فضل التَّلبينة.. فاعرف فضل ماء الشَّعير، فإنَّها حساء يتَّخذ من دقيق الشَّعير.

وفي «الصَّحيحين»: عن عائشة رضي الله تعالي عنها قالت:

سمعت رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم يقول: «التَّلبينة: مجمة (1) لفؤاد المريض؛ تذهب ببعض الحزن».

وروي الترمذي و ابن ماجه: عن عقبه بن عامر الجهني رضي الله تعالي عنه قال: قال رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم: «لا تكثرهوا مرضاكم علي الطَّعام و الشَّراب؛ فإنَّ الله عزَّ و جلَّ يطعمهم و يسقيهم». ة.

ص: 335

1- مجمة أو مجمة لفؤاد المريض؛ أي: مريحة.

وكان رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم إذا مرض أحد من أهل بيته..

نفت عليه بالمعوذات.

وفي «الصّدحيين»: عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: أن النبي صَلَّى الله عليه و سلم قال: «إن الحمّي -أو شدة الحمّي- من فيح جهنّم، فأبردوها بالماء».

وقد ذكر أبو نعيم وغيره: من حديث أنس رضي الله تعالى عنه، يرفعه إلى النبي صَلَّى الله عليه و سلم: «إذا حمّ أحدكم، فليرش عليه الماء البارد ثلاث ليال من السحر».

وفي «السنن» لابن ماجه: عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، يرفعه إلى النبي صَلَّى الله عليه و سلم: «الحمّي كير (1) من كير جهنّم، فنحوها عنكم بالماء البارد».

وفي «المسند» وغيره: عن سمرة رضي الله تعالى عنه، يرفعه إلى النبي صَلَّى الله عليه و سلم: «الحمّي قطعة من التّار، فأبردوها عنكم بالماء البارد».

وفي «السنن»: من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال:

ذكرت الحمّي عند رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم، فسبّها رجل، فقال رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم: «لا تسبّها؛ فإنّها تنفي الذّنوب، كما تنفي التّار خبث الحديد». ا.

ص: 336

1- الكير: جهاز من جلد أو نحوه يستخدمه الحداد وغيره للنفخ في النار لإذكائها.

وروي الترمذي في «جامعه»: من حديث ثوبان رضي الله تعالى عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا أصاب أحدكم الحمى؛ فإن الحمى قطعة من النار، فليطفئها عنه بالماء، فليستقبل (1) نهرا جاريا ليستقبل جرية الماء، فيقول: (باسم الله، اللهم؛ اشف عبدك، وصدق رسولك) بعد صلاة الصبح قبل طلوع الشمس، فليغتسل فيه ثلاث غمسات ثلاثة أيام، فإن لم يبرأ في ثلاث.. فخمس، فإن لم يبرأ في خمس.. فسبع، فإن لم يبرأ في سبع.. فتسع؛ فإنها لا تكاد تجاوز تسعا ياذن الله تعالى».

وفي «الصحيحين»: عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه:

أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إن أخي يشتكي بطنه - وفي رواية: استطلق بطنه - فقال: «اسقه عسلا»، فذهب، ثم رجع، فقال: قد سقيته عسلا؛ فلم يغن عنه شيئا؟ وفي لفظ: فلم يزد إلا استطلاقا (مرتين أو ثلاثا) - كل ذلك يقول له: «اسقه عسلا»، فقال له في الثالثة أو الرابعة: «صدق الله، وكذب بطن أخيك»، ثم سقاه، فبرأ ياذن الله تعالى.

وفي «سنن ابن ماجه»: عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعا:

«من لعق العسل ثلاث غدوات كل شهر.. لم يصبه عظيم من البلاء».

وفي أثر آخر: «عليكم بالشفاءين: العسل، والقرآن».

ص: 337

1- في نسخة: (فليستتقع).

و عن أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله صَلَّى الله عليه و سلّم: «الطّاعون رجز أرسل علي طائفة من بني إسرائيل، و علي من كان قبلكم، فإذا سمعتم به بأرض.. فلا تدخلوا عليه، و إذا وقع بأرض و أنتم بها.. فلا تخرجوا منها فرارا منه».

و روي هذا الحديث عن عبد الرّحمن بن عوف أيضا رضي الله تعالى عنه.

و في «سنن أبي داود» مرفوعا: «إنّ من القرف التّلف».

قال ابن قتيبة: (القرف) مداناة الوباء، و مداناة المرضي.

و في «صحيح البخاريّ»: عن ابن عبّاس رضي الله تعالى عنهما:

عن النّبّي صَلَّى الله عليه و سلّم قال: «السّفاء في ثلاث: شربة عسل، و شرطة محجم، و كية نار. و أنهي أمّتي عن الكي».

و في «سنن ابن ماجه»: عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صَلَّى الله عليه و سلّم: «ما مررت ليلة أسري بي بملا.. إلاّ قالوا: يا محمّد؛ مر أمّتك بالحجامة». و رواه التّرمذيّ: عن ابن عبّاس بلفظ: «عليك بالحجامة يا محمّد».

و قد روي عن النّبّي صَلَّى الله عليه و سلّم أنّه قال: «خير ما تداويتم به.. الحجامة و الفصد».

و في حديث: «خير الدّواء.. الحجامة و الفصد».

و روي التّرمذيّ في «جامعه»: عن ابن عبّاس رضي الله تعالى عنهما

يرفعه: «إن خير ما تحتجمون فيه يوم سابع عشرة، أو تاسع عشرة، و يوم إحدى وعشرين».

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعا: «من احتجم يوم الأربعاء، أو يوم السبت؛ فأصابه بياض، أو برص.. فلا يلومنَّ إلا نفسه».

وروي الدار قطني من حديث نافع [رحمه الله تعالى] قال: قال لي عبد الله بن عمر: تبيغ بي الدم (1)، فأبغني حجاما، ولا يكن صبيا، ولا شيخا كبيرا، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

«الحجامة.. تزيد الحافظ حفظا، والعاقل عقلا، فاحتجموا علي اسم الله، ولا تحتجموا يوم الخميس، والجمعة، والسبت، والأحد.

و احتجموا يوم الاثنين، وما كان من جذام ولا برص إلا نزل يوم الأربعاء».

وقد روي أبو داود في «سننه»: من حديث أبي بكر رضي الله تعالى عنه: أنه كان يكره الحجامة يوم الثلاثاء. وقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يوم الثلاثاء.. يوم الدم، وفيه ساعة لا يرقأ».

وروي الترمذي في «جامعه» وابن ماجه في «سننه»: عن أسماء بنت عميس رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بما ذا كنت تستمشين؟»، قالت: بالشبرم، قال: «حاز..ن».

ص: 339

1- أي: هاج بي الدم وغلب، وذلك حين تظهر حمرة في البدن.

حاز»، ثم قالت: استمشيت بالسنا. فقال: «لو كان شيء يشفي من الموت.. كان السني».

و(الشبرم): قشر عرق شجرة.

وفي «سنن ابن ماجه»: عن عبد الله بن أم حرام [رضي الله تعالى عنه]- وكان ممن صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم القبلتين- قال:

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «عليكم بالسنا والسنتوت، فإن فيهما شفاء من كلّ داء، إلا السام»، قيل: يا رسول الله؛ وما السام؟ قال: «الموت».

و(السني): نبت حجازي، أفضله المكّي.

و اختلف في معني (السنتوت) علي أقوال (1)، وأقربها إلي الصواب:

أنه العسل الذي يكون في زقاق السمن.

وروي الترمذي: عن زيد بن أرقم رضي الله تعالى عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تداووا من ذات الجنب بالقسط البحريّ والزيت».

و(ذات الجنب): ورم حاز يحدث في الغشاء المستبطن للأضلاع، وألم يشبهه يعرض في نواحي الجنب. ر.

ص: 340

1- قيل: إنه الزبد، وقيل: الجبن، وقيل: الطلاء الخاثر مع الزنجبيل، وقيل: عصارة التمر المطبوخ و ما يطبخ في التمر والعنب، وقيل: حب يشبه الكمون، وقيل: الكمون الكرمانى، وقيل الرازيانج، وهو الشمار أو الشمر.

و(القسط البحريّ) هو: العود الهنديّ (1).

وفي «الصّحاحين»: أنّ النبيّ صلّي الله عليه وسلّم قال: «خير ما تداويتم به: الحجامة، والقسط البحريّ، ولا تعدّوا صبيانكم بالغمز من العذرة» (2).

وفي «السنن والمسند» عن جابر بن عبد الله [رضي الله تعالى عنهما] قال: دخل رسول الله صلّي الله عليه وسلّم علي عائشة رضي الله تعالى عنها- وعندها صبيّ يسيل منخراه دما- فقال: «ما هذا؟»، قالوا: به العذرة، أو: وجع في رأسه، فقال: «ويلكنّ؛ لا تقتلن أولادكنّ، أيما امرأة أصاب ولدها عذرة، أو وجع في رأسه. فلتأخذ قسطا هنديّا، فتحكّه بماء، ثمّ تسعّطه إيّاه»، فأمرت عائشة رضي الله تعالى عنها فصنع ذلك للصّبيّ فبرأ.

و(العذرة): تهيج في الحلق من الدّم.

وقيل: قرحة تخرج فيما بين الأذن والحلق، وتعرض للصّبيان غالبا.

و(القسط البحريّ): هو العود الهنديّ، وهو الأبيض منه، وفيه منافع عديدة، وكانوا يعالجون أولادهم بغمز اللّهاة (3)، وبالعلق؛ وهو ق.

ص: 341

1- وهو العود الذي يتبخّر به، ويجلب من الهند.

2- العذرة: وجع في الحلق يصيب اللوزتين بالالتهاب. والغمز: أن يدخل نحو الأصبع في حلق المريض ويضغط محل الوجع، فينفجر منه دم أسود.

3- اللّحمة التي في أقصى الحلق.

شيء يعلّقونه علي الصّبيان، فنهاهم صلّي الله عليه وسلّم عن ذلك، وأرشدهم إلي ما هو أنفع للأطفال وأسهل عليهم.

و(السّ عوط): ما يصبّ في أنف الإنسان وهو مستلق علي ظهره، وبين كتفيه ما يرفعهما؛ لينخفض رأسه فيتمكّن السّ عوط من الوصول إلي دماغه، ويستخرج ما فيه من الدّاء بالعطاس.

وقد مدح النّبّي صلّي الله عليه وسلّم التّداوي بالسّ عوط فيما يحتاج إليه فيه.

وكان رسول الله صلّي الله عليه وسلّم يأمر أن يستلقي من العين.

وروي مسلم في «صحيحه»: عن ابن عبّاس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله صلّي الله عليه وسلّم: «العين حقّ، ولو كان شيء سابق القدر.. لسبقته العين».

وفي «سنن أبي داود»: عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت:

كان يؤمر العائن فيتوضّأ، ثمّ يغتسل منه المعين.

قال الزّهري: يؤمر الرّجل العائن بقدح، فيدخل كفّه فيه، فيتمضمض، ثمّ يمجّه في القدح، ثمّ يغسل وجهه في القدح، ثمّ يدخل يده اليسري، فيصبّ علي كفّه اليميني في القدح، ثمّ يدخل يده اليميني، فيصبّ علي كفّه اليسري، ثمّ يدخل يده اليسري، فيصبّ علي مرفقه الأيمن، ثمّ يدخل يده اليميني، فيصبّ علي مرفقه الأيسر، ثمّ يدخل يده اليسري، فيصبّ علي قدمه اليميني، ثمّ يدخل يده اليميني، فيصبّ علي قدمه اليسري، ثمّ يدخل يده اليسري، فيصبّ علي ركبته اليميني، ثمّ

يدخل يده اليمني، فيصبّ علي ركبته اليسري، ثم يغسل داخله إزاره (1)، ولا يوضع القدح في الأرض، ثم يصبّ علي رأس الرجل الذي تصيبه العين من خلفه صبّة واحدة.

و ممّا يدفع إصابة العين:

قول: (اللهم بارك عليه).

وقول: (ما شاء الله لا قوة إلا بالله).ر.

ص: 343

1- أي الطرف المتدلي الذي يلي حقه الأيمن، وقيل: إن المراد ما يلي جسده من الإزار.

الفصل الثاني: في سنّه صَلَّى اللهُ عليه و سلّم و وفاته

سن رسول الله صلى الله عليه و آله

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: مكث النبي صَلَّى اللهُ عليه و سلّم بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه، و بالمدينة عشرا، و توفي و هو ابن ثلاث و ستين.

و في رواية عنه [رضي الله تعالى عنه]: أن رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و سلّم توفي و هو ابن خمس و ستين.

و عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه: أن رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و سلّم توفاه الله تعالى علي رأس ستين سنة.

و عن عائشة رضي الله تعالى عنها: أن النبي صَلَّى اللهُ عليه و سلّم مات و هو ابن ثلاث و ستين سنة.

و عن جرير بن حازم الأسدي [رحمه الله تعالى] عن معاوية رضي الله تعالى عنه: أنه سمعه يخطب، قال: مات رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و سلّم و هو ابن ثلاث و ستين، و أبو بكر و عمر، و أنا ابن ثلاث و ستين سنة.

قوله: (أنا ابن ثلاث و ستين) المراد: أنه كان كذلك وقت تحديته بهذا الحديث، و لم يمت فيه، بل عاش حتّي بلغ نحو ثمانين سنة.

وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله

وَأَمَّا وِفَاةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ: آخِرُ نَظْرَةٍ نَظَرْتُهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَشَفَ السَّتَارَةَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ، فَنَظَرْتُ إِلَى وَجْهِهِ كَأَنَّهُ وَرَقَةٌ مَصْحُفٌ (1)، وَالنَّاسُ خَلْفَ أَبِي بَكْرٍ، فَكَادَ النَّاسُ أَنْ يَضْطَرِبُوا، فَأَشَارَ إِلَى النَّاسِ: أَنْ اثْبُتُوا وَأَبُو بَكْرٍ يُؤَمِّمُهُمْ، وَالْقِيَّ السَّجْفُ، وَتَوَقَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ آخِرِ ذَلِكَ الْيَوْمِ.

و(السَّجْفُ): السَّتَارَةُ.

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا قَالَتْ: كُنْتُ مَسْنَدَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى صَدْرِي -أَوْ قَالَتْ: إِلَى حَجْرِي- فِدَعَا بَطَسْتُ؛ لِيَبُولَ فِيهِ (2)، ثُمَّ بَالَ، فَمَاتَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا أَيْضًا قَالَتْ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ بِالْمَوْتِ، وَعِنْدَهُ قَدْحٌ فِيهِ مَاءٌ، وَهُوَ يَدْخُلُ يَدَهُ فِي الْقَدْحِ، ثُمَّ يَمْسَحُ وَجْهَهُ بِالْمَاءِ، ثُمَّ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ؛ أَعْنِي عَلَيَّ سَكْرَاتِ الْمَوْتِ».

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا أَيْضًا قَالَتْ: لَا أَغْبِطُ أَحَدًا بَعْدَ مَوْتِ الَّذِي رَأَيْتُ مِنْ شِدَّةِ مَوْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا أَيْضًا قَالَتْ: لَمَّا قَبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.. اِخْتَلَفُوا فِي دَفْنِهِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: سَمِعْتُ مَنْ

ص: 345

1- وَهُوَ كِنَايَةٌ عَنِ الْجَمَالِ الْبَارِعِ وَحَسَنِ الْبَشِيرَةِ، وَصِفَاءِ الْوَجْهِ وَاسْتِنَارَتِهِ.

2- إِنَاءٌ مِنْ نَحَاسٍ مُسْتَدِيرٍ، يَغْسَلُ فِيهِ. مَعْرَبٌ (تَشْت).

رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم شيئا ما نسيته؛ قال: «ما قبض الله نبيا إلا في الموضع الذي يحب أن يدفن فيه، ادفنوه في موضع فراشه».

وعن عائشة أيضا و ابن عباس [رضي الله تعالى عنهم]: «أن أبا بكر قبل النبي صَلَّى الله عليه و سلم بعد ما مات.

وعن عائشة أيضا رضي الله تعالى عنها: أن أبا بكر دخل علي النبي صَلَّى الله عليه و سلم بعد وفاته، فوضع فمه بين عينيه، و وضع يديه علي ساعديه، و قال: وا نبياه، وا صفياه، وا خليلاه.

وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم المدينة.. أضاء منها كل شيء، فلما كان اليوم الذي مات فيه.. أظلم منها كل شيء، و ما نفضنا أيدينا من التراب، و إنا لفي دفنه حتى أنكرنا قلوبنا.

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: توفي رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم يوم الاثنين.

وعن محمد الباقر رضي الله تعالى عنه- و هو من التابعين- قال: قبض رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم يوم الاثنين، فمكث ذلك اليوم، و ليلة الثلاثاء، و دفن من الليل.

وعن سالم بن عبيد رضي الله تعالى عنه- و كانت له صحبة- قال:

أغمي علي رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم في مرضه، فأفاق، فقال:

«حضرت الصلاة؟»، فقالوا: نعم، فقال: «مروا بلالا فليؤذن، و مروا أبا بكر فليصل بالناس».

قال: ثمّ أغمي عليه، فأفاق، فقال: «حضرت الصّلاة؟»، فقالوا: نعم، فقال: «مروا بلالا فليؤدّن، و مروا أبا بكر فليصلّ بالنّاس».

فقال عائشة رضي الله تعالى عنها: إنّ أبي رجل أسيف-أي: حزين- إذا قام ذلك المقام..بكي، فلا يستطيع، فلو أمرت غيره.

قال: ثمّ أغمي عليه، فأفاق، فقال: «مروا بلالا- فليؤدّن، و مروا أبا بكر فليصلّ بالنّاس، فإنكّن صواحب-أو صواحيبات-يوسف»؛ أي: مثلهنّ في إظهار خلاف ما يبطنّ.

قال: فأمر بلال فأدّن، و أمر أبو بكر فصلّي بالنّاس، ثمّ إنّ رسول الله صلّي الله عليه و سلّم وجد خفة فقال: «انظروا لي من أتكيء عليه»، فجاءت بريرة و رجل آخر؛ فاتكأ عليهما، فلمّا راه أبو بكر ذهب لينكص؛ فأوماً إليه أن يثبت مكانه حتّي قضى أبو بكر صلاته.

ثمّ إنّ رسول الله صلّي الله عليه و سلّم قبض، فقال عمر: و الله؛ لا أسمع أحدا يذكر أنّ رسول الله صلّي الله عليه و سلّم قبض إلاّ ضربته بسيفي هذا. قال: و كان النّاس أمّيين؛ لم يكن فيهم نبيّ قبله، فأمسك النّاس.

فقالوا: يا سالم؛ انطلق إلي صاحب رسول الله صلّي الله عليه و سلّم فادعه، فأتيت أبا بكر رضي الله تعالى عنه-و هو في المسجد-فأتيته أبكي دهشاً؛ فلمّا رأني.. قال لي: أقبض رسول الله صلّي الله عليه و سلّم، قلت: إنّ عمر يقول: لا أسمع أحدا يذكر أنّ رسول الله صلّي الله عليه

و سلم قبض..إلا ضربته بسيفي هذا، فقال لي: انطلق، فانطلقت معه، فجاء هو و الناس قد دخلوا علي رسول الله صلي الله عليه و سلم، فقال: يا أيها الناس؛ أفرجوا لي، فأفرجوا له، فجاء حتى أكب عليه و مسه فقال: إِنَّكَ مَيِّتٌ وَ إِنَّهُمْ مَيِّتُونَ [الزمر: 30].

ثم قالوا: يا صاحب رسول الله؛ أقبض رسول الله صلي الله عليه و سلم؟ قال: نعم، فعملوا أن قد صدق.

قالوا: يا صاحب رسول الله؛ أ يصلّي علي رسول الله؟ قال: نعم، قالوا: وكيف؟ قال: يدخل قوم، فيكبرون و يصلّون، و يدعون، ثم يخرجون، ثم يدخل قوم، فيكبرون و يصلّون، و يدعون، ثم يخرجون، حتى يدخل الناس.

قالوا: يا صاحب رسول الله؛ أ يدفن رسول الله صلي الله عليه و سلم؟

قال: نعم، قالوا: أين؟ قال: في المكان الذي قبض الله فيه روحه، فإنّ الله لم يقبض روحه إلا في مكان طيب، فعملوا أن قد صدق.

ثم أمرهم أن يغسله بنو أبيه.

و اجتمع المهاجرون يتشاورون، فقالوا: انطلق بنا إلي إخواننا من الأنصار ندخلهم معنا في هذا الأمر، فقالت الأنصار: منّا أمير، و منكم أمير، فقال عمر بن الخطّاب رضي الله تعالى عنه: من له مثل هذه الثلاثة؟

ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا [التوبة: 40] من هما؟.

قال: ثم بسط يده فبايعه، وبايعه الناس، بيعة حسنة جميلة.

قال الباجوري:

(الفضيلة الأولى: كونه أحد الاثنين في قوله تعالى: ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ [التوبة:40].

الفضيلة الثانية: إثبات الصحبة في قوله تعالى: إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ [التوبة:40].

فسمّاه الله (صاحبه)، فمن أنكر صحبته.. كفر؛ لمعارضته القرآن.

الفضيلة الثالثة: إثبات المعية في قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا [التوبة:40].

فثبوت هذه الفضائل له.. يؤذن بأحقّيته بالخلافة).

وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: لمّا وجد رسول الله صلّي الله عليه وسلّم من كرب الموت ما وجد.. قالت فاطمة رضي الله [تعالى] عنها: وا كرباه، فقال النبيّ صلّي الله عليه وسلّم: «لا كرب عليّ أيبك بعد اليوم؛ إنّه قد حضر من أيبك ما ليس بتارك منه أحدا، الموافاة يوم القيامة».

قال الإمام الغزاليّ في «الإحياء»: (قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: دخلنا علي رسول الله صلّي الله عليه وسلّم في بيت أمّنا عائشة رضي الله تعالى عنها حين دنا الفراق، فنظر إلينا، فدمعت عيناه صلّي الله

عليه و سلّم، ثمّ قال: «مرحبا بكم، حيّاكم الله، آواكم الله، نصركم الله، وأوصيكم بتقوي الله، وأوصي بكم الله، إنّني لكم نذير مبين؛ ألا تعلوا علي الله في بلاده وعباده، وقد دنا الأجل، والمنقلب إلي الله، وإلي سدرة المنتهي، وإلي جنّة المأوي، وإلي الكأس الأوفي، فاقروا علي أنفسكم و علي من دخل في دينكم بعدي منّي السّلام ورحمة الله».

و روي: أنّه صلّي الله عليه و سلّم قال لجبريل عليه السّلام عند موته:

«من لأمتي من بعدي؟»، فأوحى الله تعالى إلي جبريل: أن بشّر حبيبي أنّي لا أخذله في أمّته، وبشّره أنّه أسرع النّاس خروجا من الأرض إذا بعثوا، وسيدهم إذا جمعوا، وأنّ الجنّة محرّمة علي الأمم، حتّي تدخلها أمّته، فقال [صلّي الله عليه و سلّم]: «الآن قرّت عيني».

وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها: أمرنا رسول الله صلّي الله عليه و سلّم أن نغسّله بسبع قرب من سبعة آبار، ففعلنا ذلك، فوجد راحة، فخرج، فصلّي بالنّاس، واستغفر لأهل أحد، ودعا لهم، وأوصي بالأنصار، فقال: «أما بعد: يا معشر المهاجرين؛ فإنّكم تزيدون، وأصبحت الأنصار لا تزيد علي هيئتها التي هي عليها اليوم، وإنّ الأنصار عييتي التي أويت إليها (1)، فأكرموا كريمهم - يعني: محسنهم - و تجاوزوا عن مسيئهم».

ثمّ قال [صلّي الله عليه و سلّم]: «إنّ عبدا خيّر بين الدّنيا وبين ماي».

ص: 350

1- أي: موضع سرّي.

عند الله..فاختار ما عند الله»، فبكي أبو بكر رضي الله تعالى عنه، و ظنَّ أنه يريد نفسه.

فقال النبي صَلَّى الله عليه و سلَّم: «علي رسلك يا أبا بكر، سدّوا هذه الأبواب الشوارع في المسجد، إلاّ باب أبي بكر؛ فإنّي لا أعلم امرأ أفضل عندي في الصحبة من أبي بكر».

قالت عائشة رضي الله تعالى عنها: فقبض صَلَّى الله عليه و سلَّم في بيتي، و في يومي، و بين سحري و نحري (1)، و جمع الله بين ريقِي و ريقه عند الموت، فدخل عليّ أخي عبد الرّحمن و بيده سواك، فجعل ينظر إليه، فعرفت أنه يعجبه ذلك، فقلت له: اخذه لك؟ فأوماً برأسه-أي:

نعم-فناولته إياه، فأدخله في فيه، فاشتدّ عليه، فقلت: أليّنه لك؟

فأوماً برأسه-أي: نعم-فليّنته، و كان بين يديه ركوة ماء، فجعل يدخل فيها يده و يقول: «لا إله إلاّ الله، إنّ للموت لسكرات»، ثمّ نصب يده يقول: «الرّفيق الأعليّ..الرّفيق الأعليّ».

فقلت: إذا-و الله-لا يختارنا.

و روي سعيد بن عبد الله، عن أبيه [رحمهما الله تعالى] قال: لَمّا رأَت الأنصار أنّ رسول الله صَلَّى الله عليه و سلَّم يزداد ثقلاً..أطافوا بالمسجد، فدخل العباس رضي الله تعالى عنه عليّ النبي صَلَّى الله عليه و سلَّم فأعلمه بمكانهم و إشفاقهم.ر.

ص: 351

1- السّحر: الصدر. و النّحر: موضع القلادة من الصدر.

ثم دخل عليه الفضل [رضي الله تعالى عنه] فأعلمه بمثل ذلك.

ثم دخل عليه علي رضي الله تعالى عنه فأعلمه بمثله، فمدّ يده، وقال: «ها» فتناولوه، فقال: «ما يقولون؟»، قالوا: يقولون:

نخشي أن تموت.

و تصايح نساؤهم لاجتماع رجالهم إلي النبي صلي الله عليه و سلم، فثار رسول الله صلي الله عليه و سلم؛ فخرج متوكئا علي علي و الفضل، و العباس أمامه، و رسول الله صلي الله عليه و سلم معصوب الرأس يخط برجليه، حتي جلس علي أسفل مرقاة من المنبر، و ثاب الناس إليه، فحمد الله، و أثني عليه، و قال:

«أيها الناس؛ إنه بلغني أنكم تخافون علي الموت، كأنه استنكار منكم للموت؟! و ما تتكرون من موت نبيكم؟ ألم أنع إليكم، و تنعي إليكم أنفسكم؟!

هل خلد نبي قبلي فيمن بعث.. فأخلد فيكم؟

ألا و إني لاحق بربي، ألا و إنكم لاحقون به.

و إني أوصيكم بالمهاجرين الأولين خيرا، و أوصي المهاجرين فيما بينهم؛ فإن الله عزّ و جلّ قال: وَ الْعَصْرِ. إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ. إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا [العصر: 1-3]... إلي اخرها.

و إنّ الأمور تجري بإذن الله، فلا يحملنكم استبطاء أمر علي استعجاله، فإنّ الله عزّ و جلّ لا يعجل لعجلة أحد، و من غالب الله..

غلبه، و من خادع الله.. خدعه

ص: 352

فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ [محمد:22].

و أوصيكم بالأنصار خيرا، فإنهم الذين تبوءوا الدار و الإيمان من قبلكم؛ أن تحسنوا إليهم، ألم يشاطروكم في الثمار؟! ألم يوسّعوا عليكم (1) في الديار؟! ألم يؤثركم علي أنفسهم و بهم الخصاصة؟!

ألا.. فمن ولي أن يحكم بين رجلين.. فليقبل من محسنهم، و ليتجاوز عن مسيئهم.

ألا.. و لا تستأثروا عليهم.

ألا.. و إني فرط (2) لكم، و أنتم لاحقون بي.

ألا.. و إن موعدكم الحوض، حوضي أعرض ممّا بين بصري الشّام و صنعاء اليمن، يصبّ فيه ميزاب الكوثر ماء، أشدّ بياضا من اللبن، و ألين من الزّبد، و أحلي من الشّهد (3)، من شرب منه.. لم يظمأ أبدا، حصابؤه اللؤلؤ، و بطحاؤه المسك، من حرمه في الموقف غدا.. حرم الخير كلّه.

ألا.. فمن أحبّ أن يردّه عليّ غدا.. فليكفف لسانه و يده إلاّ مما (4) ينبغي.

فقال العباس: يا نبيّ الله؛ أوص بقريش..).

ص: 353

1- في نسخة: (لكم).

2- أي: سابق.

3- الشّهد: العسل في شمعه.

4- في نسخة: (فيما).

فقال: «إنّما أوصي بهذا الأمر قريشاً؛ والناس تبع لقريش، برّهم لبرّهم، وفاجرهم لفاجرهم (1)، فاستوصوا-ال قريش-بالناس خيراً.

يا أيّها النّاس؛ إنّ الذّنوب تُغيّر النّعم وتبدّل القسّم، فإذا برّ النّاس..

برّهم أنمّتهم، وإذا فجر النّاس (2).. عقّوهم.

قال الله تعالى: وَكَذَلِكَ نُؤَلِّي بَعْضَ الظّالِمِينَ بَعْضاً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ [الأنعام: 129].

وروي ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: أنّ النّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لأبي بكر رضي الله تعالى عنه: «سل يا أبا بكر».

فقال: يا رسول الله؛ دنا الأجل؟ فقال: «قد دنا الأجل، وتدلّي».

فقال: ليهنك يا نبيّ الله ما عند الله، فليت شعري عن منقلبنا؟ فقال:

«إلي الله، وإلي سدرة المنتهي، ثمّ إلي جنة المأوي، والفردوس الأعلي، والكأس الأوفي، والرّفيق الأعلي، والحظّ والعيش المهتأ».

فقال: يا نبيّ الله؛ من يلي غسلك؟ قال: «رجال من أهل بيتي؛ الأذني فالأذني».

قال (3): يا رسول الله؛ فيم نكفّنك؟ قال: «في ثيابي هذه، وفي حلّة يمانية، وفي بياض مصر».

ص: 354

1- في نسخة: (برّهم تبع لبرّهم، وفاجرهم تبع لفاجرهم).

2- في نسخة: (وإذا فجروا).

3- في نسخة: (قلنا).

فقال: كيف الصلاة عليك متاً؟ وبكىنا، وبكى... ثم قال: «مهلاً غفر الله لكم، وجزاكم عن نبيكم خيراً.

إذا غسّ لتموني و كفتتموني.. فضعوني علي سريري هذا، في بيتي هذا علي شفير قبوري، ثم اخرجوا عني ساعة-فإنّ أوّل من يصلّي عليّ الله عزّ وجلّ هو الذي يصلّي عليّكم و ملائكته [الأحزاب: 43].

ثمّ يأذن للملائكة في الصلاة عليّ، فأوّل من يدخل عليّ من خلق الله و يصلّي عليّ.. جبريل، ثمّ ميكائيل، ثمّ إسرافيل، ثمّ ملك الموت مع جنود كثيرة، ثمّ الملائكة بأجمعها صلّي الله عليهم أجمعين، ثمّ أنتم؛ فادخلوا عليّ أفواجا، فصلّوا عليّ أفواجا؛ زمرة زمرة، و سلّموا تسليمًا، و لا تؤذوني (1) بتزكية و لا صيحة و لا رنة، و ليبدأ منكم الإمام، و أهل بيتي الأديني.. فالأديني، ثمّ زمرة النساء، ثمّ زمرة الصبيان.

قال: فمن يدخلك القبر؟ قال: «زمر من أهل بيتي... الأديني فالأديني مع ملائكة كثيرة لا ترونهم؛ و هم يرونكم، قوموا فأدّوا عني إلي من بعدي».

و قال عبد الله بن زمعة [رضي الله تعالي عنه]: جاء بلال [رضي الله تعالي عنه] في أوّل شهر ربيع الأوّل، فأذن بالصلاة، فقال رسول الله صلّي الله عليه و سلّم: «مروا أبا بكر يصلّي بالناس».

فخرجت فلم أر بحضرة الباب إلّا عمر في رجال ليس فيهم أبو بكر).

ص: 355

1- في نسخة: (و لا تؤذنوا).

فقلت: قم يا عمر فصلّ بالنّاس، فقام عمر، فلمّا كَبُرَ - وكان رجلاً صَيِّتًا سمع رسول الله صلّي الله عليه وسلّم صوته بالتّكبير.. فقال: «أين أبو بكر؟ يا أبي الله ذلك، والمسلمون» قالها ثلاث مرّات: «مروا أبا بكر فليصلّ بالنّاس»، فقالت عائشة رضي الله [تعالى] عنها: يا رسول الله؛ إنّ أبا بكر رجل رقيق، إذا قام في مقامك غلبه البكاء.

فقال: «إنّك صويحبات يوسف، مروا أبا بكر فليصلّ بالنّاس».

قال: فصلّي أبو بكر بعد الصّلاة التي صلّي عمر.

فكان عمر يقول لعبد الله بن زمعة بعد ذلك: ويحك، ما ذا صنعت بي؟ والله لو لا أنّي ظننت أنّ رسول الله صلّي الله عليه وسلّم أمرك.. ما فعلت، فيقول عبد الله: إنّي لم أر أحدا أولي بذلك منك.

قالت عائشة رضي الله تعالى عنها: وما قلت ذلك ولا صرفته عن أبي بكر إلاّ رغبة به عن الدّنيا، ولما في الولاية من المخاطرة والهلكة إلاّ من سلّم الله، وخشيت أيضا ألا يكون النّاس يحبّون رجلا صلّي في مقام النّبّي صلّي الله عليه وسلّم وهو حيّ أبدا- إلاّ أن يشاء الله- فيحسدونه، ويغنون عليه، ويتشاءمون به، فإذا الأمر أمر الله، والقضاء قضاء الله تعالى، وعصمه الله تعالى من كلّ ما تخوّفت عليه من أمر الدّنيا والدّين.

وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها: فلمّا كان اليوم الذي مات فيه رسول الله صلّي الله عليه وسلّم.. رأوا منه خفّة في أول النّهار؛ فتفرّق عنه الرّجال إلي منازلهم وحوائجهم مستبشرين، وأخلوا رسول الله صلّي الله عليه وسلّم بالنّساء، فبينما نحن علي ذلك- لم نكن علي مثل

حالنا في الرجاء والفرح قبل ذلك-قال رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم:

«اخرجني عني؛ هذا الملك يستأذن علي».

فخرج من في البيت غيري، ورأسه في حجري، فجلس، و تنحيت في جانب البيت، فناجي الملك طويلاً ثم إته دعاني؛ فأعاد رأسه في حجري، وقال للنسوة: «ادخلن»، فقلت: ما هذا بحس جبريل عليه السلام؟ فقال رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم: «أجل يا عائشة؛ هذا ملك الموت، جاءني فقال: إن الله عز وجل أرسلني، وأمرني أن لا أدخل عليك إلا بإذن، فإن لم تأذن لي.. أرجع، وإن أذنت لي..»

دخلت، وأمرني ألا أقبضك حتى تأمرني، فما ذا أمرك؟ فقلت:

«اكفف عني، حتى يأتيني جبريل عليه السلام، فهذه ساعة جبريل».

قالت عائشة رضي الله تعالى عنها: فاستقبلنا بأمر لم يكن له عندنا جواب؛ ولا رأي، فوجمنا وكأنا ضربنا بصاحخة-أي: بصيحة- ما نحير إليه شيئاً، وما يتكلم أحد من أهل البيت؛ إعظاماً لذلك الأمر، وهيبة ملأت أجوافنا.

قالت: وجاء جبريل في ساعته فسلم، فعرفت حسه، وخرج أهل البيت، فدخل فقال: إن الله عز وجل يقرأ عليك السلام، ويقول: كيف تجددك؟ وهو أعلم بالذي تجد منك، ولكن أراد أن يزيدك كرامة و شرفاً، وأن يتم كرامتك و شرفك علي الخلق، وأن تكون ستة في أمّتك، فقال: «أجدني وجعاً».

فقال: أبشر، فإن الله تعالى أراد أن يبلغك ما أعد لك، فقال:

ص: 357

«يا جبريل؛ إنَّ ملك الموت استأذن عليّ..» وأخبره الخبر.

فقال جبريل: يا محمّد؛ إنَّ ربّك إليك مشتاق، ألم يعلمك الذي يريد بك؟! لا والله ما استأذن ملك الموت عليّ أحد قطّ ولا يستأذن عليه أبدا، ألا إنَّ ربّك متمّ شرفك، وهو إليك مشتاق.

قال: «فلا تبرح إذا حتّي يجيء».

و أذن للنساء، فقال: «يا فاطمة؛ أدني»، فأكبّت عليه، فناجها، فرفعت رأسها و عيناها تدمع (1)؛ و ما تطيق الكلام، ثمّ قال: «أدني منّي رأسك»، فأكبّت عليه، فناجها، فرفعت رأسها؛ و هي تضحك و ما تطيق الكلام، و كان الذي رأينا منها عجا، فسألتها بعد ذلك. فقالت:

أخبرني، و قال: «إني ميّت اليوم»، فبكيّت، ثمّ قال: «إني دعوت الله أن يلحقك بي في أوّل أهلي، و أن يجعلك معي» فضحكت.

و أدنت ابنيها منه فشّمهما (2).

قالت: و جاء ملك الموت، و استأذن؛ فأذن له، فقال الملك: ما تأمرنا يا محمّد؟ قال: «ألحقني بربّي الآن»، فقال: بلي؛ من يومك هذا، أما إنَّ ربّك إليك مشتاق، و لم يتردّد عن أحد تردّده عنك، و لم ينهني عن الدّخول عليّ أحد إلّا بإذن غيرك، و لكنّ ساعتك أمامك.

و خرج.

قالت: و جاء جبريل فقال: السّلام عليك يا رسول الله؛ هذا اخر ما).

ص: 358

1- في نسخة: (تذرفان).

2- في نسخة: (و أدنت ابنتها منه فشّمها).

أنزل فيه إلي الأرض أبدا، طوي الوحي و طويت الدنيا، وما كان لي في الأرض حاجة غيرك، وما لي فيها حاجة إلا حضورك، ثم لزوم موقفي.

لا والذي بعث محمدا بالحق؛ ما في البيت أحد يستطيع أن يحير إليه في ذلك كلمة (1)، ولا يبعث إلي أحد من رجاله لعظم ما يسمع من حديثه، وجدنا وإشفاقنا.

قالت: فقامت إلي النبي صلي الله عليه وسلم حتي أضع رأسه بين ثديي، وأمسكت بصدرة، وجعل يغمي عليه حتي يغلب، وجبهته ترشح رشحا ما رأيته من إنسان قط، فجعلت أسلت ذلك العرق (2)، وما وجدت رائحة شيء أطيب منه، فكنت أقول له إذا أفاق: بأبي أنت وأمي، ونفسي وأهلي؛ ما تلقي جبهتك من الرشح؟ فقال: «يا عائشة؛ إن نفس المؤمن تخرج بالرشح، ونفس الكافر تخرج من شذقيه (3) كنفس الحمار».

فعند ذلك ارتعنا، وبعثنا إلي أهلنا، فكان أول رجل جاءنا- ولم يشهده- أخي، بعثه إلي أبي، فمات رسول الله صلي الله عليه وسلم قبل أن يجيء أحد، وإنما صدّهم الله عنه؛ لأنه ولأه جبريل وميكائيل، وجعل إذا أغمي عليه. قال: «بل الرفيق الأعلى»، كأن الخيرة تعاد عليه، فإذا أطاق الكلام.. قال: «الصلاة.. الصلاة؛ إنكم لا تزالون».

ص: 359

1- أي: يعيدها.

2- أي: أزيله وأمسحه.

3- في نسخة: (شذقه).

متماسكين ما صلّيتم جميعاً، الصّلاة.. الصّلاة»، كان يوصي بها حتّى مات؛ وهو يقول: «الصّلاة.. الصّلاة».

قالت عائشة رضي الله تعالى عنها: مات رسول الله صلّي الله عليه وسلّم بين ارتقاع الضّحي، وانتصاف النهار يوم الاثنين.

قالت فاطمة رضي الله تعالى عنها: ما لقيت من يوم الاثنين، والله لا تزال الأمة تصاب فيه بعظيمة.

وقالت أمّ كلثوم [رضي الله تعالى عنها]- يوم أصيب عليّ كرّم الله وجهه بالكوفة- مثلها: ما لقيت من يوم الاثنين، مات فيه جدّي رسول الله صلّي الله عليه وسلّم، وفيه قتل عمر، وفيه قتل أبي، فما لقيت من يوم الاثنين.

وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها: لمّا مات رسول الله صلّي الله عليه وسلّم.. اقتحم الناس حين ارتفعت الرّيّة (1) وسجّي (2) رسول الله صلّي الله عليه وسلّم بثوبي؛ فاختلفوا، فكذب بعضهم بموته، وأخرس بعضهم، فما تكلم إلا بعد البعد، وخلط آخرون؛ فلا ثوا الكلام بغير بيان، وبقي آخرون معهم عقولهم، وأقعد آخرون؛ فكان عمر بن الخطّاب فيمن كذب بموته، وعليّ فيمن أقعد، وعثمان فيمن أخرس، فخرج عمر عليّ الناس؛ وقال: إنّ رسول الله صلّي الله عليه وسلّم لم يمت، وليرجعنّه الله عزّ وجلّ، وليقطعن أيدي وأرجل رجال مني.

ص: 360

1- أي: صوت البكاء.

2- أي: غطي.

المنافقين يتمنون لرسول الله صَلَّى الله عليه و سلم الموت، إنما واعد الله عزّ و جلّ كما واعد موسى؛ و هو آتيكم.

و في رواية أنّه قال: يا أيّها النّاس؛ كّفوا ألسنتكم عن رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم؛ فإنّه لم يمّت، و الله لا أسمع أحدا يذكر أنّ رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم قد مات.. إلّا علوته بسيفي هذا.

و أمّا عليّ؛ فإنّه أقعد فلم يبرح في البيت.

و أمّا عثمان؛ فجعل لا يكلم أحدا؛ يؤخذ بيده فيجاء به، و يذهب به.

و لم يكن أحد من المسلمين في مثل حال أبي بكر و العباس، فإنّ الله عزّ و جلّ أيّدهما بالتّوفيق و السّداد، و إن كان النّاس لم يرعوا إلّا بقول أبي بكر، حتّى جاء العباس فقال: و الله الّذي لا إله إلّا هو؛ لقد ذاق رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم الموت، و لقد قال الله له و هو بين أظهركم: إِنَّكَ مَيِّتٌ و إِنَّهُمْ مَيِّتُونَ. ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ [الزمر: 30-31].

و بلغ أبا بكر الخبر - و هو في بني الحارث بن الخزرج - فجاء، و دخل علي رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم فنظر إليه، ثمّ أكبّ عليه، فقبّله، ثمّ قال: بأبي أنت و أمّي يا رسول الله؛ ما كان الله ليذيقك الموت مرّتين، فقد - و الله - توفّي رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم.

ثمّ خرج إلي النّاس فقال: أيّها النّاس؛ من كان يعبد محمّدا فإنّ محمّدا قد مات، و من كان يعبد ربّ محمّد فإنّه حيّ لا يموت. قال الله

تعالى: وَ مَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَصَرَ اللَّهُ شَيْئاً وَ سَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ [آل عمران:144].

فكان الناس لم يسمعوا هذه الآية إلا يومئذ.

وفي رواية: أن أبا بكر رضي الله تعالى عنه لما بلغه الخبر.. دخل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي علي النبي صلى الله عليه وسلم وعينه تهملان، وغصصه ترتفع كقصع الجرة.

و(الجرة-بالكسر-): ما تخرجه الإبل من كروشها، فتجتره.

و(قصعها): إخراجها مستقيمة من غير تقطيع و شدة مضغ.

وهو في ذلك (1) جلد الفعل والمقال، فأكبّ عليه، فكشف عن وجهه، وقبّل جبينه و خديّه، و مسح وجهه و جعل يبكي ويقول:

بأبي أنت و أمي و نفسي و أهلي، طبت حيا و ميتا، انقطع لموتك ما لم ينقطع لموت أحد من الأنبياء، فعظمت عن الصفة، و جللت عن البكاء، و خصّصت حتّي صرت مسلاة (2)، و عمّمت حتّي صرنا فيك سواء، و لو لا أنّ موتك كان اختيارا منك؛ لجدنا لحنك بالتفوس، و لو لا أنّك نهيت عن البكاء؛ لأنفدنا عليك ماء العيون (3).

فأما ما لا نستطيع نفيه عتّا.. فكمد و اذكار محالفان لا يبرحان، اللهمي.

ص: 362

1- في نسخة: (و هو مع ذلك).

2- أي: بحيث يتسلّون بك أي: يروّحون بك عن نفوسهم.

3- في نسخة: (ماء الشّتون)؛ و كلاهما بمعني.

فأبلغه عنّا، اذكرنا يا محمّد-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-عند ربِّك، ولنكن من بالك، فلولا ما خلّفت من السّكينة.. لم يبق أحد لما خلّفت من الوحشة، اللهمّ أبلغ نبيّك عنّا، واحفظه فينا.

وعن ابن عمر [رضي الله تعالى عنهما] أنّه لما دخل أبو بكر رضي الله تعالى عنه البيت و صلّي و أثني.. عَجَّ أهل البيت عجيّجا سمعه أهل المصلّي؛ كلّما ذكر شيئا.. ازدادوا، فما سكّن عجيّجهم إلاّ تسلّم رجل علي الباب صيّت جلد؛ قال: السّلام عليكم يا أهل البيت كلّ نفسٍ ذائقة الموت و إنّما تُوفّون أجوركم يوم القيامة فمن رُحِزَ عَنِ الدّارِ و أُدْخِلَ الجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ و ما الحياة الدُّنيا إلاّ مَتاعُ الغُرُورِ [آل عمران: 185].

إنّ في الله خلفا من كلّ أحد، و دركا لكلّ رغبة، و نجدة من كلّ مخافة، فاللّهُ فارجا، و به فثقوا، فاستمعوا له و أنكروه، و قطعوا البكاء، فلمّا انقطع البكاء.. فقد صوته؛ فاطلع أحدهم فلم ير أحدا، ثمّ عادوا فبكوا، فناداهم مناد آخر، لا يعرفون صوته: يا أهل البيت؛ اذكروا الله، و احمده و علي كلّ حال.. تكونوا من المخلصين، إنّ في الله عزاء من كلّ مصيبة، و عوضا من كلّ رغبة، فاللّهُ فأطيعوا، و بأمره فاعملوا.

فقال أبو بكر: هذا الخضر و اليسع عليهما السّلام؛ قد حضرا النّبّي صلّي الله عليه و سلّم.

و استوفي القعقاع بن عمرو [رضي الله تعالى عنه] حكاية خطبة أبي بكر رضي الله تعالى عنه فقال: قام أبو بكر في التّاس خطيبا حيث قضى التّاس

عبراتهم بخطبة جلّها الصلاة علي النبي صلّي الله عليه وسلّم، فحمد الله، وأثنى عليه علي كلّ حال، وقال:

أشهد ألا إله إلا الله واحده، صدق وعده، ونصر عبده، وغلب الأحزاب واحده، فلله الحمد واحده.

وأشهد أنّ محمّدا عبده ورسوله، وخاتم أنبيائه، وأشهد أنّ الكتاب كما نزل، وأنّ الدين كما شرع، وأنّ الحديث كما حدّث، وأنّ القول كما قال، وأنّ الله هو الحقّ المبين.

اللّهم؛ فصلّ علي محمّد عبدك، ورسولك، ونبّيك، وحيبيك، وأمينك وخيرتك، وشفوتك.. بأفضل ما صلّيت به علي أحد من خلقك.

اللّهم؛ واجعل صلاتك، ومعافاتك، ورحمتك، وبركاتك..

علي سيّد المرسلين، وخاتم النبيّين وإمام المتّقين، محمّد قائد الخير، وإمام الخير، ورسول الرّحمة.

اللّهم؛ قرب زلفته، وعظّم برهانه، وكرّم مقامه، وابعثه مقاما محمودا يغبطه به الأولون والآخرون، وانفعنا بمقامه المحمود يوم القيامة، واخلفه فينا في الدنيا والآخرة، وبلغه الدرّجة والوسيلة في الجنّة.

اللّهم؛ صلّ علي محمّد، وعلي آل محمّد، وبارك علي محمّد، وعلي آل محمّد، كما صلّيت وباركت علي إبراهيم؛ إنّك حميد مجيد.

يا أيّها النّاس؛ إنّ من كان يعبد محمّدا. فإنّ محمّدا قد مات، ومن

كان يعبد الله.. فإن الله حيّ لم يموت، وإن الله قد تقدّم إليكم في أمره فلا تدعوه جزعاً؛ فإن الله عزّ وجلّ قد اختار لنبية صلي الله عليه و سلم ما عنده علي ما عندكم، وقبضه إلي ثوابه، وخلف فيكم كتابه و سنة نبيه صلي الله عليه و سلم، فمن أخذ بهما.. عرف، و من فرق بينهما.. أنكر.

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ [النساء:135].

و لا يشغلنكم الشيطان بموت نبيكم، و لا يفتننكم عن دينكم، و عاجلوا الشيطان بالخير تعجزوه، و لا تستظروه فيلحق بكم و يفتنكم.
و قال ابن عباس: لما فرغ أبو بكر من خطبته.. قال:

يا عمر؛ أنت الذي بلغني أنك تقول: (ما مات نبيّ الله صلي الله عليه و سلم؟!)! ما تري أن نبيّ الله صلي الله عليه و سلم قال يوم كذا: كذا و كذا، و يوم كذا: كذا و كذا، و قال الله تعالى في كتابه: إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ [الزمر:30].

فقال: و الله؛ لكأني لم أسمع بها في كتاب الله قبل الآن لما نزل بنا، أشهد أن الكتاب كما نزل، و أن الحديث كما حدّث، و أن الله حيّ لا يموت، إنّا لله و إنّا إليه راجعون، و صلوات الله علي رسوله، و عند الله نحتسب رسوله صلي الله عليه و سلم.

ثمّ جلس إلي أبي بكر.

و قالت عائشة رضي الله تعالى عنها: لما اجتمعوا لغسله.. قالوا: و الله ما ندري كيف نغسل رسول الله صلي الله عليه و سلم؛ ه درجنا عن ثيابه كما نضع بموتانا، أم نغسله في ثيابه؟

ص: 365

قالت: فأرسل الله عليهم النوم حتّى ما بقي منهم رجل إلاّ واضع لحيته علي صدره نائما، ثمّ قال قائل لا يدري من هو: غسّلوا رسول الله صلّي الله عليه و سلّم و عليه ثيابه؛ فانتبهوا، ففعلوا ذلك، فغسّل رسول الله صلّي الله عليه و سلّم في قميصه؛ حتّى إذا فرغوا من غسله.. كفنّ.

وقال عليّ كرم الله وجهه: أردنا خلع قميصه فنودينا: لا تخلعوا عن رسول الله صلّي الله عليه و سلّم ثيابه، فأقررنا، فغسّ لنا في قميصه كما نغسّل موتانا مستلقيا، ما نشاء أن يقلب لنا منه عضو لم يبالغ فيه.. إلاّ قلب لنا حتّى نفرغ منه، وإنّ معنا لحفيفا في البيت كالريح الرّخاء، و يصوت بنا: ارفقوا برسول الله صلّي الله عليه و سلّم؛ فإنّكم ستكفون.

فهكذا كانت وفاة رسول الله صلّي الله عليه و سلّم، و لم يترك سبدا و لا لبدا (1) إلاّ دفن معه.

قال أبو جعفر: فرش لحدّه بمفرشه و قطيفته، و فرشت ثيابه التي كان يلبس يقظان علي القطيفة و المفرش، ثمّ وضع عليها في أكفانه. فلم يترك بعد وفاته مالا، و لا بني في حياته لبنة علي لبنة، و لا وضع قصبة علي قصبة؛ ففي وفاته عبرة تامّة، و للمسلمين أسوة حسنة (اه و عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: أنّه سمع رسول الله صلّي الله عليها.

ص: 366

1- السبّد: القليل من الشعر. و اللبّد: الصّوف. و المراد: أنّه صلّي الله عليه و سلّم لم يترك من المال قليلا و لا كثيرا.

عليه و سلّم يقول: «من كان له فرطان من أمتي.. أدخله الله تعالى بهما الجنة»، فقالت عائشة رضي الله تعالى عنها: فمن كان له فرط من أمتك؟ قال: «و من كان له فرط يا موفّقة»، قالت: فمن لم يكن له فرط من أمتك؟ قال: «فأنا فرط لأمتي، لن يصابوا بمثلي».

و(الفرط- في الأصل -): السّابق من القوم المسافرين ليهيّئ لهم الماء و الكلاً و ما يحتاجونه، و المراد به هنا: الصّد غير الّذي يموت قبل أحد أبويه؛ فإنّه يشبهه في تهيئة ما يحتاج إليه يوم القيامة من المصالح.

و عن عمرو بن الحارث- أخى جويرية أم المؤمنين رضي الله تعالى عنهما- قال: ما ترك رسول الله صلّي الله عليه و سلّم إلاّ سلاحه و بخلته و أرضاً جعلها صدقة.

و روي كثير من الصّحابة رضي الله تعالى عنهم قول النّبىّ صلّي الله عليه و سلّم: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث؛ ما تركناه صدقة».

ص: 367

الفصل الثالث: في رؤيته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَنَامِ

عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما: عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «من رآني في المنام.. فقد رآني، فإنَّ الشَّيْطَان لا يتمثَّل بي».

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من رآني في المنام.. فقد رآني، فإنَّ الشَّيْطَان لا يتصوَّر- أو قال لا يتشبهه- بي».

وعن يزيد الفارسي [رحمه الله تعالى]- وكان يكتب المصاحف- قال: رأيت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المنام زمن ابن عباس، فقلت لابن عباس: إنِّي رأيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في النوم، فقال ابن عباس: إنَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقول: «إنَّ الشَّيْطَان لا يستطيع أن يتشبه بي، فمن رآني في النوم.. فقد رآني»، هل تستطيع أن تتعت هذا الرَّجُل الَّذِي رأيتَه في النَّوْم؟

قال: نعم، أنعت لك رجلا بين الرجلين؛ جسمه ولحمه أسمر إلي البياض، أكلح العينين، حسن الضحك، جميل دوائر الوجه، قد ملأت لحيته ما بين هذه إلي هذه؛ قد ملأت نحره.

فقال ابن عباس: لو رأيتَه في اليقظة.. ما استطعت أن تتعتَه فوق هذا.

و عن أبي قتادة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم: «من رآني -يعني في النَّوم- فقد رأى الحقَّ».

و عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم: «من رآني في المنام.. فقد رآني، فإنَّ الشَّيطان لا يتخيَّل بي».

قال: «و رؤيا المؤمن جزء من سنَّة و أربعين جزءا من التَّبوَّة».

و قوله [صَلَّى الله عليه و سلم]: (من رآني في المنام فقد رآني) قال الباجوري: أي: من رآني في حال النَّوم.. فقد رآني حقًا، أو.. فكأنَّما رآني في اليقظة.

فهو علي التَّشبيه و التَّمثيل؛ و ليس المراد رؤية جسمه الشَّريف و شخصه المنيف، بل مثاله علي التَّحقيق.

و قوله [صَلَّى الله عليه و سلم]: (فإنَّ الشَّيطان لا يتمثَّل بي) أي: لا يستطيع ذلك؛ لأنَّه سبحانه و تعالي جعله صَلَّى الله عليه و سلم محفوظا من الشَّيطان في الخارج، فكذلك في المنام، سواء راه علي صفته المعروفة أو غيرها علي المنقول المقبول عند ذوي العقول، و إنَّما ذلك يختلف باختلاف حال الرائي، كالمرأة الصَّقيلة ينطبع فيها ما يقابلها؛ فقد راه (1) جمع بأوصاف مختلفة، و مثله في ذلك جميع الأنبياء و الملائكة. كما جزم به البغوي في «شرح السنَّة».

و كذلك حكم القمرين و النُّجوم و السَّحاب الذي ينزل فيه الغيث، فلا يتمثَّل الشَّيطان بشيء منها. هـ.

ص: 369

1- في نسخة: وقد يراه.

ونقل ابن علان: إن الشيطان لا يتمثل بالله تعالى كما لا يتمثل بالأنبياء، وهذا هو قول الجمهور.

وقال بعضهم: يتمثل بالله، فإن قيل: كيف لا يتمثل بالنبي ويتمثل بالله علي هذا القول؟

أجيب: بأن النبي بشر، فلو تمثل به لالتبس الأمر، والباري جلّ وعلا منزّه عن الجسميّة والعرضيّة؛ فلا يلتبس الأمر بتمثله به؛ كما في «درّة الفنون في رؤية قرّة العيون» (1).

ولا تختص رؤية النبي صلي الله عليه وسلم بالصالحين، بل تكون لهم ولغيرهم.

و حكي عن بعض العارفين - كالشيخ الشاذلي وسيدي عليّ وفي - : أنهم رأوه صلي الله عليه وسلم يقظة، ولا مانع من ذلك، فيكشف لهم عنه صلي الله عليه وسلم في قبره، فيروه بعين البصيرة، ولا أثر للقرب؛ ولا للبعد في ذلك، فمن كرامات الأولياء: خرق الحجب لهم، فلا مانع عقلا ولا شرعا أن الله تعالى يكرم وليه؛ بأن لا يجعل بينه وبين الذات الشريفة ساترا ولا حاجبا) هـ

وقد بسطت الكلام علي رؤية النبي صلي الله عليه وسلم في كتابي «أفضل الصلوات علي سيد السادات» فمن شاء الزيادة فليرجع إليه).

ص: 370

1- كتاب مختصر في الرؤية؛ للشيخ العلامة المؤرخ عبد الرحمن بن علي البسطامي الحنفي المتوفي سنة (858 هـ).

الخاتمة تشتمل علي سبعين حديثا، أكثرها صحاح و حسان من أدعيته صَلَّى اللهُ عليه و سلم.

وقد ذكرت في الخطبة أنها خمسون، و ظهرت لي الزيادة بعد فزديتها، و ذكرت أسماء مخرّجها برمز «الجامع الصّغير»؛ لأنّ أكثرها موجودة فيه، و في «كتاب المصاييح».

وقد قسمتها قسمين:

الأول: استعاذات. و الثاني: دعوات. معتبرا أوّل الحديث:

إن كان استعاذة.. جعلته في القسم الأوّل، و إن كان دعاء.. جعلته في القسم الثاني، و افتتحتها بالدّعوات القرآنيّة؛ لأنّها كلام الله تعالى.

و تقدّم أنّه صَلَّى اللهُ عليه و سلم كان خلقه القرآن، و هي خارجة عن العدد المذكور.

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ [البقرة:127].

رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَ فِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ [البقرة:201].

رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَ ثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَ انصُرْنَا عَلَي الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ [البقرة:250].

ص: 373

سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ [البقرة:285].

رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَي الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَ اعْفِرْ لَنَا وَ اَرْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَي الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ [البقرة:286].

رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَ هَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ [آل عمران:8].

رَبَّنَا إِنَّا أَمَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَ قِنَا عَذَابَ النَّارِ [آل عمران:16].

رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَ اتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ [آل عمران:53].

رَبَّنَا اعْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَ إِسْرَافِنَا فِي أَمْرِنَا وَ نَبِّئْ أَقْدَامَنَا وَ انصُرْنَا عَلَي الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ [آل عمران:147].

رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ [آل عمران:191].

رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَ كَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَ تَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ [آل عمران:193].

رَبَّنَا وَ آتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَي رُسُلِكَ وَ لَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ [آل عمران:194].

رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَ إِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَ تَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ [الأعراف:

[23].

رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَ بَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَ أَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ [الأعراف:89].

ص: 374

رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَ تَوَقَّنَا مُسْلِمِينَ [الأعراف:126].

رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ. وَ نَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ [يونس:85-86].

رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَ تَرْحَمْنِي أَكُنُ مِنَ الْخَاسِرِينَ [هود:47].

فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ أَنْتَ وَ لِيَّيْ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَ أَحِقِّنِي بِالصَّالِحِينَ [يوسف:101].

رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَ تَقَبَّلْ دُعَاءِ. رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَ لِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ [إبراهيم:40-41].

رَبِّ اغْفِرْ لِي وَ لِيُؤَدِّي [نوح:28]. وَ رَبِّ اذْهَبْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا [الإسراء:24].

رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَ أَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَ اجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا [الإسراء:80].

رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَ هَبِّي لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا [الكهف:10].

قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي. وَ يَسِّرْ لِي أَمْرِي [طه:25-26].

رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا [طه:114].

أَنِّي مَسْنِي الصُّبْرُ وَ أَنْتَ أَزْهَمُ الرَّاحِمِينَ [الأنبياء:83].

لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ [الأنبياء:87].

رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَ أَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ [الأنبياء:89].

رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَيَّ مَا تَصِفُونَ [الأنبياء:112].

رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ [المؤمنون:29].

رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ [المؤمنون:94].

وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ. وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ [المؤمنون:97-98].

رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ [المؤمنون:109].

رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ [المؤمنون:118].

رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا. إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا [الفرقان:65-66].

رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا [الفرقان:74].

رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ. وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ [الشعراء:83-85].

وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ. يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ. إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ [الشعراء:87-89].

رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ [الشعراء:169].

رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ [النمل:19].

رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي [القصص:16].

رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ [القصص:24].

رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ [العنكبوت:30].

رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ [الصفات:100].

رَبِّ أَوْرِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ [الأحقاف:15].

رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِللاً لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ [الحشر:10].

رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنْتَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ. رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ [الممتحنة:4-5].

رَبَّنَا أَنْتُمْ لَنَا نُورٌ نَا وَاعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [التحريم:8].

رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِناً وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ [نوح:

28].

1-«اللَّهُمَّ؛ إِنِّي أَعُوذُ بِوَجْهِكَ الْكَرِيمِ وَاسْمِكَ الْعَظِيمِ؛ مِنَ الْكُفْرِ وَالْفَقْرِ» (طب؛ عن عبد الرحمن ابن أبي بكر [رضي الله تعالى عنهما]).

2-«اللَّهُمَّ؛ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْجَبْنِ وَالْبَخْلِ وَالْهَرَمِ، وَالْقَسْوَةِ وَالْغَافِلَةِ وَالْعَيْلَةِ، وَالذَّلَّةِ وَالْمَسْكِنَةِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفَقْرِ وَالْكَفْرِ، وَالْفُسُوقِ وَالشَّقَاقِ، وَالنَّفَاقِ وَالسَّمْعَةِ وَالرِّيَاءِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الصَّمَمِ وَالْبُكْمِ وَالْجُنُونِ وَالْجَذَامِ، وَالْبُرْصِ وَسَيِّئِ الْأَسْقَامِ».

(ك، هق؛ عن أنس [رضي الله تعالى عنه]).

ص: 377

3-«اللَّهُمَّ؛ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَقَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَدَعَاءٍ لَا يَسْمَعُ، وَنَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ الْجُوعِ فَإِنَّهُ بئْسَ الصَّدَجِيْعُ، وَمِنْ الْخِيَانَةِ فَإِنَّهَا بئْسَ الْبَطَانَةُ، وَمِنْ الْكَسَلِ وَالْبَخْلِ وَالْجَبْنِ، وَمِنْ الْهَرَمِ، وَأَنْ أُرَدَّ إِلَيَّ أُرْذِلَ الْعَمْرُ، وَمِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ.

اللَّهُمَّ؛ إِنَّا نَسَأَلُكَ قُلُوبًا أَوَاهَةً مَخْبِتَةً مَنِيْبَةً فِي سَبِيْلِكَ.

اللَّهُمَّ؛ إِنَّا نَسَأَلُكَ عَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ وَمَنْجِيَاتِ أَمْرِكَ، وَالسَّلَامَةَ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ، وَالْغَنِيْمَةَ مِنْ كُلِّ بَرٍّ، وَالْفَوْزَ بِالْجَنَّةِ، وَالنَّجَاةَ مِنَ النَّارِ». (ك؛ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ [رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ]).

4-«اللَّهُمَّ؛ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ وَالْهَرَمِ، وَالْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ النَّارِ وَعَذَابِ النَّارِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْغَنِيِّ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْفَقْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيْحِ الدَّجَالِ.

اللَّهُمَّ؛ اغْسِلْ عَنِّي خَطَايَايَ بِالْمَاءِ وَالتَّلْجِ وَالبَرْدِ، وَنَقِّ قَلْبِي مِنَ الْخَطَايَا كَمَا يَنْقِي الثَّوْبَ الْأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ، وَبَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ؛ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرَبِ» (ق، ت، ن، ه؛ عَنْ عَائِشَةَ [رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا]).

5-«اللَّهُمَّ؛ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ التَّرْدِيِّ وَالْهَدْمِ، وَالْغُرْقِ وَالْحَرْقِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ يَتَخَبَّطَنِي الشَّيْطَانُ عِنْدَ الْمَوْتِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَمُوتَ فِي سَبِيْلِكَ مَدْبَرًا، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَمُوتَ لَدِيْغًا». (ن، ك؛ عَنْ أَبِي الْيَسْرِ [رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ]).

6-«اللَّهُمَّ؛ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَفَجَاءَةِ نِقْمَتِكَ وَجَمِيعِ سَخَطِكَ». (م، د، ت؛ عن ابن عمر [رضي الله تعالى عنهما]).

7-«اللَّهُمَّ؛ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ مَنَكِرَاتِ الْأَخْلَاقِ وَالْأَعْمَالِ وَالْأَهْوَاءِ وَالْأَدْوَاءِ». (ت، ط؛ ك؛ عن عمّ زياد بن علاقة [رضي الله تعالى عنه]).

8-«اللَّهُمَّ؛ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي، وَمِنْ شَرِّ بَصْرِي، وَمِنْ شَرِّ لِسَانِي، وَمِنْ شَرِّ قَلْبِي، وَمِنْ شَرِّ مَنِّي». (د، ك؛ عن شكل [رضي الله تعالى عنه]).

9-«اللَّهُمَّ؛ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ يَوْمِ السُّوءِ، وَمِنْ لَيْلَةِ السُّوءِ، وَمِنْ سَاعَةِ السُّوءِ، وَمِنْ صَاحِبِ السُّوءِ، وَمِنْ جَارِ السُّوءِ فِي دَارِ الْمَقَامَةِ».

(ط؛ عن عقبه بن عامر [رضي الله تعالى عنه]).

10-«اللَّهُمَّ؛ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمَعَاذِكَ مِنْ عِقَابِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أَحْصِي ثَنَاءَ عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَيَّ نَفْسِكَ». (م، 4؛ عن عائشة [رضي الله تعالى عنها]).

11-«اللَّهُمَّ؛ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَمَلْتُ؛ وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ أَعْمَلْ». (م، د، ن، ه؛ عن عائشة [رضي الله تعالى عنها]).

12-«اللَّهُمَّ؛ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفَقْرِ وَالْقَلَّةِ وَالذَّلَّةِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أَظْلِمَ، أَوْ أَظْلَمَ». (د، ن، ه، ك؛ عن أبي هريرة [رضي الله تعالى عنه]).

13-«اللَّهُمَّ؛ رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ..أَنَا شَهِيدٌ أَنَّكَ أَنْتَ الرَّبُّ وَحَدُّكَ لَا شَرِيكَ لَكَ.

اللَّهُمَّ؛ رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ..أَنَا شَهِيدٌ أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ.

اللَّهُمَّ؛ رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ..أَنَا شَهِيدٌ أَنَّ الْعِبَادَ كُلَّهُمْ إِخْوَةٌ.

اللَّهُمَّ؛ رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ..اجْعَلْنِي مُخْلِصًا لَكَ وَأَهْلِي فِي كُلِّ سَاعَةٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ». (ن، حب؛ عن أبي أمامة [رضي الله تعالى عنه]).

14-«اللَّهُمَّ؛ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتَ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ بِذَنْبِي؛ فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ». (خ؛ عن شدّاد بن أوس [رضي الله تعالى عنه]).

15-«اللَّهُمَّ؛ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ.. فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ». (ق، حم، 4؛ عن أبي بكر الصّدّيق [رضي الله تعالى عنه]).

16-«اللَّهُمَّ؛ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ، دَقِّه وَجَلِّهْ، وَأَوَّلِهِ وَآخِرِهِ، وَعَلَانِيَتِهِ وَسِرِّهِ». (م، د؛ عن أبي هريرة [رضي الله تعالى عنه]).

17-«اللَّهُمَّ؛ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دُنْيَايَ وَدِينِي، وَأَهْلِي وَمَالِي.

اللَّهُمَّ؛ استر عورتِي وأمن روعتي، واحفظني من بين يديّ ومن خلفي، وعن يميني، وعن شمالي، ومن فوقِي؛ وأعوذ بك أن أغتال من تحتي». (البزّار؛ عن ابن عبّاس [رضي الله تعالى عنهما]).

18- «اللَّهُمَّ؛ ربّ جبريل وميكائيل وإسرافيل ومحمّد صلّي الله عليه وسلّم.. نعوذ بك من النَّار». (طب، ك؛ عن والد أبي المليح [رضي الله تعالى عنه]).

19- «اللَّهُمَّ؛ إنك لست بإله استحدثناه، ولا برّب ابتدعناه، ولا كان لنا قبلك من إله نلجأ إليه ونذكرك، ولا أعانك علي خلقنا أحد فنشركه فيك؛ تباركت وتعاليت». (طب؛ عن صهيب [رضي الله تعالى عنه]).

20- «اللَّهُمَّ؛ إنك تسمع كلامي، وتري مكاني، وتعلم سرّي وعلايتي، لا يخفي عليك شيء من أمري، وأنا البائس الفقير، المستغيث المستجير، الوجع المشفق، المقرّ المعترف بذنبه، أسألك مسألة المسكين، وأبتهل إليك ابتهال المذنب الذليل، وأدعوك دعاء الخائف الضّير؛ من خضعت لك رقبتة، وفاضت لك عبرته، وذلّ لك جسمه، ورغم لك أنفه.

اللَّهُمَّ؛ لا تجعلني بدعائك شقيّاً، وكن بي رءوفاً رحيماً؛ يا خير المسئولين، ويا خير المعطين». (طب؛ عن ابن عبّاس [رضي الله تعالى عنهما]).

21- «اللَّهُمَّ؛ إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني علي الناس، يا أرحم الرّاحمين.

إلي من تكلني؟ إلي عدوّ يتجهمني؟ أم إلي قريب ملّكته أمري؟!

إن لم تكن ساخطا عليّ فلا- أبالي، غير أنّ عافيتك أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الكريم الذي أضاءت له السموات والأرض، وأشرقت له الظلمات، وصلاح عليه أمر الدنيا والآخرة.. أن تحلّ عليّ غضبك، أو تنزل عليّ سخطك، ولك العتبي حتّي ترضي، ولا حول ولا قوّة إلاّ بك». (طب؛ عن عبد الله بن جعفر [رضي الله تعالى عنهما]).

22-«اللّهمّ؛ إني أسألك من الخير كلّ عاجله و اجله؛ ما علمت منه و ما لم أعلم، وأعوذ بك من الشرّ كلّ عاجله و اجله؛ ما علمت منه و ما لم أعلم.

اللّهمّ؛ إني أسألك من خير ما سألك به عبدك و نبيّك، وأعوذ بك من شرّ ما عاذ به عبدك و نبيّك.

اللّهمّ؛ إني أسألك الجنّة و ما قرب إليها من قول أو عمل، وأعوذ بك من النّار و ما قرب إليها من قول أو عمل، وأسألك أن تجعل كلّ قضاء قضيتّه لي خيرا». (ه؛ عن عائشة [رضي الله تعالى عنها]).

23-«اللّهمّ؛ إني أسألك باسمك الطّاهر الطّيب، المبارك الأحبّ إليك، الذي إذا دعيت به.. أجبت، وإذا سئلت به.. أعطيت، وإذا استرحمت به.. رحمت، وإذا استفرجت به.. فرّجت». (ه؛ عن عائشة [رضي الله تعالى عنها]).

24-«اللّهمّ؛ لك الحمد كالذي نقول و خيرا ممّا نقول، اللّهمّ؛ لك صلاتي و نسكي، و محياي و مماتي، وإليك مآبي، و لك ربّ تراثي.

اللَّهُمَّ؛ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَوَسْوَاسَةِ الصُّدْرِ، وَشَتَاتِ الْأَمْرِ.

اللَّهُمَّ؛ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَجِيءُ بِهِ الرِّيحُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَجِيءُ بِهِ الرِّيحُ». (ت، هب؛ عن عليّ [رضي الله تعالى عنه]).

25- «اللَّهُمَّ.. إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الْأَمْرِ، وَأَسْأَلُكَ عَزِيمَةَ الرَّشْدِ، وَأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ، وَحَسْنَ عِبَادَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ لِسَانًا صَادِقًا، وَقَلْبًا سَلِيمًا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ مِمَّا تَعْلَمُ، إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ». (ت، ن؛ عن شدّاد ابن أوس [رضي الله تعالى عنه]).

26- «اللَّهُمَّ؛ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أُنْبِتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ.

اللَّهُمَّ؛ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْ تَضِلَّنِي، أَنْتَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَالْجَنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ». (م؛ عن ابن عبّاس [رضي الله تعالى عنهما]).

27- «اللَّهُمَّ؛ عَافِنِي فِي بَدْنِي.

اللَّهُمَّ؛ عَافِنِي فِي سَمْعِي.

اللَّهُمَّ؛ عَافِنِي فِي بَصَرِي.

اللَّهُمَّ؛ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ وَالْفَقْرِ.

اللَّهُمَّ؛ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ». (د، ك؛

عن أبي بكرة [رضي الله تعالى عنه].

28- «اللّهُمَّ؛ اجعلني من الذين إذا أحسنوا.. استبشروا، وإذا أساءوا.. استغفروا». (ه، هب؛ عن عائشة [رضي الله تعالى عنها]).

29- «اللّهُمَّ؛ ارزقني حبّك، وحبّ من ينفعني حبّه عندك.

اللّهُمَّ؛ ما رزقتني ممّا أحبّ.. فاجعله قوّة لي فيما تحبّ، و ما زويت عني ممّا أحبّ.. فاجعله فراغا لي فيما تحبّ». (ت؛ عن عبد الله بن يزيد الخطمي [رضي الله تعالى عنه]).

30- «اللّهُمَّ؛ اغفر لي ذنبي، وسّع لي في داري، وبارك لي في رزقي». (ت؛ عن أبي هريرة [رضي الله تعالى عنه]).

31- «اللّهُمَّ؛ إنّي أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي، و تجمع بها أمري، و تلمّ بها شعثي، و تصلح بها غائبي، و ترفع بها شاهدي، و تزكّي بها عملي، و تلهمني بها رشدي، و تردّ بها ألفتي، و تعصمني بها من كلّ سوء.

اللّهُمَّ؛ أعطني إيمانا و يقينا ليس بعده كفر، و رحمة أنال بها شرف كرامتك في الدّنيا و الآخرة.

اللّهُمَّ؛ إنّي أسألك الفوز في القضاء، و نزل الشّهداء، و عيش السّعداء، و النّصر علي الأعداء.

اللّهُمَّ؛ إنّي أنزل بك حاجتي، فإن قصّر رأبي، و ضعف عملي..

افتقرت إلي رحمتك، فأسألك يا قاضي الأمور، و يا شافي الصدور؛

كما تجير بين البحور.. أن تجيرني من عذاب السّعير، و من دعوة الثّبور، و من فتنة القبور.

اللّهُمَّ؛ ما قصر عنه رأبي، و لم تبلغه نيتي، و لم تبلغه مسألتي من خير وعدته أحدا من خلقك، أو خير أنت معطيه أحدا من عبادك.. فإتي أرغب إليك فيه، و أسألكه برحمتك يا ربّ العالمين.

اللّهُمَّ؛ يا ذا الحبل الشّديد، و الأمر الرّشيد.. أسألك الأمان يوم الوعيد، و الجنّة يوم الخلود، مع المقرّبين الشّهود، و الرّكّع السّجود، الموفين بالعهود، إنك رحيم ودود، و إنك تفعل ما تريد.

اللّهُمَّ؛ اجعلنا هادين مهتدين، غير ضالّين و لا مضلّين، سلما لأوليائك و عدوّا لأعدائك، نحبّ بحبّك من أحبّك، و نعادي بعداوتك من خالفك.

اللّهُمَّ؛ هذا الدّعاء و عليك الإجابة، و هذا الجهد و عليك التّكلان.

اللّهُمَّ.. اجعل لي نورا في قلبي، و نورا في قبري، و نورا بين يديّ، و نورا من خلفي، و نورا عن يميني، و نورا عن شمالي، و نورا من فوقي، و نورا من تحتي، و نورا في سمعي، و نورا في بصري، و نورا في شعري، و نورا في بشري، و نورا في لحمي، و نورا في دمي، و نورا في عظامي.

اللّهُمَّ؛ أعظم لي نورا، و أعطني نورا، و اجعل لي نورا.

سبحان الذي تعظّف بالعرّ و قال به، سبحان الذي لبس المجد و تكرّم به، سبحان الذي لا ينبغي التّسبيح إلاّ له، سبحان ذي الفضل و النّعم،

سبحان ذي المجد و الكرم، سبحان ذي الجلال و الإكرام». (ت، طب، هق؛ عن ابن عباس [رضي الله تعالى عنهما]).

32-«اللَّهُمَّ؛ لا تكلني إلى نفسي طرفة عين، و لا تنزع مني صالح ما أعطيتني». (البزار؛ عن ابن عمر [رضي الله تعالى عنهما]).

33-«اللَّهُمَّ؛ اجعلني شكورا، و اجعلني صبورا، و اجعلني في عيني صغيرا، و في أعين الناس كبيرا». (البزار؛ عن بريدة [رضي الله تعالى عنه]).

34-«اللَّهُمَّ؛ احفظني بالإسلام قائما، و احفظني بالإسلام قاعدا، و احفظني بالإسلام راقدا، و لا تشمت بي عدوا، و لا حاسدا.

اللَّهُمَّ؛ إني أسألك من كل خير خزائنه بيدك، و أعوذ بك من كل شر خزائنه بيدك». (ك؛ عن ابن مسعود [رضي الله تعالى عنه]).

35-«اللَّهُمَّ؛ انفعني بما علمتني، و علّمني ما ينفعني، و زدني علما.

الحمد لله علي كل حال، و أعوذ بالله من حال أهل النار». (ت، ه، [ك]؛ عن أبي هريرة [رضي الله تعالى عنه]).

36-«يا حيّ يا قيوم؛ برحمتك أستغيث». (ت؛ عن أنس [رضي الله تعالى عنه]).

37-«اللَّهُمَّ؛ افتح مسامع قلبي لذكرك، و ارزقني طاعتك، و طاعة رسولك، و عملا بكتابك». (طس؛ عن عليّ [رضي الله تعالى عنه]).

38-«اللَّهُمَّ؛ اجعلني أخشاك حتّى كأنّي أراك، وأسعدني بتقواك، ولا تشقني بمعصيتك، وخر لي في قضائك، وبارك لي في قدرك، حتّى لا أحبّ تعجيل ما أخرت؛ ولا تأخير ما عجلت.

و اجعل غناي في نفسي، وأمتعني بسمعي وبصري، واجعلهما الوارث منّي، وانصرني علي من ظلمني، وأرني فيه ثأري، وأقرّ بذلك عيني». (طس؛ عن أبي هريرة [رضي الله تعالى عنه]).

39-«اللَّهُمَّ؛ اكفني بحلالك عن حرامك، وأغنني بفضلك عمّن سواك». (ت؛ عن عليّ [رضي الله تعالى عنه]).

40-«اللَّهُمَّ؛ اجعل أوسع رزقك عليّ عند كبر سنّي وانقطاع عمري». (ك؛ عن عائشة [رضي الله تعالى عنها]).

41-«اللَّهُمَّ؛ إني أسألك إيماناً يباشر قلبي؛ حتّى أعلم أنّه لا يصيبا بني إلاّ ما كتبت لي، وأرضني من المعيشة بما قسمت لي». (البزّار؛ عن ابن عمر [رضي الله تعالى عنهما]).

42-«اللَّهُمَّ؛ إني أسألك عيشة نقيّة، وميتة سويّة، ومردّاً غير مخزيّ (1) ولا فاضح». (طب، ك، البزّار، عن ابن عمر [رضي الله تعالى عنهما]).

43-«اللَّهُمَّ؛ أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي، واجعل.

ص: 387

1- أي: غير مذللّ، ولا موقع في بلاء.

الحياة زيادة لي في كل خير، واجعل الموت راحة لي من كل شرّ».

(م؛ عن أبي هريرة [رضي الله تعالى عنه]).

44-«اللّهُمَّ؛ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتَّقَى، وَالعِفَافَ وَالعَنِي».

(م، ت، ه؛ عن ابن مسعود [رضي الله تعالى عنه]).

45-«اللّهُمَّ؛ اجْعَلْ حَبِّكَ أَحَبَّ الْأَشْيَاءِ إِلَيَّ، وَاجْعَلْ خَشْيَتِكَ أَخْوَفَ الْأَشْيَاءِ عِنْدِي، وَاقْطَعْ عَنِّي حَاجَاتِ الدُّنْيَا بِالشُّوقِ إِلَيَّ لِقَائِكَ، وَإِذَا أَقْرَرْتَ أَعْيُنَ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ دُنْيَاهُمْ. فَأَقْرِرْ عَيْنِي مِنْ عِبَادَتِكَ».

(حل؛ عن الهيثم بن مالك الطائفي [رضي الله تعالى عنه]).

46-«اللّهُمَّ؛ إِنِّي أَسْأَلُكَ الصِّحَّةَ وَالعَفَّةَ، وَالأَمَانَةَ، وَحَسْنَ الخَلْقِ، وَالرِّضَا بِالقَدْرِ».(طب؛ عن ابن عمرو [رضي الله تعالى عنهما]).

47-«اللّهُمَّ؛ إِنِّي أَسْأَلُكَ التَّوْفِيقَ لِمَحَابَّتِكَ مِنَ الْأَعْمَالِ، وَصَدَقَ التَّوَكُّلَ عَلَيْكَ، وَحَسْنَ الظَّنِّ بِكَ».(حل؛ عن الأوزاعي والحكيم؛ عن أبي هريرة [رضي الله تعالى عنه]).

48-«اللّهُمَّ؛ إِنِّي أَسْأَلُكَ صِحَّةَ فِي إِيمَانٍ، وَإِيمَانًا فِي حَسَنِ خَلْقٍ، وَنَجَاحًا يَتَّبِعُهُ فَلَاحٌ، وَرَحْمَةً مِنْكَ وَعَافِيَةً، وَمَغْفِرَةً مِنْكَ وَرِضْوَانًا».

(طس، ك؛ عن أبي هريرة [رضي الله تعالى عنه]).

49-«اللّهُمَّ؛ الطِّفْ بِي فِي تَسْيِيرِ كُلِّ عَسِيرٍ، فَإِنَّ تَسْيِيرَ كُلِّ عَسِيرٍ عَلَيْكَ يَسِيرٌ، وَأَسْأَلُكَ الْيَسْرَ وَالعِافَاةَ فِي الدُّنْيَا وَالأخْرة».(طس؛ عن أبي هريرة [رضي الله تعالى عنه]).

50-«اللَّهُمَّ؛ اعف عني؛ فإنك عفوّ كريم». (طس؛ عن أبي سعيد [رضي الله تعالى عنه]).

51-«اللَّهُمَّ؛ إني عبدك، وابن عبدك، وابن أمتك، في قبضتك، ناصيتي بيدك، ماض فيّ حكمك، عدل فيّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم نور صدري، و ربيع قلبي، و جلاء حزني، و ذهاب همّي». (ابن السنّي؛ عن أبي موسى الأشعري [رضي الله تعالى عنه]).

52-«اللَّهُمَّ؛ احرسني بعينك التي لا تنام، و اكنفني بكنفك الذي لا يرام، و ارحمني بقدرتك عليّ؛ فلا أهلك و أنت رجائي، فكم من نعمة أنعمت بها عليّ قلّ لك بها شكري، و كم من بليّة ابتليتني قلّ لك بها صبري، فيا من قلّ عند نعمته شكري؛ فلم يحرمني، و يا من قلّ عند بلائه (1) صبري؛ فلم يخذلني، و يا من رأني علي الخطايا؛ فلم يفضحني، يا ذا المعروف الذي لا ينقضني أبدا، و يا ذا النعمة التي لا تحصي عددا.. أسألك أن تصلي علي محمّد و علي آل محمّد، و بك أدرا في نحر الأعداء و الجبارين.

اللَّهُمَّ؛ أعني ديني بالدنيا، و علي آخرتي بالتّوي، و احفظني فيما غبت عنه، و لا تكلني إلي نفسي فيما حضرته).

ص: 389

1- في نسخة: (بليّته).

يا من لا تضره الذنوب، ولا ينقصه العفو.. هب لي ما لا ينقصك، واغفر لي ما لا يضرك؛ إنك أنت الوهاب.

أسألك فرجا قريبا، وصبرا جميلا، ورزقا واسعا، والعافية من البلى، وأسألك تمام العافية، وأسألك دوام العافية، وأسألك الشكر علي العافية، وأسألك الغني عن الناس، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم». (الديلمى؛ عن جعفر الصادق؛ عن أبيه؛ عن جدّه) [رضي الله تعالى عنهم].

53- «اللهم؛ طهر قلبي من النفاق، وعملي من الرياء، ولساني من الكذب، وعيني (1) من الخيانة؛ فإنك تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور». (الحكيم، خط؛ عن أمّ معبد الخزاعية [رضي الله تعالى عنها]).

54- «رب؛ أعني ولا تعن علي، وانصرني ولا تنصر علي، وامكر لي ولا تمكر علي، واهدني ويسر الهدى لي، وانصرني علي من بغي علي.

رب؛ اجعلني لك شاكرا، لك ذاكرا، لك راهبا، لك مطوعا، لك محببا، إليك أوها منيبا.

رب؛ تقبل توبتي، واغسل حوبتي، وأجب دعوتي، وثبت حجتي، واهد قلبي، وسدد لساني، واسلل سخيمة صدري» (2).

(ت، د، ه؛ عن ابن عباس [رضي الله تعالى عنهما]).

ص: 390

1- تصح بالثنية والإفراد.

2- أي: أخرج ما في صدري من الحسد والكبر وغيرهما من الأخلاق الرديئة.

55-«اللَّهُمَّ؛ اغْنِنِي بِالْعِلْمِ، وَزَيِّنِي بِالْحِلْمِ، وَأَكْرِمْنِي بِالتَّقْوَى، وَجَمِّلْنِي بِالْعَافِيَةِ». (ابن النِّجَّار؛ عن ابن عمر [رضي الله تعالى عنهما]).

56-«اللَّهُمَّ؛ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي وَخَطَايَايَ كُلَّهَا.

اللَّهُمَّ؛ أَنْعَشْنِي، وَاجْبِرْنِي، وَاهْدِنِي لِمَصَالِحِ الْأَعْمَالِ وَالْأَخْلَاقِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَهْدِي لِمَصَالِحِهَا، وَلَا يَصْرِفُ سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ». (طب؛ عن أبي أمامة [رضي الله تعالى عنه]).

57-«اللَّهُمَّ؛ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا، وَرِزْقًا طَيِّبًا، وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا». (حم، ه؛ عن أم سلمة [رضي الله تعالى عنها]).

58-«اللَّهُمَّ؛ بَعَلِمِكَ الْغَيْبِ وَقُدْرَتِكَ عَلَيَّ الْخَلْقِ.. أَحْيِنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي، وَتَوَقَّئِي إِذَا عَلِمْتَ الْوَفَاةَ خَيْرًا لِي.

اللَّهُمَّ؛ وَأَسْأَلُكَ خَشْيَتِكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَأَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الْإِخْلَاصِ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ، وَأَسْأَلُكَ الْقَصْدَ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنِيِّ، وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لَا يَنْفَدُ، وَأَسْأَلُكَ قَرَّةَ عَيْنٍ لَا تَنْقَطِعُ، وَأَسْأَلُكَ الرِّضَا بِالْقَضَاءِ، وَأَسْأَلُكَ بَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَيَّ وَجْهَكَ، وَالشُّوقَ إِلَيَّ لِقَائِكَ، فِي غَيْرِ ضِرَاءٍ مُضِرَّةٍ، وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ.

اللَّهُمَّ؛ زَيِّنَا بِزِينَةِ الْإِيمَانِ، وَاجْعَلْنَا هِدَاةَ مَهْتَدِينَ». (ن، ك؛ عن عمَّار بن ياسر [رضي الله تعالى عنهما]).

59-«اللَّهُمَّ؛ أَنْتَ خَلَقْتَ نَفْسِي، وَأَنْتَ تَوَقَّأَهَا، لَكَ مِمَاتُهَا

و محياها، إن أحيتها.. فاحفظها، وإن أمتها.. فاغفر لها.

اللَّهُمَّ؛ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ». (م؛ عن ابن عمر [رضي الله تعالى عنهما]).

60- «اللَّهُمَّ؛ اغفر لي خطيئتي و جهلي، و إسرافي في أمري، و ما أنت أعلم به مني.

اللَّهُمَّ؛ اغفر لي خطيئتي (1) و عمدي، و هزلي و جدّي، و كل ذلك عندي.

اللَّهُمَّ؛ اغفر لي ما قدّمت و ما أخّرت، و ما أسررت و ما أعلنت، أنت المقدم و أنت المؤخّر، و أنت عليّ كلّ شيء قدير». (ق؛ عن أبي موسى [رضي الله تعالى عنه]).

61- «اللَّهُمَّ؛ اهدني فيمن هديت، و عافني فيمن عافيت، و تولّني فيمن تولّيت، و بارك لي فيما أعطيت، و قني شرّ ما قضيت، فإنّك تقضي و لا يقضي عليك، و إنّّه لا يذلّ من واليت، تباركت ربّنا و تعاليت».

(4، هق؛ عن الحسن بن عليّ [رضي الله تعالى عنهما]).

62- «اللَّهُمَّ؛ إنّك سألتنا من أنفسنا ما لا نملكه إلاّ بك.

اللَّهُمَّ؛ فأعطنا منها ما يرضيك عنّا». (ابن عساكر؛ عن أبي هريرة [رضي الله تعالى عنه]).

63- «اللَّهُمَّ؛ زدنا و لا تنقصنا، و أكرمنا و لا تهنّا، و أعطنا و لا).

ص: 392

1- في نسخة: (خطئي).

تحرمننا، واثرتنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وأرض عنا». (ت، ك؛ عن عمر [رضي الله تعالى عنه]).

64- «اللهم؛ أصلح ذات بيننا، وألف بين قلوبنا، واهدنا سبيل السلام، ونجنا من الظلمات إلى النور، وجنّبنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن.

اللهم؛ بارك لنا في أسمعنا وأبصارنا وقلوبنا، وأزواجنا وذرياتنا، و تب علينا؛ إنك أنت التّوّاب الرحيم، واجعلنا شاكرين لنعمك، مثنين بها (1)، قابلين لها، وأتمّها علينا». (طب، ك؛ عن ابن مسعود [رضي الله تعالى عنه]).

56- «اللهم؛ إنا نسألك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك، والسّلامه من كلّ إثم، والغنيمة من كلّ برّ، والفوز بالجنّة، والتّجاة من النّار». (ك؛ عن ابن مسعود [رضي الله تعالى عنه]).

66- «اللهم؛ أقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك، و من طاعتك ما تبلّغنا به جنّتك، و من اليقين ما تهوّن به علينا مصائب الدّنيا، و متّعنا بأسمعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منّا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدّنيا أكبر همّنا، ولا مبلغ علمنا، ولا تسلّط علينا من لا يرحمنا». (ت، ك؛ عن ابن عمر [رضي الله تعالى عنهما]).

ص: 393

1- أي: عليها.

67-«اللَّهُمَّ؛ أحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة». (حم، حب، ك؛ عن بسر بن أرطاة [رضي الله تعالى عنه]).

68-«يا ولي الإسلام وأهله.. ثبتني به حتى ألقاك». (طب؛ عن أنس [رضي الله تعالى عنه]).

69-«اللَّهُمَّ؛ إني أسألك خير المسألة؛ وخير الدعاء، وخير النجاح، وخير العمل، وخير الثواب، وخير الحياة، وخير الممات، وثبتني وثقل موازيني، وحقق إيماني، وارفع درجاتي، وتقبل صلاتي، واغفر خطيئتي، وأسألك الدرجات العلي من الجنة. امين.

اللَّهُمَّ؛ إني أسألك فواتح الخير، وخواتمه وجوامعه، وأوله وآخره، وظاهره وباطنه، والدرجات العلي من الجنة. امين.

اللَّهُمَّ؛ إني أسألك خير ما اتى، وخير ما أفعل، وخير ما أعمل، وخير ما بطن، وخير ما ظهر، والدرجات العلي من الجنة. امين.

اللَّهُمَّ؛ إني أسألك أن ترفع ذكري، وتضع وزري، وتصلح أمري، وتطهر قلبي، وتحصن فرجي، وتنور قلبي، وتغفر لي ذنبي، وأسألك الدرجات العلي من الجنة. امين.

اللَّهُمَّ؛ إني أسألك أن تبارك لي في سمعي، وفي بصري، وفي روعي، وفي خلقي، وفي خلقي، وفي أهلي، وفي محيائي، وفي مماتي، وفي عملي، وتقبل حسناتي، وأسألك الدرجات العلي من الجنة. امين». (ك، طب؛ عن أم سلمة [رضي الله تعالى عنها]).

70- «يا من لا تراه العيون، ولا تخالطه الطُّنون، ولا يصفه الواصفون، ولا تغيّره الحوادث، ولا يخشي الدوائر، يعلم مئاويل الجبال، ومكاويل البحار، وعدد قطر الأمطار، وعدد ورق الأشجار، وعدد ما أظلم عليه الليل وأشرق عليه النهار، ولا توارى منه سماء سماء، ولا أرض أرضا، ولا بحر ما في قعره، ولا جبل ما في وعده..»

اجعل خير عمري آخره، وخير عملي خواتمه، وخير أيامي يوم ألقاك فيه». (طب؛ عن أنس [رضي الله تعالى عنه]).

الثلاثة الأخيرة من «الحصن الحصين».

وصلّي الله علي نبينا محمّد..كلّما ذكره الذاكرون، وغفل عن ذكره الغافلون.

وصلّي عليه في الأولين والآخرين..أفضل وأكثر وأزكي ما صلّي علي أحد من خلقه.

وزكّانا بالصلاة عليه..أفضل ما زكّي أحدا من أمته بصلاته عليه.

والسلام عليه ورحمة الله وبركاته، وجزاه الله عنّا..أفضل ما جزى مرسلا عمّن أرسل إليه.

والحمد لله ربّ العالمين علي جميع نعمه، ما علمت منها وما لم أعلم، ولا سيّما نعمة الإيمان والإسلام، وتوفيقه لجمع هذا الكتاب.

وأسأله سبحانه أن ينفعي به وكلّ من نظر فيه من المسلمين نفعا

ص: 395

عظيما، يصاحبنا في الدنيا، ويلازمنا في البرزخ، ولا يفارقنا يوم الدين؛ بجاه خير الوسائل إليه، وأقرب المقرّبين لديه، حبيبه الأكرم، ورسوله الأعظم: سيّدنا محمّد سيّد المرسلين صلّي الله عليه وعليهم، وعليهم وأصحابهم الكرام.

ونجز ذلك في شهر رجب من السنة التاسعة بعد الثلاث مائة (1) وألف من هجرته عليه الصّلاة والسّلام. أ.

ص: 396

1- في الأصل: ماتتين، وهو خطأ.

تمهيد بقلم الدكتور محمد عبد الرحمن الأهدل 7

ترجمة النبهاني رحمه الله 13

توطئة 19

وسائل الوصول إلي شمائل الرسول مقدمة المؤلف 27

مقدمة الكتاب وهي تشتمل علي تنبيهين 37

التنبيه الأول: في معني لفظ الشمائل 39

التنبيه الثاني: في الفوائد المقصودة من جمع شمائله صلي الله عليه وسلم 41

الباب الأول: في نسب رسول الله صلي الله عليه وسلم، وأسمائه

الشريفة، وفيه فصلان 45

الفصل الأول: في نسبه الشريف صلي الله عليه وسلم 47

الفصل الثاني: في أسمائه الشريفة صلي الله عليه وسلم 50

الباب الثاني: في صفة خلقه رسول الله صلي الله عليه وسلم، وما يناسبها من أوصافه الشريفة، وفيه عشرة فصول 57

الفصل الأول: في جمال صورته صلي الله عليه وسلم، وما شاكلها 59

الفصل الثاني: في صفة بصره صلي الله عليه وسلم واكتحاله 76

الفصل الثالث: في صفة شعره صلي الله عليه وسلم، وشيبه، وخصابه، وما يتعلّق بذلك 79

الفصل الرابع: في صفة عرقه صلي الله عليه وسلم ورائحته الطبيعية 84

ص: 397

- الفصل الخامس: في صفة طيبه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَطْيِيبِهِ 87
- الفصل السادس: في صفة صوته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ 89
- الفصل السابع: في صفة غضبه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسُرُورِهِ 91
- الفصل الثامن: في صفة ضحكه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبِكَائِهِ وَعَطَاسِهِ 93
- الفصل التاسع: في صفة كلامه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسُكُوتِهِ 100
- الفصل العاشر: في صفة قُوَّتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ 102
- الباب الثالث: في صفة لباس رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِرَاشِهِ وَسِلَاحِهِ، وَفِيهِ سِتَّةُ فُصُولٍ 105
- الفصل الأوَّل: في صفة لباسه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ مِنْ قَمِيصٍ وَإِزَارٍ وَرِدَاءٍ وَقَلَنْسُوءَةٍ وَعِمَامَةٍ وَنَحْوِهَا 107
- الفصل الثاني: في صفة فراشه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَا يَنَاسِبُهُ 120
- الفصل الثالث: في صفة خاتمه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ 124
- الفصل الرَّابِع: في صفة نعله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخَفِّهِ 128
- الفصل الخامس: في صفة سلاحه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ 132
- الفصل السادس: كان من خلقه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَسْمِيَ سِلَاحَهُ وَدَوَابَّهُ وَمَتَاعَهُ 136
- الباب الرَّابِع: في صفة أكل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَشَرْبِهِ، وَنَوْمِهِ. وَفِيهِ سِتَّةُ فُصُولٍ 141
- الفصل الأوَّل: في صفة عيشته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخَبْزِهِ 143
- الفصل الثاني: في صفة أكله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِدَامِهِ 158
- الفصل الثالث: في ما كان يقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ الطَّعَامِ وَبَعْدَهُ 176
- الفصل الرَّابِع: في صفة فاكهته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ 179
- الفصل الخامس: في صفة شرابه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْحِهِ 183
- الفصل السادس: في صفة نومه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ 189

الباب الخامس: في صفة خلق رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم، و حلمه، و عشرته مع نسائه، و أمانته، و صدقه، و حياته، و مزاحه، و تواضعه، و جلوسه، و كرمه و شجاعته. و فيه ستّة فصول 193

الفصل الأول: في صفة خلقه صَلَّى الله عليه و سلم و حلمه 195

الفصل الثاني: في صفة عشرته صَلَّى الله عليه و سلم مع نسائه رضي الله تعالى عنهنّ 222

الفصل الثالث: في صفة أمانته صَلَّى الله عليه و سلم و صدقه 227

الفصل الرابع: في صفة حياته صَلَّى الله عليه و سلم و مزاحه 229

الفصل الخامس: في صفة تواضعه صَلَّى الله عليه و سلم و جلوسه 234

الفصل السادس: في صفة كرمه صَلَّى الله عليه و سلم و شجاعته 246

الباب السادس: في صفة عبادة رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم و صلواته، و صومه، و قراءته. و فيه ثلاثة فصول 253

الفصل الأول: في صفة عبادته صَلَّى الله عليه و سلم و صلواته 255

الفصل الثاني: في صفة صومه صَلَّى الله عليه و سلم 265

الفصل الثالث: في صفة قراءته صَلَّى الله عليه و سلم 271

الباب السابع: في أخبار شتّي من أحوال رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم و بعض أذكار و أدعية كان يقولها في أوقات مخصوصة، و ثلاث مائة و ثلاثة عشر حديثًا من جوامع كلمه صَلَّى الله عليه و سلم. و فيه ثلاثة فصول 275

الفصل الأول: في أخبار شتّي من أحواله صَلَّى الله عليه و سلم 277

الفصل الثاني: في بعض أذكار و أدعية كان يقولها صَلَّى الله عليه و سلم في أوقات مخصوصة 287

الفصل الثالث: في ثلاث مائة و ثلاثة عشر حديثًا من جوامع كلمه صَلَّى الله عليه و سلم 296

ص: 399

الباب الثامن: في طبه صَلَّى الله عليه و سلم، و سنّه و وفاته، و رؤيته في المنام. و فيه ثلاثة فصول 327

الفصل الأول: في طبه صَلَّى الله عليه و سلم 329

الفصل الثاني: في سنّه صَلَّى الله عليه و سلم و وفاته 344

الفصل الثالث: في رؤيته صَلَّى الله عليه و سلم في المنام 368

الخاتمة: تشتمل علي خمسين حديثاً، أكثرها صحاح و حسان من أدعيته صَلَّى الله عليه و سلم 373

الفهرس

ص: 400

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ
الزمر: 9

عنوان المكتب المركزي
أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباه اى، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 021 - 88318722

قسم البيع 09132000109 شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
اصبهان
الغمامية



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

